

قال الله تعالى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(حمـ ١) عَسَقَ ٢) كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٤) تَكَادُ
السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥) وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ٦)
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ
الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٨) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٩) وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ١٠) فَاطِرُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ
فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١) لَهُ مَقَالِيدُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
([الشورى: ١-١٢])

س: - اذكر معنى ما يلي:

(حَمَّ . عَسَقَ - كَذَلِكَ - الْعَلِيُّ - الْعَظِيمُ - يَتَفَطَّرُونَ - أَوْلِيَاءَ - اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ -
بُوكَيْلٍ - أُمُّ الْقُرَى - يَوْمَ الْجَمْعِ - لَا رَيْبَ فِيهِ - السَّعِيرِ - أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ - فِي رَحْمَتِهِ - وَلِيٍّ - نَصِيرٍ -
فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ - ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي - تَوَكَّلْتُ - أُنِيبُ - فَاطِرُ - الْأَنْعَامِ - يَذُرُكُمْ فِيهِ - لَهُ
مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - يَبْسُطُ الرِّزْقَ - وَيَقْدِرُ).

ج:

الكلمة	معناها
(حَمَّ . عَسَقَ)	أحرف مقطعة بُدئت بها بعض السور لا يعلم معناها إلا الله
(كَذَلِكَ)	هكذا
(الْعَلِيُّ)	ذو العلو والارتفاع على كل شيء
(الْعَظِيمُ)	ذو العظمة والكبرياء والجبروت
(يَتَفَطَّرُونَ)	يتشققن
(أَوْلِيَاءَ)	آلهة (يتولونها ويعبدونها)
(اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ)	الله مُحصي أعمالهم مُسَطِّرُهَا عليهم
(بُوكَيْلٍ)	حفيظ (تحفظ أعمالهم وتسجلها)
(أُمُّ الْقُرَى)	هي مكة المكرمة
(يَوْمَ الْجَمْعِ)	يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين
(لَا رَيْبَ فِيهِ)	لا شك في مجيئه وتحقيقه ووقوعه
(السَّعِيرِ)	النار المستعرة التي أوقدت واشتدت
(أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ)	ملة واحدة - أهل دين واحد

تفسير سورة الشورى

٧

في دين الحق - في طاعته التي بها يرحمهم	(فِي رَحْمَةٍ)
شخص يتولاهم ويتولى الدفاع عنهم	(وَلِيٍّ)
شخص ينصرهم	(نَصِيرٍ)
مرد الأمر فيه إلى الله يفصل فيه في الدنيا، وكذلك يوم القيامة يفصل فيه بين العباد	(فَحْكُمُهُ إِلَى اللَّهِ)
هذا هو الله ربي	(فَالِكُمُ اللَّهُ رَبِّي)
اعتمدت عليه وفوضت أمري إليه، وبه وثقت	(تَوَكَّلْتُ)
أرجع إليه (في كل أموري وشؤوني)	(أُنِيبُ)
خالق (على غير مثال سابق)	(فَاطِرُ)
هي الأنعام الثمانية (الجمال والناقة والثور والبقرة والكباش والنعجة والجدي والعنز)	(الْأَنْعَامِ)
يخلقكم فيه - يُعِيشُكُمْ فِيهِ (نسلكم يكون في بطون أمهاتكم - في بطون أزواجكم) ونسل الأنعام يكون في بطون إناثها	(يَذَرُوكُمْ فِيهِ)
مفاتيح خزائن السموات والأرض	(لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)
يوسع الرزق	(يَبْسُطُ الرِّزْقَ)
يضيق - يُقَدِّرُ	(وَيَقْدِرُ)



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾؟

التسهيل لتأويل التنزيل

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هكذا يوحى إليك وإلى الأنبياء من قبلك الله ذو العزة الحكيم في تدبيره وفي شرعه وفي كل شيء.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾) يقول تعالى ذكره: هكذا يوحى إليك يا محمد وإلى الذين من قبلك من أنبيائه. وقيل: إن (حَمَّ ١) عَسَقَ ٢) أوحيت إلى كل نبي بعث، كما أوحيت إلى نبينا □، ولذلك قيل: (كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ) في انتقامه من أعدائه (الْحَكِيمُ) في تدبيره خلقه.



س: أين الله؟ الجواب باختصار؟

ج: الله ﷻ في السماء مستور على العرش، وقد قدمنا الأدلة على ذلك باستفاضة.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ له ملك ما في السموات وما في الأرض، وهو العلي المتعال على كل شيء ذو العلو والارتفاع على كل شيء وهو في سماواته مستور على عرشه ذو العظمة والكبرياء والجبروت.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: لله ملك (مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) من الأشياء كلها (وَهُوَ الْعَلِيُّ) يقول: وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه، لأنهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته (الْعَظِيمُ) الذي له العظمة والكبرياء والجبرية.



س: اذكر بعض الآيات في إثبات اسم العلي لله ﷻ أو إثبات معناه.

ج: من ذلك قوله تعالى:

(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (سبأ: ٢٢).

وقوله تعالى: (عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) (الرعد: ٩).

وقوله تعالى: (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (الشورى: ٤).

وقوله تعالى: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (الأعلى: ١).



س: ما السبب الذي من أجله كادت السموات أن تتفطر؟

ج: قال بعض العلماء: تكاد السموات أن تتفطر من عظمة الرحمن وجلاله، صح ذلك عن قتادة عند الطبري، وروي بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قال: يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى، وكذا نقل عن غير واحد من العلماء.

وهناك سبب آخر لتفطر السماء: وهو تشققها سقوطًا على الكفار لكفرهم ولكبير افتراءهم، قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ

التسهيل لتأويل التنزيل

شَيْئًا إِذَا ۞ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا ۞ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۞ ... ﴿٨٨-٩١﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

وجه ثالث: أنها تنفطر لعظم ما يحدث يوم القيامة قال تعالى: (فَكَيْفَ تَقُولُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۞ السَّمَاءُ مِنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۞) [المزمل: ١٧-١٨]، والله أعلم.

قال الشنقيطي رحمه الله «أضواء البيان»:

واعلم أن سبب مقاربة السماوات للنفطر، في هذه الآية الكريمة، فيه للعلماء وجهان كلاهما يدل له قرآن:

الوجه الأول: أن المعنى تكاد السماوات يتفطرن خوفا من الله، وهيبة وإجلالا، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى قبله (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۞) [الشورى: ٤]، لأن علوه وعظمته سبب للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تنفطر.

وعلى هذا الوجه فقله بعده: (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) مناسبتة لما قبله واضحة؛ لأن المعنى: أن السماوات في غاية الخوف منه تعالى والهيبة والإجلال له، وكذلك سكانها من الملائكة فهم (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، مع إثباتهم له كل كمال وجلال، خوفا منه وهيبة وإجلالا، كما قال تعالى: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ) [الرعد: ١٣]، وقال تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞) [النحل: ٤٩-٥٠].

فهم لشدة خوفهم من الله، وإجلالهم له يسبحون بحمد ربهم، ويخافون

على أهل الأرض، ولذا يستغفرون لهم خوفاً عليهم من سخط الله، وعقابه، ويستأنس لهذا الوجه بقوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) إلى قوله: (وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا) [الأحزاب: ٧٢]، لأن الإشفاق الخوف.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) يعني لخصوص الذين آمنوا منهم وتابوا إلى الله واتبعوا سبيله، كما أوضحه تعالى بقوله: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا).

[غافر: ٧]

فقوله: (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) يوضح المراد من قوله: (لِمَنْ فِي الْأَرْضِ).

ويزيد ذلك إيضاحاً قوله تعالى عنهم إنهم يقولون في استغفارهم للمؤمنين: (فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) [غافر: ٧]؛ لأن ذلك يدل دلالة واضحة على عدم استغفارهم للكفار.

الوجه الثاني: أن المعنى (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ) من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والأرض جل وعلا، من كونه اتخذ ولداً، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهذا الوجه جاء موضحاً في سورة مريم، في قوله تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١) [مريم: ٨٨-٩١]، كما قدمنا إيضاحه.

وغاية ما في هذا الوجه أن آية شورى هذه فيها إجمال في سبب تفرط السماوات، وقد جاء ذلك موضحاً في آية مريم المذكورة. وكلا الوجهين حق.



س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ**

رَبِّهِمْ)؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: والملائكة ينزهون ربهم ﷻ عن ما يصفه به الوصفون المشركون فيقولون سبحانك اللهم وبحمدك.

الثاني: والملائكة يصلُّون لله ربهم يركعون ويسجدون وتسبيحهم هذا من فضل الله عليهم.

الثالث: أن الملائكة يسبحون له من عظمته فيقولون سبحانك ربنا ما أعظمك.

الرابع: أن الملائكة يسبحون تعجباً من جرأة المشركين وافترائهم على الله وتعريض أنفسهم لسخط الله.

*** أما قوله: (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)** فقد قيل في معناها: بأمر ربهم، وقيل: يمزجون التسبيح بالحمد فيقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، وقيل: إن تسبيحهم من توفيق الله لهم.



س: **هل الملائكة يستغفرون لكل من في الأرض؟**

ج: يستغفرون لأهل الإيمان فقط.

قال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا

سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ [غافر: ٧].



س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**

اللَّهُ حَفِظْتُ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾)

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويطلبون نصرتها وعونها وتفريجها الهموم والغموم وكشف الكربات، ويسجدون لها ويتقربون إليها، هؤلاء الذين عبدوا هذه الآلهة مع الله وجعلوها بزعمهم شريكة لله ﷻ، وكذا الذين عبدوها وتركوا بسببها عبادة الله، هؤلاء الذين يصنعون ذلك لن يتركوا، فإله ﷻ يكتب أعمالهم التي يعملوها ويحصيها ويأمر ملائكته بذلك بكتابة الأعمال وإحصائها وحفظها في كتاب، وأما أنت يا رسول الله فليست بموكل بحفظ أعمال هؤلاء ولا بإحصائها.

*** قال الطبري رحمه الله:**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □ (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا) يا محمد من مشركي قومك (مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) آلهة يتولونها ويعبدونها (اللَّهُ حَفِظْتُ عَلَيْهِمْ) يحصي عليهم أفعالهم، ويحفظ أعمالهم، ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾) .

يقول: ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنما أنت منذر، فبلغهم ما أرسلت به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.



س: **قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) لماذا اتخذوا الأولياء؟**

ج: اتخذوهم أولياء لعبادتهم ولطلب النصرة منهم وكشف الضرّ وجلب النفع لهم بزعمهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «أضواء البيان»:

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) أي أشركوا معه شركاء يعبدونهم من دونه، كما أوضح تعالى ذلك في قوله: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢﴾) [الزمر: ٣].

س: ما الأولياء الذين اتخذهم الكفار؟

ج: هم الأصنام والشياطين، وكل ما عُبد من دون الله ﷻ.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «أضواء البيان»:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله تعالى: (إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾) [الأعراف: ٣٠]، وقوله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) [آل عمران: ١٧٥]، أي يخوفكم أولياءه. وقوله تعالى: (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ) [النساء: ٧٦].

وقد وبخهم تعالى على اتخاذهم الشيطان وذريته أولياء من دونه تعالى

في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ الظَّلِيمِينَ بَدَلًا



[الكهف: ٥٠]

وقد أمر جل وعلا باتباع هذا القرآن العظيم، ناهيا عن اتباع الأولياء المتخذين من دونه تعالى، في أول سورة الأعراف في قوله تعالى: (اتَّبِعُوا

مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الأعراف: ٣].
وقد علمت من الآيات المذكورة أن أولياء الكفار الذين اتخذوهم
وعبدوهم من دون الله نوعان:

الأول منهما: الشياطين، ومعنى عبادتهم للشيطان طاعتهم له فيما يزين
لهم، من الكفر والمعاصي، فشرّكهم به شرك طاعة، والآيات الدالة على
عبادتهم للشياطين بالمعنى المذكور كثيرة كقوله تعالى: ﴿لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَى
ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]، وقوله تعالى عن إبراهيم (يَتَّبِعُ لَا تَعْبُدِ
الشَّيْطَانَ) [مريم: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]، أي وما يعبدون إلا شيطانًا مريدًا، وقوله
تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ
﴿٤١﴾﴾ [سبا: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ
مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ
لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، إلى غير ذلك من
الآيات.

والنوع الثاني هو: الأوثان، كما بين ذلك تعالى بقوله: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا...﴾ الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وهكذا يا رسول الله أوحينا إليك هذا
القرآن كما أوحينا إلى من كانوا قبلك من الأنبياء والمرسلين. أوحينا إليك

قرآنًا عربيًا بلسان قومك حتى يفهموا قولك ويعقلوا عنك المراد، أوحينا إليك هذا القرآن إنذارًا وتحذيرًا لأهل مكة ومن حولهم إنذارًا وتحذيرًا من عذاب الله الكائن يوم الجمع، جمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ذلكم اليوم الذي لا شك في وقوعه وتحققه، فهناك ينقسم القوم فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وهكذا (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلسان العرب، لأن الذين أرسلناك إليهم قوم عرب، فأوحينا إليك هذا القرآن بالسننهم، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره، لأننا لا نرسل رسولاً إلا بلسان قومهم، ليبين لهم (لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى) وهي مكة (وَمَنْ حَوْلَهَا) يقول: ومن حول أم القرى من سائر الناس.

ثم قال:

وقوله: (وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) يقول ﷻ: وتنذر عقاب الله يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض. وقيل: وتنذر يوم الجمع، والمعنى: وتنذرهم يوم الجمع، كما قيل: يخوف أوليائه، والمعنى: يخوفكم أوليائه.

وقال كذلك: وقوله: (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) ﴿٧﴾ يقول: منهم فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله (وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) ﴿٧﴾ يقول: ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) أي: وكما أوحينا إليك وإلى من قبلك هذه المعاني فكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا بيناه بلغة العرب قيل : أي أنزلنا عليك قرآنا عربيا بلسان قومك كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه والمعنى واحد ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ يعني مكة وقيل لمكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها (وَمَنْ حَوْهَا) من سائر الخلق (وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) أي بيوم الجمع وهو يوم القيامة (لَارِيبَ فِيهِ) لا شك فيه : (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) ﴿٧﴾ ابتداء وخبر وأجاز الكسائي النصب على تقدير : لتنذر فريقا في الجنة وفريقا في السعير.



س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، وغيره من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟». قال: قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله. قال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين، بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً». ثم قال للذي في يساره: «هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً». فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذاً نعمل إن كان هذا أمراً قد فرغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنْ صاحب الجنة يَخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنْ صاحب النار لِيَخْتَمَ لَهُ بِعَمَلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ». ثم قال بيديه فقبضهما، ثم قال: «فرغ ربكم -

﴿عَنْكَ﴾ - من العباد». ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال: «فريق في الجنة»، ونبذ باليسرى فقال: «فريق في السعير»^(١).

ج: الحديث سنده صحيح.



س: هل رسول الله ﷺ أوحى إليه القرآن لينذر أهل مكة ومن حولها فقط؟

ج: كلا بل لينذر الثقلين (الإنس والجن).

* قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾).

[الفرقان: ١]

* وفي الآية الكريمة: (وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ) [الأنعام: ١١٩].

* وقال تعالى: (قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا).

[الأعراف: ١٥٨]

* وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [سبأ: ٢٨].

س: اذكر بعض الآيات المذكّرة بيوم القيامة المحذّرة منه ومما فيه؟

ج: من ذلك قوله تعالى: (وَنُذِرْ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ) [الشورى: ٧].

* وقوله تعالى: (وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: ٢٨١].

* وقوله تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ).

[الحشر: ١٨]

* وقوله تعالى: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾).

(١) أحمد (١٦٧/٢)، والترمذي (٢١٤١)، والنسائي (١١٤٧٣)، وغيرهم، من طرق عن أبي

قُبَيْل عن شُفْي عن عبد الله بن عمرو، وهذا إسناد صحيح مع غرابة متنه.

[المزمل: ١٧]

* وقوله تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ) [غافر: ١٨].

* وقوله تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾).

[المطففين: ٤-٥]



س: نفى الله عن المشك عن وقوع يوم القيامة في عدة آيات. اذكر بعضها.

ج: من ذلك قوله تعالى: (وَنُذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ).

* وقوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ).

[النساء: ٨٧]

* وقوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ) [آل عمران: ٢٥].

* وقوله تعالى: (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا) [الحج: ١٧].

* وقوله تعالى: (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) [النحل: ١١].

* وقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ).

[الجاثية: ٣٢]



س: لماذا أطلق على يوم القيامة يوم الجمع؟

ج: لأن الله ﷻ يجمع فيه الأولين والآخرين، والإنس والجن، بل والدواب كذلك.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «أضواء البيان»:

وإنما سمي يوم القيامة يوم الجمع، لأن الله يجمع فيه جميع الخلائق، والآيات الموضحة لهذا المعنى، كثيرة كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾) [الواقعة: ٤٩-٥٠]، وقوله تعالى: (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾) [المرسلات: ٣٨]، وقوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ) [النساء: ٨٧]، وقوله تعالى: (يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ) [التغابن: ٩]، وقوله تعالى: (ذَلِكَ يَوْمُ جَمْعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٍ) [هود: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥]، وقوله تعالى: (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) [الكهف: ٤٧].

وقد بيّن تعالى شمول ذلك الجمع لجميع الدواب والطيور في قوله تعالى:

(وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [الأنعام: ٣٨].



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)

الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولو شاء الله لجعل عباده أهل ملة واحدة

وأهل دين واحدٍ إما على الإسلام وإما على الكفر، ولكن جرت حكمته سبحانه وتعالى ومضت سنته، وقدّر قدره الذي يريده بأن جعل من الناس برحمته من هو مؤمن وجعل من الناس من هو كافرٌ وقضى لأهل الإيمان - جعلنا الله منهم - بفسيح الجنان وقضى على أهل الكفر - عيادًا بالله - بالسعير.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى، ويجعلهم على ملة واحدة لفعل، ﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول: أهل ملة واحدة، وجماعة مجتمعة على دين واحد ولكن يدخل من يشاء في رحمته.

يقول: لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة، ولكن يدخل من يشاء من عباده في رحمته، يعني أنه يدخله في رحمته بتوفيقه إياه للدخول في دينه، الذي ابتعث به نبيه محمداً □ ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٨).

يقول: والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم، فينفذهم من عذابه، ويقتصص لهم ممن عاقبهم، وإنما قيل هذا لرسول الله □ تسلياً له عما كان يناله من الهم بتولية قومه عنه، وأمره له بترك إدخال المكروه على نفسه من أجل إديار من أدبر عنه منهم، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحق، وإعلاماً له أن أمور عباده بيده، وأنه الهادي إلى الحق من شاء، والمضل من أراد دونه، ودون كل أحد سواه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أي: إما على الهداية أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم، فهدى من شاء إلى الحق، وأضل من شاء عنه، وله الحكمة والحجة البالغة؛ ولهذا قال: (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ

وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾.



MOSTAFAALADWY.COM

س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ قَالَ اللَّهُ هُوَ**

الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أم اتخذ هؤلاء المشركون أولياء غير الله يطلبون نصرتهم ويعبدونهم ويسجدون لهم فليعلم هؤلاء أن الله ﷻ هو الإله الحق، هو الذي ينصر ويكشف الضر ويجيب المضطر فليتخذوه ولياً فهو الذي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله **(٢)**

يتولونهم. (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) يقول: فالله هو ولي أوليائه، وإياه فليتخذوا ولياً لا الآلهة والأوثان، ولا ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً. (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِينَ) يقول: والله يحيي الموتى من بعد مماتهم، فيحشرهم يوم القيامة. (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾) يقول: والله القادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك، إنه ذو قدرة على كل شيء.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (أَمِ اتَّخَذُوا) أي: بل اتخذوا. (مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) يعني: أصناماً. (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) أي: وليك يا محمد وولي من اتبعك، لا ولي سواه. (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِينَ) يريد عند البعث. (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وغيره من الأولياء لا يقدر على شيء.

(١) ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿أَمِ﴾ بمعنى (بل).

(٢) وقوله: (من دون الله) يحتمل معنيين أحدهما: غير الله، والثاني: مع الله، وهذا وذاك إلحاد وضلال وشرك.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

ج: هذه تحتل معان، منها:

وأى شيء يتنازعون فيه وتختلفون فردوه إلى كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: (فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَردُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) [النساء: ٥٩].

وكما قال: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا) [النساء: ٦٥].

*** والوجه الثاني:** وأى شيء تختلفون فيه في الدنيا وتتنازعون وجوه الحق فيه فالله ﷻ يقضي بينكم فيه يوم القيامة فيظهر للمصيب أنه مُصيب، ويظهر ويتبين للمخطئ خطؤه. والله أعلم. وبنحو هذا جاءت الأقوال عن أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) يقول تعالى ذكره: وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم، فحكمه إلى الله يقول: فإن الله هو الذي يقضي بينكم ويفصل فيه الحكم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ) حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين أي وما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين من أمر الدين فقولوا لهم حكمه إلى الله لا إليكم وقد حكم أن الدين هو الإسلام لا

غيره وأمر الشرائع إنما تتلقى من بيان الله.

MOSTAFAALADWY.COM

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) أي: مهما اختلفتم فيه من الأمور وهذا عام في جميع الأشياء، (فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) أي: هو الحاكم فيه بكتابه، وسنة نبيه □، كقوله: (فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) [النساء: ٥٩].
(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي) أي: الحاكم في كل شيء، (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (١٠) أي: أرجع في جميع الأمور.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ).

ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره، جاء موضحاً في آيات كثيرة.
فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته قال في حكمه: (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) (٢٦) [الكهف: ٢٦]، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: ﴿وَلَا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ بصيغة النهي.

وقال في الإشراك به في عبادته: (مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (١١٠) [الكهف: ١١٠]، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله.

وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه، كفر بواح لا نزاع فيه.
وقد دل القرآن في آيات كثيرة، على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع

تشريع غيره كفر به، فمن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) [يوسف: ٤٠]، وقوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) [يوسف: ٦٧]، وقوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) [الأنعام: ٥٧]، وقوله: (وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: (وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) [الأنعام: ٣٦]، وقوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [الكهف: ٢٦]، وقوله تعالى: (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصاص: ٢٨]، وقوله تعالى: (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصاص: ٢٨].

[القصاص: ٧٠]

وقال الشنقيطي أيضاً:

وأما الآيات الدالة على أن اتباع تشريع غير الله المذكور كفر فهي كثيرة جداً، كقوله تعالى: (إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) [النحل: ١٠٠]، وقوله تعالى: (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) [الأنعام: ١٢١]، وقوله تعالى: (لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) [يس: ٦٠]، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً، كما تقدم إيضاحه في الكهف.

وقال الشنقيطي أيضاً في «أضواء البيان»^(١):

مسألة

اعلم أن الله جلّ وعلا بين في آيات كثيرة، صفات من يستحق أن يكون الحكم له، فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة، التي

(١) أضواء البيان (١٦٣/٧).

سنوضحها الآن إن شاء الله، ويقابلها مع صفات البشر المشرعين للقوانين الوضعية، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع. سبحانه الله وتعالى عن ذلك.

فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون، فليتبع تشريعهم. وإن ظهر يقيناً أنهم أحقر وأخس وأذل وأصغر من ذلك، فليقف بهم عند حدهم، ولا يجاوزهم إلى مقام الربوبية. سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته، أو حكمه أو ملكه.

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله هنا: (وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ)، ثم قال مبيهاً صفات من له الحكم ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَّبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١٠) فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) [الشورى: ١٠-١٢].

فهو في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السماوات والأرض أي خالقهما ومخترعهما، على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجاً، وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة في قوله تعالى: (ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ أَثْنَيْنِ) الآية [الأنعام: ١٤٣]، وأنه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وأنه له مقاليد السماوات والأرض، وأنه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يضيقه على من يشاء وهو بكل شيء عليم.

فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعا من كافر خسيس حقير جاهل.

ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، فقله فيها: (فردُّهُ إِلَى اللَّهِ) كقله في هذه: (فَحْكْمُهُ إِلَى اللَّهِ).

وقد عجب نبيه □ بعد قوله: (فردُّهُ إِلَى اللَّهِ) من الذين يدعون الإيمان مع أنهم يريدون المحاكمة، إلى من لم يتصف بصفات من له الحكم، المعبر عنه في الآية بالطاغوت، وكل تحاكم إلى غير شرع الله فهو تحاكم إلى الطاغوت، وذلك في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ٦٠) [النساء: ٦٠].

فالكفر بالطاغوت، الذي صرح الله بأنه أمرهم به في هذه الآية، شرط في الإيمان كما بينه تعالى في قوله: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) [البقرة: ٢٥٦].

فيفهم منه أن من لم يكفر بالطاغوت لم يتمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يستمسك بها فهو مترد مع الهالكين.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ٦١) [الكهف: ٢٦].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأن له غيب السماوات والأرض؟ وأن يبالغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكل المسموعات وبصره بكل المبصرات؟ وأنه ليس لأحد دونه من ولي؟

سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٨٨) [القصص: ٨٨].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟ تبارك ربنا وتعظم وتقدس أن يوصف أخس خلقه بصفاته.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) (١٢) [غافر: ١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين النظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف في أعظم كتاب سماوي، بأنه العلي الكبير؟ سبحانك ربنا وتعاليت عن كل ما لا يليق بكمالك وجلالك.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٧٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ) (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تَبْصُرُونَ) (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٧٣) [القصص: ٧٠-٧٣].

فهل في مشرعي القوانين الوضعية، من يستحق أن يوصف بأن له الحمد في الأولى والآخرة، وأنه هو الذي يصرف الليل والنهار مبينا بذلك كمال قدرته وعظمة إنعامه على خلقه؟

سبحان خالق السماوات والأرض، جل وعلا أن يكون له شريك في

حكمه أو عبادته، أو ملكه.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٤٠].

فهل في أولئك من يستحق أن يوصف بأنه هو الإله المعبود وحده، وأن عبادته وحده هي الدين القيم؟

سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ومنها قوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ [يوسف: ٦٧].

فهل فيهم من يستحق أن يتوكل عليه، وتفوض الأمور إليه؟

ومنها قوله تعالى: (وَإِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾).

[المائدة: ٤٩-٥٠]

فهل في أولئك المشرعين من يستحق أن يوصف بأن حكمه بما أنزل الله وأنه مخالف لاتباع الهوى؟ وأن من تولى عنه أصابه الله ببعض ذنوبه؟ لأن الذنوب لا يؤاخذ بجميعها إلا في الآخرة؟ وأنه لا حكم أحسن من حكمه لقوم يوقنون؟

سبحان ربنا وتعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

ومنها قوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾).

[الأنعام: ٥٧]

فهل فيهم من يستحق أن يوصف بأنه يقص الحق، وأنه خير

الفاصلين؟

ومنها قوله تعالى: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) [الأنعام: ١١٤-١١٥].

فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي أنزل هذا الكتاب مفصلاً، الذي يشهد أهل الكتاب أنه منزل من ربك بالحق، وبأنه تمت كلماته صدقا وعدلا أي صدقا في الأخبار، وعدلا في الأحكام، وأنه لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم؟
سبحان ربنا ما أعظمه وما أجل شأنه.

ومنها قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلَا لِلَّهِ آذَنٌ لِّكُمْ عَلَىٰ اللَّهِ تَفَرُّوْنَ) [يونس: ٥٩].

فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي ينزل الرزق للخلائق، وأنه لا يمكن أن يكون تحليل ولا تحريم إلا بإذنه؟ لأن من الضروري أن من خلق الرزق وأنزله هو الذي له التصرف فيه بالتحليل والتحريم؟

سبحانه جل وعلا أن يكون له شريك في التحليل والتحريم.
ومنها قوله تعالى: (وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾) .

[المائدة: ٤٤]

فهل فيهم من يستحق الوصف بذلك؟

سبحان ربنا وتعالى عن ذلك.

ومنها قوله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا

حَرَامٌ لِّفَتْرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

فقد أوضحت الآية أن المشرعين غير ما شرعه الله إنما تصف ألسنتهم الكذب، لأجل أن يفتروه على الله، وأنهم لا يفلحون وأنهم يمتعون قليلاً ثم يعذبون العذاب الأليم، وذلك واضح في بعد صفاتهم من صفات من له أن يحل ويحرم.

ومنها قوله تعالى: (قُلْ هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ) [الأنعام: ١٥٠].

فقوله: (هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمْ) صيغة تعجيز، فهم عاجزون عن بيان مستند التحريم، وذلك واضح في أن غير الله لا يتصف بصفات التحليل ولا التحريم، ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أو كونية قدرية، من خصائص الربوبية، كما دلت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع رباً، وأشركه مع الله. إلى آخر ما قاله رحمه الله.



س: وضح معنى قوله: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (٢٠).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هذا هو الله ربي ﷻ الذي تُرد إليه الأمور عند التنازع، والذي يقضي بين العباد يوم القيامة، الذي له الخلق والأمر، هو ربي ﷻ اعتمدت عليه في أموري كلها وفي شؤوني كلها، وإليه مرجعي ومصيري، وإليه أتوب وأرجع عن ذنوبي.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي، لا آلهتكم التي تدعون من دونه، التي لا تقدر على شيء (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) في أموري، وإليه فوضت أسبابي، وبه وثقت (وَالَيْهِ أُنِيبُ) يقول: وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي.

وقال القرطبي رحمه الله:

(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي) أي الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده وفيه إضمار: أي قل لهم يا محمد ذلكم الله الذي يحيى الموتى ويحكم بين المختلفين هو ربي (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) اعتمدت (وَالَيْهِ أُنِيبُ) أرجع.



س: كثيراً ما نُذَكِّرُ في كتاب الله ﷻ بأحوال أهل الإيمان التي منها أنهم يتوجهون إليه بقلوبهم وأعمالهم ويعتمدون عليه في أمورهم. دَلِّلْ على ذلك.

ج: ذكر ذلك العلامة السعدي في تفسيره «تيسير الكلام الرحمن» فقال:

وقوله: (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع ودفع المضار، واثقا به تعالى في الإسعاف بذلك. (وَالَيْهِ أُنِيبُ) أي: أتوجه بقلبي وبدني إليه، وإلى طاعته وعبادته.

وهذان الأصلان، كثيراً ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله

تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) [هود: ١٢٣].



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، جعل الله ﷻ لكم يابني آدم من أنفسكم أزواجا نساءً، وكذا جعل من الأنعام أنعاماً أزواجا ذكرا وإناثا، فجعل الجمل والناقة، وجعل الثور والبقرة، وجعل الكباش والنعجة، وجعل الجدي والعنز، وهكذا، كما قال تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الذاريات: ٤٩].

*** أما قوله تعالى: (يَذُرُّكُمْ فِيهِ) فقد قال بعض أهل العلم إن معناه** يخلقكم فيه، أن يخلقكم في بطون الأزواج والمعنى يخلق أبناءكم في بطون أزواجكم ويعيشهم فيها برهة من الزمن إلى أن تلد الأم ولدها، وكذا يخلق ويعيش الأنعام في بطون إناثها وأمهااتها برهة من الزمن إلى أن تضع الأنثى وليدها وينحو هذا جاءت الأقوال عن أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله: وقوله: (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) يقول تعالى ذكره: زوجكم ربكم من أنفسكم أزواجا. وإنما قال جل ثناؤه: (مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) لأنه خلق حواء من ضلع آدم، فهو من الرجال (وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) يقول جل ثناؤه: وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ذكورا وإناثا، ومن كل جنس من ذلك. (يَذُرُّكُمْ فِيهِ) يقول: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم

فيما جعل لكم من الأنعام. وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: (يَذَرُوكُمْ فِيهِ) في هذا الموضع، فقال بعضهم: معنى ذلك: يخلقكم فيه. **ثم قال الطبري:** وقال آخرون: بل معناه يُعيشكم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه، أراد بقوله ذلك: يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا. وقد بينت معنى نزع الله الخلق فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي: خالقهما وما بينهما، (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) أي: من جنسكم وشكلكم، منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكرا وأنثى، (وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) أي: خلق لكم في الأنعام ثمانية أزواج.

وقوله: (يَذَرُوكُمْ فِيهِ) أي: يخلقكم فيه، أي: في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذروكم فيه ذكورا وإناثا، خلقا من بعد خلق، وحيلا بعد جيل، ونسلا بعد نسل، من الناس والأنعام.

وقال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: (يَذَرُوكُمْ فِيهِ) أي: في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: في هذا الوجه من الخلقة.

قال مجاهد: ونسلا بعد نسل من الناس والأنعام.

وقيل: (في) بمعنى (الباء)، أي: يذروكم به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالرفع على النعت لاسم الله أو على تقدير هو فاطر ويجوز النصب على النداء والجر على البدل من الهاء في «عليه» والفاطر : المبدع والخالق وقد تقدم (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) قيل معناه إناثا وإنما قال : (مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) لأنه خلق حواء من ضلع آدم وقال مجاهد : نسلا بعد نسل (وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) يعني الثمانية التي ذكرها في (الأنعام) ذكور الإبل والبقر والضأن والمعز وإناثها (يَذَرُوكُمْ فِيهِ) أي: يخلقكم وينسلكم (فِيهِ) أي: في الرحم وقيل : في البطن وقال الفراء وابن كيسان : (فِيهِ) بمعنى به وكذلك قال الزجاج : معنى ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ يكثركم به أي يكثركم يجعلكم أزواجا أي حلائل لأنهن سبب النسل وقيل : إن الهاء في (فِيهِ) للجعل ودل عليه (جَعَلَ) فكأنه قال : يخلقكم ويكثركم في الجعل ابن قتيبة : (يَذَرُوكُمْ فِيهِ) أي في الزوج أي يخلقكم في بطون الإناث وقال : ويكون (فِيهِ) في الرحم وفيه بعد لأن الرحم مؤنثة ولم يتقدم لها ذكر.

منهج في الصفات

س: قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾). يوضح
منهجاً في الصفات اذكره بإيضاح مع إيضاح معنى الآية الكريمة.

ج: أما عن معنى الآية الكريمة فحاصله ليس كربنا سبحانه وتعالى
شيء أي أنه لا يشبهه شيء، ومع ذلك فهو سميع بصير، سميع لما
ينطق به الخلق، بصير بأعمالهم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فيه وجهان: أحدهما أن يكون معناه: ليس
هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام إذا اختلف اللفظ به
وبالكاف، وهما بمعنى واحد، كما قيل:

ما إن نديت بشيء أنت تكرهه

فأدخل على «ما» وهي حرف جحد «إن» وهي أيضاً حرف جحد،
لاختلاف اللفظ بهما، وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام، وكما قال أوس بن
حجر:

وقتلَى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر

ومعنى ذلك: كجذوع النخيل، وكما قال الآخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما إن كمثلهم في الناس من أحد

والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة

في الكلام، كقول الراجز:

وصاليات ككَمَا يُوثِقِينَ

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه، وكما قال الآخر:

تنفي الغياديق على الطريق قاص عن كبيضة في نيق

فأدخل الكاف مع «عن»، وقد بينا هذا في موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح، فلذلك تجوزنا في البيان عنه في هذا الموضع.

وقوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾) يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محصن صغيره وكبيره (وَلِجَزَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) [الجاثية: ٢٢] من خير أو شر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) أي: ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له، (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثل شيء، لانفراده وتوحيده بالكمال من كل وجه. (وَهُوَ السَّمِيعُ) لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. (الْبَصِيرُ ﴿١١﴾) يرى دبيب النملة السوداء، في

التسهيل لتأويل التنزيل

الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة. وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها رد على المشبهة في قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وعلى المعطلة في قوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١).

وقال القرطبي رحمه الله:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١) قيل : إن الكاف زائدة للتوكيد أي ليس مثله شيء قال :

وصاليات كَمَا يُؤْتَقِنُ

فأدخل على الكاف كافا تأكيدا للتشبيه وقيل : المثل زائدة للتوكيد وهو قول ثعلب كهو شيء نحو قوله تعالى : (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا) [البقرة : ١٣٧] وفي حرف ابن مسعود: (فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا) قال أوس بن حجر :

وقتل كمثل جذوع النخيل يغشاهم مطر منهمر

* أما عن المنهج الذي توضحه الآية في باب الصفات فحاصله:

أننا نثبت لله ﷻ ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ مع نفي المشابهة، أي: لا نشبهه سبحانه وتعالى بخلقه.

فنعقد أن لله ﷻ يدٌ ولكنها ليست كيد خلقه.

قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١].

وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقال تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) [المائدة: ٦٤].

وكذا نعتقد أن الله ﷻ سميع يسمع وبصير يرى، ولكن ليس سمعه كسمعنا وليس بصره كبصرنا.

فنحن البشر نرى من أمامنا ولا نرى من خلفنا، ولا من عن يميننا ولا من عن يسارنا ولا من فوقنا، ونرى لأمدٍ محدودٍ لا تتجاوزه أبصارنا لكن ربنا يرى الخلائق أجمع، ويرى ما هو ظاهر لنا، وما هو خفي علينا، وهكذا يرى من في السموات ومن في الأرض، وكذا يسمع ولكن سمعه ليس كسمعنا فنحن نسمع إذا تكلم أمامنا شخصٌ أما إذا تكلم شخصان أشكل علينا السماع شيئاً ما.

أما إذا تكلم أمامنا عشرة أشخاص في آن واحد فيستحيل أن نفهم مراد كل واحد منهم، فكيف إذا تكلم ألف وكيف إذا تكلم مليون وكيف إذا تكلمت الخلائق أجمع؟!

إن ربي ﷻ يسمع كل هؤلاء وإن تكلموا في آن واحد، فالله يسمع، لكن سمعه ليس كسمع خلقه.

قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]،

والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١٢).

ج: المعنى، والله أعلم، له مفاتيح خزائن السموات والأرض يوسع على من يشاء من عباده ويضيق على من يشاء إنه بكل شيء عليم، عليم بمن

يصلحه المال وبمن يُطغيه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يقول: يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه، ويبسط له، ويكثر ماله ويغنيه. ويقدر: يقول: ويقتر على من يشاء منهم فيضيقه ويفقره. (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾) يقول: إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع، وتقديره على من يقتدر، ومن الذي يصلحه البسط عليه في الرزق، ويفسده من خلقه، والذي يصلحه التقدير عليه ويفسده، وغير ذلك من الأمور، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقدير وغيره، من صلاح تدبير خلقه.

يقول تعالى ذكره: فإلى من له مقاليد السموات والأرض الذي صفته ما وصفت لكم في هذه الآيات أيها الناس فارغبوا وإياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهة والأصنام، التي لا تملك لكم ضرراً ولا نفعاً.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) تقدم تفسيره في «سورة الزمر»، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم فيهما، (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) أي: يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وله الحكمة والعدل التام، (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) : له مفاتيح خزائن السموات والأرض وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

وقوله: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي: له ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة. فكل الخلق مفتقرون إلى الله، في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شيء.

والله تعالى هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع الشر إلا هو، و (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) (إفطر: ٢٢).

ولهذا قال هنا: (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ) أي: يوسعه ويعطيه من أصناف الرزق ما شاء، (وَيَقْدِرُ) أي: يضيق على من يشاء، حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها، وكل هذا تابع لعلمه وحكمته، فلهذا قال: (إِنَّهُ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾) فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته وتقضيه مشيئته.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «أضواء البيان»:

مقاليد السموات والأرض هي مفاتيحهما، وهو جمع لا واحد له من لفظه، فمفردا إقليد، وجمعها مقاليد على غير قياس، والإقليد المفتاح. وقيل: واحداه مقلد، وهو قول غير معروف في اللغة.

وكونه جلّ وعلا (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي مفاتيحهما كناية عن كونه جلّ وعلا هو وحده المالك لخزائن السموات والأرض لأن ملك مفاتيحها يستلزم ملكها.

وقد ذكر جلّ وعلا مثل هذا في سورة الزمر في قوله تعالى: (اللَّهُ خَلَقَ

كُلِّ شَيْءٌ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٦٣﴾ **[الزمر: ٦٢-٦٣]**.

وما دلت عليه آية الشورى هذه وآية الزمر المذكورتان من أنه جلّ وعلا هو مالك خزائن السماوات والأرض، جاء موضحاً في آيات آخر كقوله تعالى: (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُسْتَفْهِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ **[المنافقون: ٧]**، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾ **[الحجر: ١١]**).

وبين في مواضع آخر أن خزائن رحمته لا يمكن أن تكون لغيره، كقوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿١﴾ **[ص: ٩]**، وقوله تعالى: (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ ﴿٣٧﴾ **[الطور: ٣٧]**، وقوله تعالى: (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ

تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا) **[الإسراء: ١٠٠]**.
وقوله في هذه الآية الكريمة: (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) جاء معناه موضحاً في آيات آخر كقوله تعالى: (قُلْ إِنْ رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ) **[سبا: ٣٩]**. وقوله تعالى: (قُلْ إِنْ رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ **[سبا: ٣٦]**، وقوله تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) **[الرعد: ٢٦]**، وقوله تعالى: (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) **[النحل: ٧١]**، وقوله تعالى: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) **[الزخرف: ٣٢]**، وقوله تعالى: (إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا) **[النساء: ١٣٥]**، وقوله تعالى: (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) **[الطلاق: ٧]**، وقوله تعالى: (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) **[الطلاق: ٧]** أي ضيق عليه رزقه لقلته،

وكذلك قوله (بَسْطَ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) في الآيات المذكورة.
 أي يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له ويقدر، أي يضيق الرزق على
 من يشاء تضيقه عليه كما أوضحناه في سورة الأنبياء في الكلام على
 قوله تعالى: (فَظَنُّوا أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ) [الأنبياء: ٨٧].
 وقد بين جُلَّ و علا في بعض الآيات حكمة تضيقه للرزق على من
 ضيقه عليه.
 وذكر أن من حكم ذلك أن بسط الرزق للإنسان، قد يحمله على البغي
 والطغيان كقوله تعالى: (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ
 بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) [الشورى: ٢٧]، وقوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ
 لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ) [العلق: ٦-٧].

قال الله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ مَخْنُوعَةٌ دَاحِضَةٌ عَنْ رَبِّهِمْ وَغَلِيظٌ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ۞

[الشورى: ١٣-]

س: اذكر معنى ما يلي:

- ﴿شَرَعَ - وَصَّى - أَقِيمُوا الدِّينَ - كَبُرَ - يَجْتَبِى إِلَيْهِ - يُنِيبُ - بَغْيًا بَيْنَهُمْ - مُرِيبٌ - فَلِذَلِكَ فَادْعُ - لَا حُجَّةَ - يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ - مَجْنُومٌ دَاحِضَةٌ - وَالْمِيزَانُ - مُشْفِقُونَ - يُمَارُونَ - ضَلَالٌ بَعِيدٌ﴾.

ج:

معناها	الكلمات
سنّ - فرض	(شَرَعَ)
أمر	(وَصَّى)
اعملوا بما ألزمكم الله به	(أَقِيمُوا الدِّينَ)
شقّ - عظم - اشتد	(كَبُرَ)
يختار	(يَجْتَبِى إِلَيْهِ)
يرجع (إلى ربّه) يقبل على طاعة الله ويرجع إليها	(يُنِيبُ)
حسدًا وعداوة وتعدّيًا (من بعضهم على بعض)	(بَغْيًا بَيْنَهُمْ)
مُحِيرٌ	(مُرِيبٌ)
فالى الدين الذي أوصى الله به من كانوا قبلك فادع	(فَلِذَلِكَ فَادْعُ)
لا خصومة	(لَا حُجَّةَ)
يجادلون في الله ﷻ وفي الدين الذي أرسل به الرسل عليهم صلوات الله وسلامه	(يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ)

التسهيل لتأويل التنزيل

(مَجْنُونٌ دَاحِضَةٌ)	خصومتهم باطلة - ما يحتجون به باطل ذاهب ليس بمقبول وليس بمجدٍ
(وَالْمِيزَانُ)	العدل
(مُشْفِقُونَ)	ودلون من مجيئها - خائفون
(يُمَارِسُونَ)	يخاصمون - يجادلون
(ضَلَالٍ بَعِيدٍ)	بُعد وجور عن طريق الحق بعيدون عن الصواب

س: ما الذي وصى به ربنا ﷺ نوحاً والأنبياء المذكورين ﷺ.

ج: هو الذي ذكره الله ﷻ في الآية الكريمة (أَنِ اقْضُوا إِلَيْنَا وَلَا نُنْفِرْكُمْ فِيهِ)

أي: اعملوا بتعاليم دينكم واثبتوا على توحيد ربكم ﷻ.

ومما وصى الله به وأمر توحده ﷻ كما قال تعالى:

* (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾).

[الأنبياء: ٢٥]

* وكما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

* وكما قال تعالى: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾) [النحل: ١٢٣].



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى

بِهِ نُوحًا .. ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ ربكم أيها الناس (مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) أن يعمل به (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يقول لنبيه محمد ﷺ: وشرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد، فأمرناك به (وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) يقول: شرع لكم من الدين، أن أقيموا الدين (فأن) إذ كان ذلك معنى الكلام، في موضع نصب على الترجمة بها عن (مَا) التي في قوله: ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾. ويجوز أن تكون في موضع خفض رداً على الهاء التي في قوله: ﴿بِهِ﴾، وتفسيراً عنها، فيكون معنى الكلام حينئذ: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. وجائز أن تكون في موضع رفع على الاستئناف، فيكون معنى الكلام حينئذ: شرع لكم من الدين ما وصى به، وهو أن أقيموا الدين. وإذا كان معنى الكلام ما وصفت، فمعلوم أن الذي أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة، وهي إقامة الدين الحق، ولا تتفرقوا فيه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح، ﷺ وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم: إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، ﷺ. وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية «الأحزاب» عليهم في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ نَتَنَبَّأُكَ وَمِنْ نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية [الأحزاب: ٧]. والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وفي الحديث:

التسهيل لتأويل التنزيل

«نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله تعالى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: ٤٨]؛ ولهذا قال هاهنا: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) أي: وصى الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء، عليه السلام، بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف.

قال القرطبي رحمته الله:

قوله تعالى: (﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ فيه مسألتان :

الأولى: قوله تعالى: (﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ أي الذي له مقاليد السموات والأرض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ثم بين ذلك بقوله تعالى: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسن أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى: (﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وقد تقدم القول فيه ومعنى (شرع) أي نهج وأوضح وبين المسالك وقد شرع لهم يشرع شرعا أي سنَّ والشارع: الطريق الأعظم وقد شرع المنزل إذا كان على طريق نافذ وشرعت الإبل إذا أمكنتها من الشريعة وشرعت الأديم إذا سلخته وقال يعقوب: إذا شفت ما بين الرجلين قال: وسمعه من أم الحمارس البكرية وشرعت في هذا الأمر شروعا أي خضت: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) (أَنْ) في محل رفع على تقدير والذي وصى به نوحاً أن أقيموا الدين ويوقف على هذا الوجه على (عيسى) وقيل: هو نصب أي شرع لكم إقامة الدين وقيل: هو جر بدلا من الهاء

في (به) كأنه قال : به أقيموا الدين ولا يوقف على (عيسى) على هذين الوجهين ويجوز أن تكون (أن) مفسرة مثل : أن امشوا فلا يكون لها محل من الإعراب.

الثانية : قال القاضي أبو بكر بن العربي : ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة الكبير المشهور : «ولكن انتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحًا فيقولون له: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض...» وهذا صحيح لا إشكال فيه كما أن آدم أول نبي بغير إشكال لأن آدم لم يكن معه إلا بنوه ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وإنما كان تنبيهًا على بعض الأمور واقتصارًا على ضرورات المعاش وأخذًا بوظائف الحياة والبقاء واستقر المدى إلى نوح فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب في الديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرسول ويتناصر بالأنبياء صلوات الله عليهم واحدًا بعد واحد وشرعية إثر شرعية حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد ﷺ فكان المعنى: أوصيناك يا محمد ونوحًا دينًا واحدًا يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب إلى الله بصالح الأعمال والزلف إليه بما يرد القلب والجوارحة إليه والصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنى والأذية للخلق كيفما تصرفت والاعتداء على الحيوان كيفما دار واقتحام الدناءات وما يعود بخرم المروءات فهذا كله مشروع دينًا واحدًا وملة متحدة لم تختلف على السنة الأنبياء وإن اختلف أعدادهم وذلك

قوله تعالى : (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) أي اجعلوه قائماً يريد دائماً مستمراً محفوظاً مستقراً من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من وقى بذلك ومنهم من نكث (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) [الفتح : ١٠] واختلفت الشرائع وراء هذا في معانٍ حسبما أراده الله مما اقتضت المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم والله أعلم قال مجاهد : لم يبعث الله نبياً قط إلا وصاه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقاله الوالي عن ابن عباس وهو قول الكلبي وقال قتادة : يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم : تحريم الأمهات والأخوات والبنات وما ذكره القاضي يجمع هذه الأقوال ويزيد عليها وخصّ نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى بالذكر؛ لأنهم أرباب الشرائع.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ).

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: ولا تختلفوا في أمور دينكم كما اختلف من كان قبلكم، والحمد لله فنحن كمسلمين ندين بالله ﷻ وحده بالإلهية والربوبية وبأنه ربُّ الناس ملك الناس إله الناس، ولا نجعل له شريكاً، كذلك بأننا نؤمن بالكتب التي أنزلها الله جميعها وكذلك بكل رسل الله وأنبيائه.

وفي الآية حثٌّ على الاجتماع وتحذير من الفرقة والاختلاف.

كما قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٠٥).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ) يقول: ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به، كما اختلف الأحزاب من قبلكم.



س: اذكر بعض الوارد في النهي عن الفرقة والاختلاف.

ج: قد قدمت شيئاً من ذلك في تفسير سورة آل عمران، وقال الشنقيطي هاهنا في «أضواء البيان» عند تفسيره لسورة الشورى:

قوله تعالى: (وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ).

الضمير في قوله: (فِيهِ)، راجع إلى الدين في قوله: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ).

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن الافتراق في الدين، جاء مبيناً في غير هذا الموضع، وقد بين تعالى أنه وصى خلقه بذلك، فمن الآيات الدالة على ذلك، قوله تعالى: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) الآية [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام: ١٥٣]، وقد بين تعالى في بعض المواضع أن بعض الناس لا يجتنبون هذا النهي، وعددهم على ذلك كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [الأنعام: ١٥٩]؛ لأن قوله: (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) إلى قوله: (يَفْعَلُونَ) فيه تهديد عظيم لهم.

وقوله تعالى في سورة أفلح المؤمنون: (وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [٥٢]

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [٥٣] فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ [٥٤] [المؤمنون: ٥٢-٥٤].

فقوله: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أي: إن هذه شريعتكم شريعة واحدة ودينكم دين واحد، وربكم واحد فلا تتفرقوا في الدين.

وقوله جلّ وعلا: (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا) دليل على أنهم لم يجتنبوا ما نهوا عنه من ذلك.

وقوله تعالى: (فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤) فيه تهديد لهم ووعد عظيم على ذلك. ونظير ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ١٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَجْعُونَ ١٣) [الأنبياء: ١٢-١٣]، فقوله تعالى: (كُلُّ إِلَيْنَا رَجْعُونَ ١٣) فيه أيضاً تهديد لهم ووعد على ذلك وقد أوضحنا تفسير هذه الآيات في آخر سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) الآية.

وقد جاء في الحديث المشهور: افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتراق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأن الناجية منها واحدة، وهي التي كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.



س: وضح معنى قوله تعالى: (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَٰهًا)

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: شقّ وصعب على أهل الشرك أن يقولوا لا إله إلا الله وأن يعتقدوا ذلك فقد قالوا: (أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥) [ص: ٥].

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَٰهًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد

□: كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله، وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) قال: أنكرها المشركون، وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، فصادمها إبليس وجنوده، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ) أي عظم عليهم (مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من التوحيد ورفض الأوثان. قال قتادة: كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وضاق بها إبليس وجنوده فأبى الله عز وجل إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها على من ناوأها.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) أي شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ).

بين جل وعلا أنه (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ) أي شق عليهم وعظم ما يدعوهم إليه □ من عبادة الله تعالى وحده، وطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولعظم ذلك ومشقته عليهم، كانوا يكرهون ما أنزل الله ويجتهدون في عدم

سماعه لشدة كراحتهم له، بل يكادون يبطشون بمن يتلو عليهم آيات ربهم لشدة بغضهم وكراحتهم لها.

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة في كتاب الله، وفيها بيان أن ذلك هو عادة الكافرين مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد □.

فقد بين تعالى مشقة ذلك على قوم نوح وكبره عليهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَآتَىٰ عَلَيْهِم نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١]، وقوله تعالى عن نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا أَصْبَعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [أنوح: ٧]، فقله تعالى: ﴿جَعَلُوا أَصْوَعًا أَصْبَعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ يدل دلالة واضحة على شدة بغضهم وكراحتهم لما يدعوهم إليه نوح، فهو واضح في أنهم كبر عليهم ما يدعوهم إليه من توحيد الله والإيمان به.

وقد بين الله تعالى مثل ذلك في الكفار الذين كذبوا نبينا محمدا □ في آيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُرُونَ يُسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ [الحج: ٧٢]، فقله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ الآية، يدل دلالة واضحة، على شدة بغضهم وكراحتهم لسماع تلك الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

وقوله تعالى في الزخرف: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [٧٨] **[الزخرف: ٧٨]**، وقوله تعالى في قد أفلح المؤمنون: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، وقوله تعالى في القتال:

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾) [محمد: ٩] ، وقوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾) [الجاثية: ٦-٨] ، وقوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾) [لقمان: ٧] ، وقوله تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِمْ فِيهِ أَذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ) [فصلت: ٥] ، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

واعلم أن هؤلاء الذين يكرهون ما أنزل الله، يجب على كل مسلم أن يحذر كل الحذر من أن يطيعهم في بعض أمرهم؛ لأن ذلك يستلزم نتائج سيئة متناهية في السوء، كما أوضح تعالى ذلك في قوله: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْءَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُزْتَدُوا عَلَى أَذْبَرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى السَّيِّئِينَ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾) [محمد: ٢٤-٢٨] ، فعلى كل مسلم أن يحذر ثم يحذر ثم يحذر كل الحذر، من أن يقول للذين كفروا، الذين يكرهون ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر؛ لأن ذلك يسبب له ما ذكره الله في الآيات المذكورة، ويكفيه زجراً وردعاً عن ذلك قوله ربه تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٢٧﴾) إلى قوله: (فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾) [محمد: ٢٧-٢٨].



س: **وضح معنى قوله تعالى: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ**

يُنِيبُ ١٣).

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أن الله ﷻ يختار من عباده للإسلام من يشاء ومن يحب، ويوفق للعمل بطاعته واتباع ما أرسل به نبيه ﷺ من أقبل على طاعة الله ورجع إلى التوبة بعد المعصية. أي: أن من يسلك سبيل الهداية يوفقه الله لها وييسرها عليه كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت: ٦٩].

وكما قال: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَكَبَ ٥) وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ ٦ فَسَيَّرَهُ لِلْإِسْرِ ٧) [الليل:

٧-٥].

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ١٣) يقول: الله يصطفي إليه من يشاء من خلقه، ويختار لنفسه، وولايته من أحب.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ١٣) أي: هو الذي يُقدِّر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من أثرها على طريق الرشده.

وقال القرطبي رحمه الله:

ثم قال: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ) أي: يختار. والاجتباء: الاختيار؛ أي: يختار للتوحيد من يشاء. (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ١٣) أي: يستخلص لدينه من رجوع

إليه.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولاء الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحي الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب.

ولهذا قال: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان. (وَلَا تَنَفَرُوا فِيهِ) أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا، وتكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم.

ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا

بالاجتماع لها وعدم التفرق.

(كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ) أي: شق عليهم غاية المشقة؛ حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده، كما قال عنهم: (وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ شَمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَاهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾) [الزمر: ٤٥]. وقولهم: (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾) [ص: ٥].

(اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ) أي: يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح للاجتماع لرسالته وولايته ومنه أن اجتبي هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها.

(وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) ﴿١٣﴾ هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصداً وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: (يَهْدِي بِإِذْنِ اللَّهِ مَنِ اتَّبَعَ بِضِرَافِ نَافِثَةٍ سَبِيلَ السَّلَامِ).

[المائدة: ١٦]



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا

بينهم).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما تفرق أهل الكفر فصاروا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما جاءهم العلم الذي جاءتهم به رسلهم، والوحي الذي

أوحاه الله إلى أنبيائه، وهذا التفرق منهم كان حسداً من بعضهم لبعض وكراهية من بعضهم لبعض.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما تفرق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزاباً، إلا من بعد ما جاءهم العلم، بأن الذي أمرهم الله به، وبعث به نوحاً، هو إقامة الدين الحق، وأن لا تتفرقوا فيه.

وقال القرطبي رحمه الله:

(وَمَا تَفَرَّقُوا) قال ابن عباس: يعني قريشاً (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) محمد ﷺ وكانوا يتمنون أن يبعث إليهم نبي دليله قوله تعالى في سورة فاطر: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) [فاطر: ٤٢] نبياً وقال في سورة البقرة: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) [البقرة: ٨٩] على ما تقدم بيانه هناك وقيل: أمم الأنبياء المتقدمين فإنهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فأمن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس أيضاً: يعني أهل الكتاب دليله في سورة المنفكين: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة: ٤)، فالمشركون قالوا: لم خص بالنبوة! واليهود حسدوه لما بعث وكذا النصارى (بَعْيَا بَيْنَهُمْ) أي: بغياً من بعضهم على بعض طلباً للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ولهذا قال: (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) أي: إنما كان مخالفتهم



لالحق بعد بلوغه إليهم، وقيام الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد والمشاقة.

س: هل العلم يسبب التفرق والاختلاف؟

ج: نعم قد يحدث العلم اختلافاً، بل يحدثه في كثير من الأحيان، وذلك على سبيل المثال أن يكون الناس كلهم على ضلال فيأتيهم أحدهم بشيء من أمر الله ﷻ أو أمر رسوله ﷺ فيتبعه أقوام ويأبى آخرون، إذ الله قال: (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (الشورى: ٧)، وقال: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) (التغابن: ٢)، فحينئذ، وبعد مجيء البينات والعلم تحدث الفارقة والاختلاف، كما قال تعالى: (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ) (البينة: ٤)، وكما قال: (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ) (الشورى: ١٤)، وكما قال: (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ) (البقرة: ٢١٣)، والله أعلم.



س: ما المراد بالكلمة التي سبقت من ربك؟

ج: المراد بالكلمة هنا هي كلمة الله ﷻ التي قضى بها وقدر، فقد كُتبت المقادير وقُدرت قبل أن تُخلق.

والكلمة هنا تحتل أمرين، وكذا الأجل المسمى:

أحدهما: ولولا أن الله قضى عليهم في الدنيا أن يعيشوا زمناً إلى أن تأتيهم آجالهم التي سماها الله وحدّها لهم لأنزل الله عليهم عذابه وبأسه

ولحكم للمحق بأنه محق وأكرمه، ولحكم على المبطل بأنه مبطل وعذبه عاجلاً غير آجل.

الثاني: ولولا أن الله ﷻ قضى وقدر أن يكون الحساب يوم القيامة، وكذا فصل القضاء لعجل بعقوبتهم في الدنيا.

قال الطبري رحمه الله:

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول جل ثناؤه: ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب، ولكنه أخر ذلك إلى أجل مسمى، وذلك الأجل المسمى فيما ذكر: يوم القيامة.

وقوله: (لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ) يقول: لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحق الذي بعث به نبيه نوحاً من بعد علمهم به، بإهلاكه أهل الباطل منهم، وإظهاره أهل الحق عليهم.

وقال القرطبي رحمه الله:

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) في تأخير العقاب عن هؤلاء (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) قيل: القيامة لقوله تعالى: (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) [القمر: ٤٦]، وقيل: إلى الأجل الذي قضى فيه بعذابهم (لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ) أي بين من آمن وبين من كفر بنزول العذاب.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) أي: لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد، لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعاً.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم.

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) أي: بتأخير العذاب القاضي (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقُضَى بَيْنَهُمْ) ولكن حكمته وحلمه، اقتضى تأخير ذلك عنهم. (وَلِإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ) أي: الذين ورثوهم وصاروا خلفا لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْبٍ ۖ) أي: لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغيا وعداوا، فإن خلفهم اختلفوا شكا وارتيابا، والجميع مشتركون في الاختلاف المذموم.



س: في الآية دليل على أن الأمور مقدرة، وضح ذلك.

ج: نعم دلّت الآية الكريمة على أن الأمور مقدرة، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقُضَى بَيْنَهُمْ﴾ مفاده أن الله عَزَّ وَجَلَّ قضى أمورا تحدث في أوقات حددها وسماها قبل أن يخلق الخلق ولولا هذا لفصل بين العباد في الدنيا، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي

شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى الذين جاءوا من بعد القرون المختلفة في دينها، لفى شكٍ من الدين الذي أوصى الله به نوحًا والأنبياء من بعده، في شكٍ مُحير. وقيل: لفى شكٍ من الكتاب الذي أنزله الله مُريب.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يقول: وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين في الحق كتابه التوراة والإنجيل. (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤) يقول: لفى شكٍ من الدين الذي وصى الله به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، وأمركما بإقامته مرِيب.

وقال القرطبي رحمه الله:

(وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ) يريد اليهود والنصارى (مِنْ بَعْدِهِمْ) أي من بعد المختلفين في الحق (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤) من الذي أوصى به الأنبياء والكتاب هنا التوراة والإنجيل وقيل: (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ) قریش (مِنْ بَعْدِهِمْ) من بعد اليهود والنصارى (لَفِي شَكٍّ) من القرآن أو من محمد وقال مجاهد: معنى (مِنْ بَعْدِهِمْ) من قبلهم يعني من قبل مشركي مكة وهو اليهود والنصارى.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني: الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤) أي: ليسوا على يقين

من أمرهم، وإنما هم مقلدون لأبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا بُرهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب، وشقاق بعيد.



س: معلوم أن رسول الله ﷺ كان على طريق مستقيم، فلماذا قيل له:

(وَسَتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ)؟

ج: المراد، والله أعلم، اثبت على طريق الاستقامة الذي أنت عليه.

وقال السعدي رحمه الله:

(فَلِذَلِكَ فَادِّعْ) أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقبله، ﴿وَأَسْتَقِمَّ﴾ بنفسك (كَمَا أُمِرْتُ) أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

ومن المعلوم أن أمر الرسول □ أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له.



س: ما المراد بـ (الكتاب) في قوله تعالى: (وَقُلْ آمَنَّا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ

كِتَابٍ)؟

ج: المراد: جنس الكتب التي أنزلها الله، أي عموم الكتب كصحف

إبراهيم وموسى، وكالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن، وعموم ما أنزله الله

ﷻ.



س: وضع معنى قوله: (وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ).

ج: المعنى، أن الله ﷻ أمرني بالعدل بينكم إذا حكمت فلا أحابي ضعيفاً لضعفه ولا غنياً لغناه.

أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) قال: أمر نبي الله ﷺ أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه. والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعادل يصدق الله الصادق، ويكذب الكاذب، وبالعادل يرد المعتدي ويوبخه.



س: وضع معنى قوله: (إِنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ).

ج: المعنى، والله أعلم، لنا ثواب أعمالنا التي عملناها ولكم جزاء أعمالكم، فالكل سيجازى بعمله.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَلْيَذْكُرْ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ...﴾.

ج: أوجز الحافظ ابن كثير رحمه الله القول في هذه الآية ورآه إذ قال:

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسه-قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه.

فقوله: (فَلْيَذْكُرْ فَادْعُ) أي: فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به

جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم، فادعُ الناس إليه.

وقوله: (وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ) أي: واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله، كما أمرك الله ﷻ.

وقوله: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) يعني: المشركين فيما اختلقوه، وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان.

وقوله: (وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ) أي: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم.

وقوله: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) أي: في الحكم كما أمرني الله.

وقوله: (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) أي: هو المعبود، لا إله غيره، فنحن نفر بذلك اختياراً، وأنتم وإن لم تفعلوه اختياراً، فله يسجد من في العالمين طوعاً واختياراً.

وقوله: (لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ) أي: نحن برآء منكم، كما قال تعالى: ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ٤١).

وقوله: (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) قال مجاهد: أي لا خصومة. قال السدي: وذلك قبل نزول آية السيف. وهذا مُتَّجَهٌ لأن هذه الآية مكية، وآية السيف بعد الهجرة.

وقوله: (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) أي: يوم القيامة، كقوله: (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) (سبا: ٢٦).

وقوله: (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾) أي: المرجع والمآب يوم الحساب. ونحوه ذكره الطبري رَحِمَهُ اللهُ، قبل الحافظ ابن كثير.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: فالى ذلك الدين الذي شرع لكم، ووصى به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على العمل به، ولا تزغ عنه، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. وقيل: فلذلك فادع، والمعنى: فالى ذلك، فوضعت اللام موضع إلى، كما قيل: (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾) [الزلزلة: ٥]، وقد بينا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا.

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك، في قوله: (فَلِذَلِكَ فَادَّعُ) إلى معنى هذا، ويقول: معنى الكلام: فالى هذا القرآن فادع واستقم. والذي قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه، غير أن الذي قلنا في ذلك أولى بتأويل الكلام، لأنه في سياق خبر الله جل ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد ﷺ بإقامته، ولم يأت من الكلام ما يدل على انصرافه عنه إلى غيره.

وقوله: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) يقول تعالى ذكره: ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكوا في الحق الذي شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم، فتشك فيه، كالذي شكوا فيه.

(وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ).

يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: صدقت بما أنزل الله من كتاب كائننا ما كان ذلك الكتاب، توراة كان أو إنجيلا أو زبوراً أو صحف

التسهيل لتأويل التنزيل

إبراهيم، لا أكذب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعض.

وقوله: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ) يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه.

وقال أيضا:

واختلف أهل العربية في معنى اللام التي في قوله: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) فقال بعض نحويي البصرة: معناها: كي، وأمرت كي أعدل؛ وقال غيره: معنى الكلام: وأمرت بالعدل، والأمر واقع على ما بعده، وليست اللام التي في لأعدل بشرط؛ قال: (وَأُمِرْتُ) تقع على (أن) وعلى (كي) واللام أمرت أن أعبد، وكي أعبد، ولأعبد. قال: وكذلك كل من طالب الاستقبال، ففيه هذه الأوجه الثلاثة.

والصواب من القول في ذلك عندي أن الأمر عامل في معنى لأعدل، لأن معناه: وأمرت بالعدل بينكم.

وقوله: (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ) يقول: الله مالكننا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والإنجيل.
(لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ).

يقول: لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها.

وقوله: (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ) يقول: لا خصومة بيننا وبينكم

ثم قال: وقوله: (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) يقول: الله يجمع بيننا يوم القيامة،

فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه. (وَالْيَهُ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾) يقول: وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا.



س: من هؤلاء الذين حاجبوا في الله من بعد ما استجيب له؟ وما

صورة هذه المحاجة؟

ج: هم أهل الشرك، وكذا اليهود والنصارى، وقد كان قومٌ قبل هؤلاء حاجبوا في الله أيضاً.

قال الخليل إبراهيم عليه السلام: (أُحْجِجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي) [الأنعام: ٨٠].

وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبراهيمَ فِي رَبِّهِ) [البقرة: ٢٥٨].

أما أهل الشرك فحاجبوا رسول الله ﷺ في الله وجادلوا في وحدانيته وقضائه وقدره وأنكروا بعثه للعباد يوم المعاد، وكذا اليهود والنصارى حاجبوا في الله، فمنهم من ادعى لله الولد ومنهم من قال كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم..

أما قوله: (مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) أي: من بعد ما آمن الناس وأسلموا، أراد أهل الكفر أن يرجع المسلمون عن دينهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: والذين يخاصمون في دين الله الذي ابتعث به نبيه

محمدًا □ من بعد ما استجاب له الناس، فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب (مُجْتَنِبَةً دَاحِضَةً) يقول: خصومتهم التي يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم (وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار.

التسهيل لتأويل التنزيل

ونقل بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، جُنَّهْمَ دَاحِضَةً)..... الآية، قال: هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبي الله ﷺ، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالله منكم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ) رجع إلى المشركين (مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ)، قال مجاهد: من بعد ما أسلم الناس قال: وهؤلاء قد توهّموا أن الجاهلية تعود وقال قتادة: الذين يحاجون في الله اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وكانوا يرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب وأنهم أولاد الأنبياء وكان المشركون يقولون: (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) (٧٣) **إبراهيم: ١٧٣**، فقال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، جُنَّهْمَ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ).

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى -متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به-: (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ)، أي: يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى، (جُنَّهْمَ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي: باطلة عند الله، (وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) أي: منه، (وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (٧٣) أي: يوم القيامة.

س: وضع معنى قوله تعالى: (جُنَّهْمَ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن ما يحتجون به باطل وذاهب وليس له

وجه ولا أساس ولا ثواب عند الله يوم القيامة.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

أي لا ثبات لها كالشيء الذي يزل عن موضعه والهاء في (لَهُ) يجوز أن يكون لله عز وجل أي من بعد ما وحدوا الله وشهدوا له بالوحدانية ويجوز أن يكون للنبي ﷺ أي من بعد ما استجيب محمد ﷺ في دعوته من أهل بدر ونصر الله المؤمنين يقال: دحضت حجته دحوضاً بطلت وأدحضها الله والإدحاض: الإزلاق ومكان دَحَضَ ودَحَضَ أيضاً (بالتحريك) أي زلق ودحضت رجله تدحض دحضا زلقت ودحضت الشمس عن كبد السماء زالت (وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ) يريد في الدنيا (وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) يريد في الآخرة عذاب دائم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ).

ج: المعنى، والله أعلم، الله الذي أنزل عموم الكتب (منها صحف إبراهيم وصحف موسى والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن)، وكذا عموم الكتب، أنزلها الله محتوية على الحق متضمنة له، وكذا فإنزلها من عند الله بالحق، وليست للهو ولا للعبث ولا للعب، وكذا فإنه سبحانه أنزل الميزان كما قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [الحديد: ٢٥].

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ) هذا (الْكِتَابَ) يعني: القرآن (بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانِ) يقول: وأنزل الميزان وهو العدل، ليقضي بين الناس بالإنصاف،

ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ) يعني القرآن وسائر الكتب المنزلة ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق (وَالْمِيزَانَ) أي العدل قاله ابن عباس وأكثر المفسرين والعدل يسمى ميزانا؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل وقيل: الميزان ما بين في الكتب مما يجب على الإنسان أن يعمل به وقال قتادة: الميزان العدل فيما أمر به ونهى عنه وهذه الأقوال متقاربة المعنى وقيل: هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقيل: إنه الميزان نفسه الذي يوزن به أنزله من السماء وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تضالم وتباخس قال الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [الحديد: ٢٥] قال مجاهد: وهو الذي يوزن به ومعنى أنزل الميزان هو إلهامه للخلق أن يعملوه ويعملوا به وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينكم بكتاب الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) يعني: الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه (وَالْمِيزَانَ) ، وهو: العدل والإنصاف، قاله مجاهد، وفتادة. وهذه كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقوله: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾) [الرحمن: ٧-٩].

وقوله: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) فيه ترغيب فيها، وترهيب منها، وتزهيد في الدنيا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ) .

بيّن جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي أنزل الكتاب في حال كونه متليساً بالحق الذي هو ضد الباطل، وقوله: (الْكِتَابَ) اسم جنس مراد به جميع الكتب السماوية.

وقد أوضحنا في سورة الحج أن المفرد الذي هو اسم الجنس يطلق مراداً به الجمع، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك مع الشواهد العربية.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَالْمِيزَانَ) يعني أن الله جل وعلا هو الذي أنزل الميزان، والمراد به العدل والإنصاف.

وقال بعض أهل العلم: الميزان في الآية: هو آلة الوزن المعروفة.

ومما يؤيد ذلك أن الميزان مفعال، والمفعال قياسي في اسم الآلة.

وعلى التفسير الأول وهو أن الميزان العدل والإنصاف، فالميزان الذي هو آلة الوزن المعروفة داخل فيه، لأن إقامة الوزن بالقسط من العدل والإنصاف.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الله تعالى هو الذي أنزل الكتاب والميزان أوضحه في غير هذا الموضع كقوله تعالى في سورة الحديد: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ).

[الحديد: ٢٥]

فصرح تعالى بأنه أنزل مع رسله بالكتاب والميزان لأجل أن يقوم

الناس بالقسط، وهو العدل والإنصاف. وكقوله تعالى في سورة الرحمن: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾) (الرحمن: ٧-٩).

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أن الميزان في سورة الشورى وسورة الحديد هو العدل والإنصاف، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وأن الميزان في سورة الرحمن هو الميزان المعروف أعني آلة الوزن التي يوزن بها بعض المبيعات.

ومما يدل على ذلك أنه في سورة الشورى وسورة الحديد عبر بإنزال الميزان لا بوضعه، وقال في سورة الشورى: (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ)، وقال في الحديد: (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) (الحديد: ٢٥).

وأما في سورة الرحمن فقد عبر بالوضع لا الإنزال، قال: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾) (الرحمن: ٧)، ثم أتبع ذلك بما يدل على أن المراد به آلة الوزن المعروفة، وذلك في قوله: (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾) (الرحمن: ٩)، لأن الميزان الذي نهوا عن إفساده هو أخو المكبال، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْقِطَاسٍ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبَخْسُوا النَّاسَ أَمْثَالَهُمْ﴾ (الشعراء: ١٨١-١٨٢)، وقال تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾) (المطففين: ١-٣)،

وقال تعالى عن نبيه شعيب: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ الآية (هود: ٨٤)، وقال تعالى عنه أيضا: (قَدْ جَاءَكُمْ بَكِينٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَآوُوا أَلْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ) (الأعراف: ٨٥)، وقال تعالى في سورة الأنعام: (وَأَوْفُوا

الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (الأنعام: ١٥٢)، وقال تعالى في سورة بني إسرائيل: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ السِّتْقِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾) [الإسراء: ٣٥].



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) ولماذا قيل:**

﴿قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: (قريبة)؟

ج: المعنى، وما يُعلمك لعل وقت قيام الساعة يكون قريبًا.

قال القرطبي رحمه الله:

(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) فلم يخبره بها يحضه على العمل بالكتاب والعدل والسوية والعمل بالشرائع قل أن يفاجئ اليوم الذي يكون فيه المحاسبة ووزن الأعمال فيوفي لمن أوفى ويطفف لمن طفف فـ(لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) أي منك وأنت لا تدري وقال: (قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي لأنها كالوقت قاله الزجاج، والمعنى: لعل البعث أو لعل مجيء الساعة قريب وقال الكسائي: (قَرِيبٌ ﴿١٧﴾) نعت ينعت به المذكر والمؤنث والجمع بمعنى ولفظ واحد قال الله تعالى: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾) [الأعراف: ٥٦] قال الشاعر:
وكنّا قريباً والديار بعيدة فلما وصلنا نصب أعينهم غيباً

س: **وضح معنى قوله تعالى: (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) .**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم يطلب أهل الشرك الذين يقولون: لا بعث

- على سبيل التحدي والتعنت والاستبعاد والاستنكار - يطلبون قيام الساعة وتعجيل وقوعها كما ذكر تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾)

[ص: ١٦]، وكما في قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾) [يونس: ٤٨]، وكذا ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [السجدة: ٢٨]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) أي: يقولون: (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [سبأ: ٢٩]، وإنما يقولون ذلك تكذيباً واستبعاداً، وكفراً وعناداً.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها ظناً منهم أنها غير جائية.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وأهل الإيمان والتصديق خائفون من الساعة ومما فيها من الأهوال العظام، وقد أيقنوا أن قيامها ومجيئها حق.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا) يقول: والذين صدقوا بمجيئها، ووعده الله إياهم الحشر فيها، (مُشْفِقُونَ مِنْهَا) يقول: وجلون من مجيئها، خائفون من قيامها؛ لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) يقول: ويوقنون أن مجيئها الحق اليقين، لا يمترون في مجيئها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا) أي: خائفون وجلون لاستقصارهم أنفسهم مع الجهد في الطاعة؛ كما قال: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا لِقُلُوبِهِمْ وَجِلَّةً أُنْفُسِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعُونَ ﴿٦٠﴾) [المؤمنون: ٦٠]. (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) أي: التي لا شك فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا) أي: خائفون وجلون من وقوعها (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) أي: كائنة لا محالة، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها. وقد رُوي من طرق تبلغ درجة التواتر، في الصحاح والحسان، والسنن والمسانيد، وفي بعض ألفاظه؛ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ بصوت جهوري، وهو في بعض أسفاره فناداه فقال: يا محمد. فقال له النبي ﷺ نحواً من صوته: «هاوم». فقال: متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك، إنها كائنة، فما أعددت لها؟» فقال: حُب الله ورسوله. فقال: «أنت مع من أحببت»^(١).

فقوله في الحديث: «المرء مع من أحب»، هذا متواتر لا محالة، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة، بل أمره بالاستعداد لها.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُكَاذِبُونَ فِي السَّاعَةِ

لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ألا إن الذين يجادلون في قيام الساعة وفي وقوعها لفي تيهٍ وبعد عن الحق شديد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

(١) البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٤٠).

التسهيل لتأويل التنزيل

(أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَكَ فِي السَّاعَةِ) يقول تعالى ذكره: ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه (لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾) يقول: لفي جور عن طريق الهدى، وزيف عن سبيل الحق والرشاد، بعيد من الصواب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

(أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَكَ فِي السَّاعَةِ) أي يشكون ويخاصمون في قيام الساعة (لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾) أي عن الحق وطريق الاعتبار إذ لو تذكروا لعلموا أن الذي أنشأهم من ترب ثم من نطفة إلى أن بلغوا ما بلغوا قادر على أن يبعثهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَكَ فِي السَّاعَةِ) أي: يحتاجون في وجودها ويدفعون وقوعها، (لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾) أي: في جهل بين؛ لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأخرى، كما قال: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ) **الروم: ٢٧**.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) عنادا وتكذيبا، وتعجيزا لربهم. (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا) أي: خائفون، لإيمانهم بها، وعلمهم بما تشتمل عليه من الجزاء بالأعمال، وخوفهم، لمعرفةهم بربهم، أن لا تكون أعمالهم منجية لهم ولا مسعدة، ولهذا قال: (وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) الذي لا مزية فيه، ولا شك يعتريه (أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَكَ فِي السَّاعَةِ) أي: بعد ما امتروا فيها،

ماروا الرسل وأتباعهم بإثباتها (لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾) في غاية البعد عن الحق، وأيُّ بعد أبعد ممن كذب بالدار التي هي الدار على الحقيقة، وهي الدار التي خلقت للبقاء الدائم والخلود السرمد، وهي دار الجزاء التي يظهر الله فيها عدله وفضله وإنما هذه الدار بالنسبة إليها، كراكب قال في ظل شجرة ثم رحل وتركها، وهي دار عبور وممر، لا محل استقرار. فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية، حيث رأوها وشاهدوها، وكذبوا بالدار الآخرة، التي تواترت بالإخبار عنها الكتب الإلهية، والرسل الكرام وأتباعهم، الذين هم أكمل الخلق عقولًا وأغزرهم علمًا، وأعظمهم فطنة وفهمًا.



قال الله تعالى:

(اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْنَاهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾) [الشورى: ١٩-٢٦].

س: اذكر معنى ما يلي:

(لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) - حَرَّتِ الْأَخِرَةُ - حَرَّتِ الدُّنْيَا - شَرَعُوا - مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ -
كَلِمَةُ الْفَصْلِ - مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا - وَاقِعٌ - رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ -
يَقْتَرِفُ - يَخْتِمُ

ج:

الكلمة	معناها
(لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ)	رحيم بهم - رفيق بهم - بارٌّ بهم، ذو لطفٍ بهم
(حَرَّتِ الْأَخِرَةُ)	ثواب الآخرة
(حَرَّتِ الدُّنْيَا)	الأجر الدنيوي - ثواب الدنيا
(مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﷻ)	ما لم يشرعه الله، وما لم يأذن لهم في فعله ولا في ابتداعه
(كَلِمَةُ الْفَصْلِ ﷻ)	الكلمة التي قضاها الله والقضاء الذي قدره أنه يؤخر حسابهم ليوم الفصل يوم القيامة
(مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا)	خائفين من الجزاء على أعمالهم السيئة التي عملوها
(وَاقِعٌ)	نازل بهم - حالٌ بهم
(رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ)	المنتزه كثير الخضرة - الأماكن الفسيحة الخضراء
(يَقْتَرِفُ)	يعمل
(يَخْتِمُ)	يطبع

س: اذكر بمزيد من الايضاح معنى قوله تعالى: (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والله ذو لطفٍ بعباده وذو رحمةٍ بهم، ومن لطفه بهم ورفقه بهم ورحمته بهم في الدنيا أنه يرزقهم وإن كانوا كفاراً، وكذا لا يعاجلهم بالعقوبة بل يلتطف لهم بالإنذار والتحذير ويسوق إليهم العبر والبيانات والدلالات.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقتر على من يشاء منهم (وَهُوَ الْقَوِيُّ) الذي لا يغلبه ذو أيدٍ لشدته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته (الْعَزِيزُ) في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم، لا ينسى أحداً منهم، سواء في رزقه البرّ والفاجر، كقوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [هود: ٦] ولها نظائر كثيرة.

وقوله: (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) أي: يوسع على من يشاء، (وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) أي: لا يعجزه شيء.

أما القرطبي رحمه الله فقد استفاد في ذلك:

قوله تعالى: (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) قال ابن عباس: حفي بهم وقال عكرمة: بار بهم وقال السدي: رفيق بهم وقال مقاتل: لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم وقال القرطبي: لطيف بهم في

العرض والمحاسبة قال :

غدا عند مولى الخلق للخلق موقف يسألهم فيه الجليل ويلطف

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين : يلطف بهم في الرزق من وجهين : أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات والثاني : أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل : لطيف بهم في القرآن وتفصيله وتفسيره وقال الجنيد : لطيف بأوليائه حتى عرفوه ولو لطف بأعدائه لما جحدوه وقال محمد بن علي الكتاني: اللطيف بمن لجأ إليه من عباده إذا يؤس من الخلق توكل ورجع إليه فحينئذ يقبله ويقبل عليه وجاء في حديث النبي ﷺ : «إن الله تعالى يطلع على القبور الدوارس فيقول جل وعز: أمحت آثارهم واضمحت صورهم وبقي عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم العذاب فيخفف عنهم العذاب» قال أبو علي الثقي ﷺ :

أمر بأفناء القبور كأنني أخو فطنة والثوب فيه نحيف
ومن شق فاه الله قدر رزقه وربى بمن يلجأ إليه لطيف

وقيل : اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستتر عليهم المثالب وعلى هذا قال النبي ﷺ : «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» وقيل : هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل : هو الذي يجبر الكسير ويبسر العسير وقيل : هو الذي لا يخاف إلا عدله ولا يرجى إلا فضله وقيل : هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمة ويكلفه الطاعة فوق الطاقة قال تعالى: (وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تَحْصُوهَا) [النحل: ١٨]، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [القمان: ٢٠]، وقال :

التسهيل لتأويل التنزيل

(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج : ٧٨]، (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) [النساء : ٢٨]، وقيل : هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل : هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاءه وقيل : هو الذي لا يرد سائله ولا يونس آمله وقيل : هو الذي يعفو عمن يهفو وقيل : هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل : هو الذي أوقد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجاً وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجاً وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجاً وقد مضى في (الأنعام) قول أبو العالية والجنيد أيضاً وقد ذكرنا جميع هذا في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى عند اسمه اللطيف والحمد لله (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) ويحرم من يشاء وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليجتاح البعض إلى البعض : كما قال : (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) [الزخرف : ٣٢]، فكان هذا لطفًا بالعباد وأيضاً ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني كما قال : (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ) [الفرقان : ٢٠] على ما تقدم بيانه.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن» :

يخبر تعالى أنه (لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللفظ من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده -وخصوصاً المؤمنين- إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين،

ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعياً لاتباعه.

ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتتبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصيته صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) بحسب اقتضاء حكمته ولطفه (وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ١٩) الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء.



س: وضح معنى قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَّلْنَاهُ فِي حَرْثِهِ)

وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، من كان يريد بعمله ثواب الله ﷻ له في الآخرة نكثرت له من الثواب ونعظم له من الأجر ونعينه في الدنيا على صالح العمل ما دام يبتغي به وجه الله ﷻ، ومن كان يريد بعمله الدنيا فحسب ولا يرغب في ثواب الله ولا يرجوه فيأخذ من الدنيا ما كتبه الله له فيها وليس له في الآخرة من أجر على عمله الذي عمله يبتغي به الدنيا.

قال الطبري رحمه الله:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) يقول تعالى ذكره: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ. يقول: نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ: نَزِدْ لَهُ فِي عَمَلِهِ الْحَسَنِ، فَجَعَلَ لَهُ بِالْوَحْدَةِ عَشْرًا، إِلَى مَا شَاءَ رَبُّنَا مِنَ الزِّيَادَةِ (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) يقول: وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ بَعْمَلِهِ الدُّنْيَا وَلَهَا يَسْعَى لَا لِلْآخِرَةِ، نُؤْتِهِ مِنْهَا مَا قَسَمْنَا لَهُ مِنْهَا. (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) يقول: وَلَيْسَ لِمَنْ طَلَبَ بَعْمَلِهِ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ فِي ثَوَابِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَرَادُوهُ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَظٌّ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا... الآية، يقول: مَنْ أَثَرُ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ نَصِيبًا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارَ، وَلَمْ نَزِدْهُ بِذَلِكَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا إِلَّا رِزْقًا قَدْ فَرَّغَ مِنْهُ وَقَسَمَ لَهُ.

وعن ابن زيد بإسناد صحيح قال: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَعَمَلُهَا نَزِدَ لَهُ فِي عَمَلِهِ ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا وَعَمَلُهَا أَتَيْنَاهُ مِنْهَا، وَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ، الْحَرْثُ الْعَمَلُ، مَنْ عَمِلَ لِلْآخِرَةِ أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِلدُّنْيَا أَعْطَاهُ اللَّهُ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ) أي: عَمَلُ الْآخِرَةِ (نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) أي: نَقْوِيهِ وَنَعِينِهِ عَلَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ، وَنَكْثَرِ نَمَائِهِ، وَنَجْزِيهِ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ

مِنْهَا وَمَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ تَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أي: ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همّة البتة بالكلية، حرّمه الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل له لا هذه ولا هذه، وفاز هذا الساعي بهذه النية بالصفة الخاسرة في الدنيا والآخرة.

والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا مقيدة بالآية التي في «سبحان» وهي قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا) ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هُنَا وَهُنَا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ [الإسراء: ١٨-٢١].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) الحَرْث العمل والكسب ومنه قول عبد الله بن عمر: واحرث لدنياك كأنك تعيش أبداً وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ومنه سمي الرجل حارثاً والمعنى: أي من طلب بما رزقناه حرثاً لآخرته فأدى حقوق الله وأنفق في إعزاز الدين فإنما نعطيهِ ثواب ذلك للواحد عشرة إلى سبعمئة فأكثر (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا) أي طلب بالمال الذي آتاه الله رياسة الدنيا والتوصل إلى المحظورات فإننا لا نحرمه الرزق أصلاً ولكن لا حظ له في الآخرة من ماله قال الله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا) ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ [الإسراء: ١٨ - ١٩] وقيل: (نَزَدَلُهُ فِي حَرْثِهِ) نوفقه للعبادة ونسهلها عليه وقيل: حرث الآخرة الطاعة أي من أطاع فله الثواب قيل: (نَزَدَلُهُ فِي حَرْثِهِ) أي نعطه الدنيا مع الآخرة وقيل: الآية في الغزو أي من أراد بغزوه الآخرة أوتي الثواب ومن أراد بغزوه الغنيمة أوتي منها قال القشيري: والظاهر أن الآية في الكافر يوسع له في الدنيا أي لا ينبغي له أن يغتر بذلك لأن الدنيا لا تبقى.

قال السعدي رحمه الله في التيسير الكريم الرحمن:

قال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ) أي: أجرها وثوابها، فآمن بها وصدق، وسعى لها سعيها (نَزَدَلُهُ فِي حَرْثِهِ) بأن نضاعف عمله وجزاءه أضعافا كثيرة، كما قال تعالى: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ [الإسراء: ١٩]، ومع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه.

(وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا) بأن: كانت الدنيا هي مقصوده وغاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها. (تَوَّاهُ مِنْهَا) نصيبه الذي قسم له، (وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾) قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها.

وهذه الآية، شبيهة بقوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ [هود: ١٥].



س: هل كل من يريد حرث الدنيا يؤتته الله منها؟

ج: ليس كل من أراد الدنيا أُعطي ما يريد منها، بل الأمر راجع إلى الله سبحانه وتعالى، وهذه الآية الكريمة (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) موضحة بقوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾) [الإسراء: ١٨]، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، الهؤلاء المشركين آلهة غير الله شرعت لهم الشرك، وشرعت لهم الحلال والحرام، فأحلت ما حرمه الله، وحرمت ما أحله الله؟!!

إذا كان لهؤلاء آلهة على النحو المذكور، وأنها شريكة لله فأين هؤلاء الشركاء، فالحمد لله ليس لله شريك إنما هو إله واحد فمن أين أتى هؤلاء بباطلهم وبافتراءتهم، وإنما أتوا بذلك من قبل شياطين الإنس والجن التي عبدوها مع الله واتخذوها آلهة من دون الله.

هذا ولأن الله قدر عليهم أن يحاسبوا على صنيعهم يوم القيامة وقضى بذلك فلولا ذلك لعوجلوا بالعقوبة على شركهم وافتراءهم، وعلى كل فالظالمون المشركون المفترون لهم عذاب يوم القيامة مؤلم مٌوجع.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره : أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضاللتهم ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ يقول : ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُتِنَ بِهِمْ) يقول تعالى ذكره : ولولا السابق من الله في أنه لا يجعل لهم العذاب في الدنيا وأنه مضى من قبله إنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيلنا العذاب لهم في الدنيا ولكن لهم في الآخرة من العذاب الأليم كما قال جل ثناؤه : (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾) يقول : وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ) أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالات الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم، من التحليل والتحريم، والعبادات الباطلة، والأقوال الفاسدة.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعّة يجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ»^(١) لأنه أول من سيب السوائب. وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء، وهو الذي حمل قريشا على عبادة الأصنام، لعنه الله وقبحه؛ ولهذا قال تعالى: (وَلَوْلَا

(١) البخاري (٤٩٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦).

كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴿٩٣﴾ أي: لعوجلوا بالعقوبة، لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد، (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾) أي: شديد موجه في جهنم وبئس المصير.

ثم قال تعالى: (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا) أي: في عرصات القيامة، (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) أي: الذي يخافون منه واقع بهم لا محالة، هذا حالهم يوم معادهم، وهم في هذا الخوف والوجل، (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) فأين هذا من هذا: أين من هو في العرصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه، ممن هو في روضات الجنات، فيما يشاء من مأكّل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ، فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؟

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ) أي الهم ! والميم صلة والهمزة للتقريع وهذا متصل بقوله : (﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾) **الشورى:** ١٣ قوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ) **الشورى:** ١٧٠ كانوا لا يؤمنون به فهل لهم آلهة شرعوا لهم الشرك الذي لم يأذن به الله ! وإذا استحال هذا فالله لم يشرع الشرك فمن أين يدينون به (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) يوم القيامة حيث قال : (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) **القمر:** ٤٦، ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ في الدنيا فعاجل الظالم بالعقوبة وأثاب الطائع (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) أي المشركين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾) في الدنيا القتل والأسر والقهر وفي الآخرة عذاب النار وقرأ ابن هرمر: (وأن) بفتح الهمزة على العطف على (وَلَوْلَا

كَلِمَةً) والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجواب (وَلَوْلَا) جائز ويجوز أن يكون موضع (أن) رفعاً على تقدير : وجب أن الظالمين لهم عذاب أليم فيكون منقطعاً مما قبله كقراءة الكسر فاعلمه.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم ويشتركون هم وإياهم في الكفر وأعماله، من شياطين الإنس، الدعاة إلى الكفر (شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ) من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله ولا عن رسوله، فكيف بهؤلاء الفسقة المشركين هم وآباؤهم على الكفر.

(وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) أي: لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلاً بين الطوائف المختلفة، وأنه سيؤخرهم إليه، لقضي بينهم في الوقت الحاضر بسعادة المحق وإهلاك المبطل، لأن المقتضي للإهلاك موجود، ولكن أمامهم العذاب الأليم في الآخرة، هؤلاء وكل ظالم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا

وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ...).

ج: المعنى، والله أعلم، ترى أيها الناظر يوم القيامة أهل الكفر أهل الشرك أهل الظلم خائفين يوم القيامة مما اكتسبوه وفعلوه في دنياهم من سيئ الأعمال وجزائها السيئ والعذاب عليها، وهو لا محالة واقعٌ بهم أما

أهل الإيمان والعمل الصالح فهم في فسيح الجنات وروضات البساتين لهم ما يتمنونه وما يشتهونه، ذلك هو التفضل الكبير من الله عليهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة (مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا) يقول: وجلين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة. (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) يقول: والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة.

وقوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في روضات البساتين في الآخرة. ويعني بالروضات: جمع روضة، وهي المكان الذي يكثر نبتة، ولا تقول العرب لمواضع الأشجار رياض؛ ومنه قول أبي النجم:

والنفض مثل الأجرب المدجل **جذائق الروض التي لم تحلل**

يعني بالروض: جمع روضة. وإنما عنى جل ثناؤه بذلك: الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم.

وقوله: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم في الآخرة ما تشتهيه أنفسهم، وتلذه أعينهم، ذلك هو التفضل الكبير، يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطاهم الله من هذا النعيم، وهذه الكرامة في الآخرة: هو التفضل من الله عليهم، الكبير الذي يفضل كل نعيم وكرامة في الدنيا من بعض أهلها على بعض.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ) أي خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) أي من جزاء ما كسبوا والظالمون هاهنا الكافرون بدليل التقسيم بين المؤمن والكافر ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي نازل بهم (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ) الروضة: الموضع النزه الكثير الخضرة وقد مضى في (الروم) (هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي من النعيم والثواب الجزيل (ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) أي لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى كنه صفته لأن الحق إذا قال كبير فمن ذا الذي يقدر قدره.



س: وضح معنى قوله تعالى: (مَّا أَتَاكُمُ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال أقواها وأشهرها وعليها أكثر العلماء قول من قال:

قل يا رسول الله لأهل الشرك لا أسألكم على الإيمان والإسلام والقرآن واتباعي أجراً وإنما أسألكم - إن لم تؤمنوا بي - ألا تؤذوني بل تصلوا القرابة والرحم التي بيني وبينكم فأنتم قومي وأقربائي فاحفظوا هذه القرابة ولا تؤذوني.

وقد أخرج البخاري من طريق طاوس عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه سئل عن قوله: (إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى) فقال سعيد بن جبیر: قربي آل محمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فقال ابن عباس: عجلت إن النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال:

إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ^(١).

وأخرجه الطبري من طرق متعددة عن ابن عباس رضي الله عنه منها طريق الشعبي عن ابن عباس، في قوله: (لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال: لك يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة، فقال: قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودوني في القرابة التي بيني وبينكم.



س: هل صح لقوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) سبب نزول؟

ج: أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن طائوس قال: سأل رجل ابن عباس المعنى عن قول الله صلى الله عليه وسلم: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فقال سعيد بن جبير: قري محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ابن عباس: عجلت إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيهم قرابة فنزلت: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) - إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم ^(٢).
إلا أن البخاري أخرج هذا الحديث بدون ذكر سبب النزول.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أنني أعددت له للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة، البشرى التي يبشر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا، وعملوا بطاعته فيها. (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة

(١) البخاري (٤٨١٨).

(٢) أحمد (٢٢٩/١).

من مشركي قومك: لا أسألكم أيها القوم على دعائتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتم به، والنصيحة التي أنصحكم ثواباً وجزاءً، وعوضاً من أموالكم تعطونني (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ).

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ). فقال بعضهم:

معناه: إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا رحمي بيني وبينكم.

القول الثاني: ذكره الطبري فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتم به أجراً إلا أن تؤدوا قرابتي ^(١).

والثالث: ذكره الطبري أيضاً فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتم به أجراً إلا أن توددوا لي الله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة.

والقول الرابع: ذكره الطبري أيضاً فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا أن تصلوا قرابتي.

واختار الطبري رَحِمَهُ اللهُ القول الأول فقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبههما بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجراً يا معشر قريش، إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم.

(١) المراد: حق قرابتي.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطوني، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تتصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة.

وأورد جملة أقوال ثم قال:

والحق تفسير الآية بما فسر بها به الإمام حبر الأمة، وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس، كما رواه عنه البخاري، ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذويه، رضي الله عنهم أجمعين.



فضائل آل بيت الرسول ﷺ

س: اذكر شيئاً من الوارد في فضل آل بيت رسول الله ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً) [الأحزاب: ٣٣].

وما أخرجه مسلم^(١) في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: خرج

(١) مسلم: (٢٤٢٤).

النبي ﷺ غداة وعليه مرطٌ مُرَحَلٌ من شعر أسود فجاء الحسن بن عليٍّ فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾



[الأحزاب: ٣٣].

وما أخرجه أحمد^(١) بسندٍ صحيح لشواهد من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها حين جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق فقالت: قتلوه قتلهم الله غروهم وذلولهم لعنهم الله فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها: «أين ابن عمك؟». قالت هو في البيت. قال «فأذهبي فادعيه وانتي بابنيه». قالت فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد وعلي يمشي في إثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره قالت أم سلمة: فاجتنب من تحتي كساء خبيريا كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة فلفه النبي ﷺ عليهم جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه ﷻ قال: «اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قلت: يا رسول الله أأست من أهلك؟ قال: «بلى فادخلي في الكساء». قالت: فدخلت في الكساء بعدما

(١) أحمد (٢٩٨/٦).

قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة عليهم السلام.

وما أخرجه الترمذي ^(١) بسندٍ صحيح، وهو عند مسلم مطولٌ واللفظ للترمذي من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه لما أنزل الله هذه الآية: (تَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَ كُمْ) **إل عمران: ٦١** دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

وعند مسلم من طريق يزيد بن حيان ^(٢) قال: انطلقتُ أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً؛ رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي لقد كبرت سنِّي وقَدُمَ عهدي ونسيتُ بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تُكَلِّفُونِيهِ ثم قال: قام رسولُ الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خُمًّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّرَ ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأجيب وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما كتابُ الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِّمَ الصدقة بَعْدَهُ قال: ومن هُم؟ قال: هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر

(١) الترمذي حديث (٢٩٩٩)، وهو عند مسلم مطول (ص ١٨٧١).

(٢) مسلم (٢٤٠٨).

وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرْم الصدقة؟ قال: نعم.

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح لغيره عن زيد بن ثابت قال: قال

رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض جميعاً»^(١).

* ومن فضائل آل بيت رسول الله ﷺ أننا نصلي عليهم في صلاتنا، والأحاديث بذلك كثيرة جداً أذكر منها فقط حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، وقد لقي عبد الرحمن بن أبي ليلى فقال له: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٢).

* **وقد صح عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته».**

وصح عنه أيضاً أنه قال: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي»^(٤).

س: وضع معنى قوله تعالى: (وَمَنْ يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزَلْهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ مَنَّورٌ

شَكُورٌ) (٢٣).

ج: الظاهر، والله أعلم، أن معناها، ومن يعمل حسنة نضاعف له

(١) أحمد (١٨٩/٥).

(٢) البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) البخاري (٣٧١٣).

(٤) البخاري (٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٩).

أجرها أضعافًا كثيرة، ونغفر لهم ذنوبهم فإن الله غفور يغفر لعباده زلاتهم وذنوبهم، شكور يشكر لهم طاعتهم إذا هم أطاعوه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) يقول تعالى ذكره: ومن يعمل حسنة، وذلك أن يعمل عملاً يطيع الله فيه من المؤمنين (نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) يقول: نضاعف عمله ذلك الحسن، فنجعل له مكان الواحد عشرًا إلى ما شئنا من الجزاء والثواب.

ثم قال رحمه الله:

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (٢٣) إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه.

وأورد عن ابن زيد، بإسناد صحيح قال: غفر لهم الذنوب، وشكر لهم نعمًا هو أعطاهم إياها، وجعلها فيهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) أي: ومن يعمل حسنة (نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) أي: أجرًا وثوابًا، كقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (٤٠) [النساء: ٤٠].

وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء

السيئة (السيئة) بعدها.

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (٢٣) أي: يغفر الكثير من السيئات، ويكثر

القليل من الحسنات، فيستر ويغفر، ويضاعف فيشكر.



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٢٤).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أيقول هؤلاء الكفار على رسول الله ﷺ وينسبون إليه الكذب ويزعمون أنه افترى على الله كذباً؛ فقل لهؤلاء: إن الله قادر أن فعلت ذلك أن يختم على قلبي وبعد ذلك يمح الباطل المفترى المتقول ويثبت الحق بما ينزله من كتاب، قادرٌ ربي على ذلك وعالم بما يدور في صدري إن فكرت في ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون بالله: (افترى) محمد (على الله كذباً) فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقاً من قبل نفسه. وقوله: (فإن يشاء الله) يا محمد يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أنزل إليك. **وقوله:** (وَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) يقول: ويذهب الله بالباطل فيمحقه. (وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) التي أنزلها إليك يا محمد فيثبته.

وقوله: (وَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) في موضع رفع بالابتداء، ولكنه حذف منه الواو في المصحف، كما حذف من قوله: (سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ) (العلق: ١٨)، ومن قوله: (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ) (الإسراء: ١١)، وليس بجزم على العطف على يختم.

وقوله: (إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٢٤) يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما في صدور خلقه، وما تنطوي عليه ضمائرهم، لا يخفى عليه من أمورهم

شيء، يقول لنبيه ﷺ: لو حدثت نفسك أن تقتري على الله كذبا، لطبعت على قلبك، وأذهبت الذي أتيتك من وحيي، لأنني أمحو الباطل فأذهبه، وأحق الحق، وإنما هذا إخبار من الله الكافرين به، الزاعمين أن محمدا افترى هذا القرآن من قبل نفسه، فأخبرهم أنه إن فعل لفعل به ما أخبر به في هذه الآية.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ) أي: لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون (يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ) أي: لطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن، كقوله تعالى: (وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ) ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٤٧﴾

[الحاقة: ٤٤-٤٧] أي: لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه.

وقوله: (وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) ليس معطوفا على قوله: (يَخْتِمْ) فيكون مجزوما، بل هو مرفوع على الابتداء، قاله ابن جرير، قال: وحذفت من كتابته (الواو) في رسم المصحف الإمام، كما حذفت من قوله: (سَنَنْعُ الزَّانِيَةَ) ﴿١٨﴾ **[العلق: ١٨]**، وقوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ **[الإسراء: ١١]**.

وقوله: (وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) معطوف على (وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ) أي: يحققه ويثبتته ويبينه ويوضحه بكلماته، أي: بحججه وبراهينه، (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) ﴿٢٤﴾ أي: بما تكنه الضمائر، وتنطوي عليه السرائر.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (٢٥).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل رجوع عبده إليه بعد أن كان العبد بعيداً عن طريقه مُذنباً مقترفاً للذنوب والآثام فإذا رجع فأبواب التوبة له مفتوحة والله يفرح برجوعه هذا، وكذا فإنه يعفو عن سيئات من تاب وأذنب، وتختتم الآية الكريمة بتحذير بقوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (٢٥) أي: لا تتهاودوا فيما أنتم فيه من شر فالله يعلم جميع ما تفعلونه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: والله الذي يقبل مراجعة العبد إذا رجع إلى توحيد الله وطاعته من بعد كفره (وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) يقول: ويعفو أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال، وهي معاصيه التي تاب منها (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (٢٥) ﴿٢٥﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (يفعلون) بالياء، بمعنى: ويعلم ما يفعل عباده، وقرأته عامة قراء الكوفة: (تَفْعَلُونَ) (٢٥) بالتاء على وجه الخطاب.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الياء أعجب إلي، لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر، وذلك قوله: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) ويعني جل ثناؤه بقوله: (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (٢٥) ويعلم ربكم أيها الناس ما تفعلون من خير وشر، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على كل ذلك جزاءه، فاتقوا الله في أنفسكم، واحذروا

أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه: أنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر، كقوله: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء: ١١٠].

وأورد بعض الأحاديث ثم قال:

وقوله: (وَعَفُّوا عَنِ السَّيِّئَاتِ) أي: يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي، (وَيَعْلَمُ مَا فَعَلْتُمْ) [٢٥] أي: هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم، ومع هذا يتوب على من تاب إليه.



MOSTAFAAALAM

بعض الوارد في الحث على التوبة

س: اذكر بعض الأحاديث المرغبة في التوبة وكذا التي مفادها أن الله ﷻ يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه، وكذا بعض الآيات.

ج: من الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١).

وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (فصلت: ٦).

وقال سبحانه: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ عَفْوَ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٩٩).

* وينادي الله - سبحانه وتعالى - عباده كما في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»^(١).

وقال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ (إبراهيم: ١٠).

* ولما قال الشيطان: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله: «فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيما روى عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...» الحديث، وفيه القدر المذكور (حديث ٢٥٧٧).

(١) استغفروني»

* وينادي الله ﷻ عباده في الثلث الأخير من الليل: «من يستغفري فأغفر له» (٢)

* وحث الله عباده على التوبة النصوح بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [التحریم: ٨].

* وحثهم على المسارعة إلى التوبة والرجوع إليه، فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

* وبين الله - سبحانه وتعالى - أنه يريد التوبة على عباده: فقال سبحانه: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) [النساء: ٢٧].

وقال تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [١٠٤] (التوبة: ١٠٤).

* وقال سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ). [الشورى: ٢٥].

فرح الله ﷻ بتوبة العبد

قال النبي ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا

(١) أحمد (٢٩/٣).

(٢) البخاري مع «الفتح» (١٢٨/١١)، ومسلم (٣٦/٦).

وجدها»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام^(٢) أيضاً: «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دَوِيَّة^(٣) مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فالحه الله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

وفي الصحيحين^(٤) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة».

وفي لفظ لمسلم^(٥): «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم**

-
- (١) أخرجه مسلم (ص ٢١٠٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً.
- (٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٤) من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً، وأشار إليه البخاري (٢٣٠٨).
- (٣) الدَوِيَّة: هي الأرض القفر والفضاء الخالية.
- (٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٣٠٩)، ومسلم (ص ٢١٠٥).
- (٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٧).

مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦١﴾.

ج: في ذلك وجهان مشهوران:

أحدهما: أنه يستجيب بمعنى يُجيب كقوله تعالى: (فَأَسْتَجِبَ لَهُمْ رَبُّهُمْ... ﴿٦١﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فيكون المعنى: ويجيب الله ﷻ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى ما سألوه فيعطيهما ما سألوه وفوق ما سألوه.

فعلى سبيل المثال غاية ما كانت تتمناه أم موسى ﷺ وهي حامل في ولدها أن يحفظ الله ولدها من شفار الذباحين من الفراعنة، فسلم الله لها ولدها وجعله يتربى تحت عينيها وبين ثدييها في بيت فرعون، فتشفع فيمن شاءت وتُهدى إليها الهدايا بسبب موسى ﷺ.

الثاني: أن يستجيب عائدةً على أهل الإيمان، أي: أنهم يستجيئوا لربهم إذا أمرهم فإذا فعلوا ذلك زادهم الله من فضله كأن يشفعهم في مؤمنين، وكأن يُريهم وجهه الكريم يوم القيامة. أما أهل الكفر فقد أعد لهم العذاب الشديد، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض.

ثم قال:

وقوله: (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) يقول تعالى ذكره: ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم، وإعطائه إياهم مسألتهم من فضله على مسألتهم إياه، بأن يعطيهم ما لم يسألوه. وقيل: إن ذلك الفضل الذي

ضمن جل ثناؤه أن يزيدهموه، هو أن يشفعهم في إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا في إخوانهم، فشفعوا فيهم.

وقال أيضاً:

وقوله: (وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾) يقول جل ثناؤه: والكاغرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به.

واختلف أهل العربية في معنى قوله: (وَسَجَّيْبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) فقال بعضهم: أي استجاب فجعلهم هم الفاعلين، فالذين في قوله رفع والفعل لهم. وتأويل الكلام على هذا المذهب: واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم إلى الإيمان به، والعمل بطاعته إذا دعاهم إلى ذلك.

وقال آخر منهم: بل معنى ذلك: ويجيب الذين آمنوا. وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما الرفع، بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا. والآخر ما قاله صاحب القول الذي ذكرنا.

وقال بعض نحويي الكوفة: (وَسَجَّيْبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) يكون (الَّذِينَ) في موضع نصب بمعنى: ويجيب الله الذين آمنوا. وقد جاء في التنزيل (فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) [آل عمران: ١٩٥]، والمعنى: فأجاب لهم ربهم، إلا أنك إذا قلت استجاب، أدخلت اللام في المفعول؛ وإذا قلت أجاب حذف اللام، ويكون استجابهم بمعنى: استجاب لهم، كما قال جل ثناؤه: (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) والمعنى والله أعلم: وإذا كالوا لهم، أو وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾) [المطففين: ٣]. قال: ويكون (الَّذِينَ) في موضع رفع إن يجعل الفعل لهم، أي الذين آمنوا يستجيبون لله، ويزيدهم على إجابتهم، والتصديق به من فضله.

وقد بينا الصواب في ذلك من القول على ما تأوله معاذ ومن ذكرنا قوله فيه.



MOSTAFAALADWY.COM

قال الله تعالى:

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِعَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَخِصٍ ﴿٣٥﴾ [الشورى: ٢٧-٣٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

(بَسَطَ - لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ - الْغَيْثَ - قَنَطُوا - يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ - الْوَلِيَّ - الْحَمِيدُ - بَثَّ - دَابَّةٌ - بِمُعْجِزَيْنَ - الْجَوَارِ - يَسْكِنُ الرِّيحَ - رَوَاكِدٌ - صَبَّارٌ - شَكُورٌ - يُؤَيِّقُهُنَّ - بِمَا كَسَبُوا - يُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِنَا - مَحِيصٌ).

ج:

معناها	الكلمات
وسَّعَ	(بَسَطَ)
لظَلَمَ بعضهم بعضًا ولتعدى بعضهم على بعض	(لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ)
المطر	(الْغَيْثَ)
يُسُّوْا	(قَنَطُوا)
يُعِمُّ فضله على البلاد، وقيل: الرحمة هنا المطر، وهذا أصح. وقيل: إنها ظهور الشمس بعد اختفائها	(يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ)
الذي يتولى أمور الناس فيحسن إليهم ويفضل عليهم ويتولى أهل الإيمان بعفوه ورحمته ونصره	(الْوَلِيَّ)
الذي تحمده الخلائق، والمحمود في السراء والضراء	(الْحَمِيدُ)
فَرَّقَ - نَشَرَ - خَلَقَ	(بَثَّ)
كل ما يدب في السماء والأرض، وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وعموم الحيوانات والمخلوقات	(دَابَّةٌ)
بفائتين - بغالبين - لن يعجز ربكم عن إدراككم	(بِمُعْجِزَيْنَ)

التسهيل لتأويل التنزيل

السفن الجارية في البحر	(الْجَوَارِ)
يجعلها ساكنة لا تتحرك	(يُسْكِنُ الرِّيحَ)
ساكنة لا تتحرك - مستقرة	(رَوَّكِدَ)
ذو صبر على طاعة الله وعلى بلائه واختباره	(صَبَّارٍ)
ذو شكر لنعم الله	(شَكُورٍ)
يُهلكهن	(يُهْلِكُهُنَّ)
بسبب كسبهم السيئ ومعاصيهم	(بِمَا كَسَبُوا)
يخاصمون في الدلائل والمعجزات وينكرونها ويكذبون بها	(يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا)
معيد - مهرب - مفر	(مُخَيِّصٍ)



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوْ كَسَبَ اللَّهُ الرِّزْقَ لعباده لَبَغَوُا فِي الْأَرْضِ**

وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعباده خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولو وسع الله على العباد في الأرزاق فأعطاهم فوق احتياجاتهم لبغى بعضهم على بعض، لتناول بعضهم على بعض ولظلم بعضهم بعضاً ولكنه سبحانه ينزل من الأرزاق في كثير من الأحيان ما تستقيم به أمورهم وتسمو به أخلاقهم إنه سبحانه ذو بصر بعباده وذو خبرة بهم، يراهم ويعلم ما يدور في نفوسهم وما تؤول إليه أمورهم.

قال الطبري رحمه الله:

ولو بسط الله الرزق لعباده، فوسعه وكثره عندهم لبغوا، فتجاوزوا الحد الذي حده الله لهم إلى غير الذي حده لهم في بلاده بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم، ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذي يشاء منه.

ثم قال ﷻ:

وقوله: (إِنَّهُ لِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾) يقول تعالى ذكره: إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة وإقتار، وغير ذلك من مصالحهم ومضارهم، ذو خبرة، وعلم، بصير بتدبيرهم، وصرفهم فيما فيه صلاحهم.



س: هل صح لهذه الآية الكريمة: (ﷻ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي

الْأَرْضِ) سبب نزول؟

ج: أخرج الطبري بسند صحيح إلى أبي هانئ، وهو حميد بن هانئ الخولاني قال:

سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: (ﷻ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ) ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا.



الغنى في كثير من الأحيان يسبب الطغيان

س: اذكر بعض الآيات في معنى الآية الكريمة: (ﷻ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ

لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ).

ج: من الآيات التي في معناها ما يلي:

قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾) [العلق: ٦-٧].

وقوله تعالى: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ) [الإسراء: ٨٣].

وقوله تعالى: (ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) [الزمر: ٨].

بعض صور البغي

س: هل صور البغي التي يقع فيها الناس بسبب بسط الرزق محصورة في تعدي بعضهم على بعض وظلم بعضهم لبعض؟

ج: هي أوسع من ذلك:

فمن صور بغيهم: تعدي بعضهم على بعض وتناول بعضهم على بعضهم وانتهاك بعضهم لحرمة بعض.

ومن صور بغيهم: تركهم سؤال الله ﷻ واستغناؤهم عنه.

ومن صور بغيهم: أن الرجل إذا وسع عليه حسد الآخرين وتسلطوا عليه.

ومن صور بغيهم: أن بعضهم لن ينقاد لبعض وحينئذ إذا لم ينقاد بعضهم لبعض تتعطل مصالح العباد.

ومن صور بغيهم: طلبهم أكثر وأكثر فيطلبون دابة بعد دابة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملابس ومسكناً بعد مسكن، فلو أعطاهم الكثير لطلبوا ما هو أكثر وأكثر كما في الحديث: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً»^(١).

ومن صور بغيهم: تنافسهم في الدنيا وانشغالهم عن الذكر.

(١) البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (٧٢٥).

ومن صور بغيتهم: ارتكابهم المعاصي والكبائر بما معهم من أموال إلى غير ذلك من صور البغي، والله أعلم.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (وَلَكِنْ يُزَلُّ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ).

ج: في معناها قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا لِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) (الحجر: ٢١).



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ) (٢٨).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والله سبحانه وتعالى هو الذي ينزل المطر من السماء لنفع البلاد والعباد بعد قطعه عنهم زمناً حتى يؤسوا من نزوله كما قال تعالى: (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ) (الروم: ٤٩).

فيتفضل الله عليهم بإنزاله ويعمم إنزاله فيشمل المطر البلاد عموماً فيعم الخير، فهو الذي يتولى عباده بإحسانه وتفضله عليهم ورحمته بهم وهو المحمود في كل حال وبكل لسان وفي كل مقام.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس (مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا) يقول: من بعد ما يؤس من نزوله ومجيئه. (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) يقول: وينشر في خلقه رحمته، ويعني بالرحمة: الغيث الذي ينزله من السماء.

وقال أيضاً رحمه الله:

وقوله: (وَهُوَ أَوَّلُ الْحَمِيدِ ﴿٢٨﴾) يقول: وهو الذي يليكم بإحسانه وفضله، الحميد بأياديه عندكم، ونعمه عليكم في خلقه.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن آيات الله ﷻ الدالة على قدرته على البعث وإحياء الأنفس بعد موتها خلقه سبحانه وتعالى للسموات والأرض وما فرّق بينهما ونشر من مخلوقات، فالذي خلق ذلك قادرٌ على جمعهم يوم القيامة بلا شك، فكما قال تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾) [غافر: ٥٧].

وكما قال سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ).

[الروم: ٢٧]

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم، (خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ)، يعني وما فرّق في السموات والأرض من دابة.

وقال أيضاً: (وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾) يقول: وهو على جمع ما بث فيهما من دابة إذا شاء جمعه، ذو قدرة لا يتعذر عليه، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه، يقول تعالى ذكره: فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة بعد تفرق أوصالهم في القبور.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ) الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: ذرأ فيهما، أي: في السموات والأرض، ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ وهذا يشمل الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات، على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وطباعهم وأجناسهم، وأنواعهم، وقد فرقهم في أرجاء أقطار الأرض والسموات، (وَهُوَ) مع هذا كله (عَلَى جَمْعِهِمْ إِذْ يَشَاءُ قَدِيرٌ) (٣٠) أي: يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) (٣٠).

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم، وما أصبتم به أيها الناس من مصائب فسببها ما فعلتموه من المعاصي وما ارتكبتموه من الآثام ثم إن الله ﷻ لا يؤاخذكم بكل ما يصدر منكم، بل يتجاوز لكم عن كثير من ذنوبكم ومعاصيكم لا يؤاخذكم بها، وإلا فلو آخذكم لأهلككم جميعاً.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهلكم وأموالكم (فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم

ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها.

وقال رحمه الله أيضاً:

وقال آخرون: بل عني بذلك: وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحد حددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فيما كسبت أيديكم يقول: فيما عملتم من معصية الله ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) فلا يوجب عليكم فيها حدًا.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم (وَيَعْفُوا) عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها، (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمَا مِن دَابَّةٍ) [فاطر: ٤٥] وفي الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده، ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن، إلا كفر الله عنه بها من خطاياها، حتى الشوكة يشاكها»^(١).

وقال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمَا مِن دَابَّةٍ) [فاطر: ٤٥] وليس إهمالاً منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزاً.

(١) البخاري (٥٦٤٠)، و(٥٦٤١)، و(٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣)، (٢٥٧٤) وغيرهما، بنحوه وله طرق.



بعض صور المصائب - عافانا الله -

س: اذكر بعض صور تلك المصائب.

ج: من هذه المصائب - عافانا الله منها - ما يلي:

- * الضَّرُّ في الأبدان كالأمراض والأسقام والجروح والأوجاع التي يصاب بها العباد.
- * قلة الأموال كالتضييق في الأرزاق، والخسارة في التجارات، والحريق الذي يلتهم كل شيء ونحو ذلك.
- * الحدود التي تقام على العباد من جراء كبائرهم التي ارتكبوها وجرائمهم التي اجترموها.
- * اختلاف العقول وقلة الأفهام وذهاب العلم.
- * الفضائح التي يفتضح بها أقوام في الناس.
- * تسلط الأعداء والشرانم على الشخص.
- * تمرد الأبناء والبنات والزوجات.
- * الهموم والأحزان والغموم التي تصيب البشر.
- * نسيان القرآن وفقدان الرفقة الصالحة والحرمان من فعل الخير.
- * استحواذ الشيطان على الشخص وتغير القلوب وانتكاسها إلى غير ذلك من المصائب - عافانا الله والمسلمين منها.



س: هل تلك الابتلاءات التي تحل بالصالحين تكون بذنوب ارتكبوها، وهل ما أصاب الأنبياء ﷺ كأيوب وسائر الأنبياء كان بذنوب ارتكبت؟ وإلا فكيف الجمع بين ما حدث لهم وبين الآية الكريمة (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن هذه الابتلاءات التي يُبتلى بها الصالحون إنما ابتلوا بها لرفعة درجاتهم وعلوم منزلتهم.

قال تعالى: (وَلَنَجْجزِيَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (٣١).

[محمد: ٣١]

وقال رسول الله ﷺ وقد سئل عن أشد الناس بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلأاً اشتد بلاؤه» (١).

وقال ابن مسعود لرسول الله ﷺ: إنك لتوعك وعكاً شديداً. قال: «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، قلت: إن ذلك بأن لك أجرين؟ قال: «أجل، ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطايا كما تحات ورق الشجر» (٢).



س: هل هذه المصائب كفارات للذنوب أم لا؟

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

(١) الترمذي (٢٣٩٨)، وله شواهد يصح بها.

(٢) البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١).

ما أخرجه البخاري ^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تُصيب المسلم إلا كفر الله بها عنها، حتى الشوكة يشاكها».

وأخرج ^(٢) أيضاً عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يُصيب المسلم من نصب ولا وَصَب ولا هَمٌّ ولا حَزَن ولا أدى ولا غَمٌ - حتى الشوكة يُشاكها - إلا كفر الله بها من خطاياها».

وأخرج ^(٣) أيضاً من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع: تفيؤها الريح مرة، وتعديلها مرة. ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة».

ونحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع: من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء. والفاجر كالأرزة صماء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء» ^(٤).
فالأمراض والابتلاءات إذن علامة خير، قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يُصب منه» ^(٥).

* وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) [النساء: ١٢٣]، بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة

(١) البخاري (حديث ٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٢) البخاري (حديث ٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٣) البخاري (حديث ٥٦٤٣).

(٤) البخاري (حديث ٥٦٤٤).

(٥) البخاري (حديث ٥٦٤٥).

ينكبها، أو الشوكة يشاكها»^(١).

* وأخرج أيضاً^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دَخَلَ على أم السائب - أو أم المسيب - فقال: «ما لك يا أم السائب - أو يا أم المسيب - تزفزين»^(٣). قالت: الحمى، لا بارك الله فيها: فقال: «لا تسبي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد».

وأخرج مسلم^(٤) من طريقه:

عن الأسود، قال: دخل شباب من قريش على عائشة، وهي بمنى، وهم يضحكون، فقالت: ما يضحكم؟ قالوا: فلان خرَّ على طُنب^(٥) فسطاط، فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا: فإني سمعت رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة».

أخرج البخاري^(٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعودُه، قال: وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعودُه قال له: «لا بأس، طهور إن شاء الله» قال: قلت: طهور؟ كلا، بل هي حُمى تفور - أو تثور - على شيخ كبير، تُزيرُه القبور، فقال النبي ﷺ: «فَنَعَمْ إذا».

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٤).

(٢) مسلم (حديث ٢٥٧٥).

(٣) تزفزين: أي ترعدين.

(٤) مسلم (حديث ٢٥٧٢).

(٥) الطنب: هو الحبل الذي يربط به الفسطاط.

(٦) البخاري (٥٦٥٦).

وفي حديث عبد الله بن مسعود ^(١) رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في مرضه - وهو يوعك و عگا شديداً، وقلت: إنك لتوعك و عگا شديداً، قال: «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين. قال: «أجل، ما من مسلم يُصيبه أدنى إلا حاتَّ الله عنه خطياه كما تحاتُّ ورق الشجر».



معرفة ما إذا كان الابتلاء عقوبة أو رفعة للدرجات

س: كيف يعرف الشخص الذي يُبتلى أن ما حلَّ به إنما حلَّ به لذنوبه أو إنما حلَّ به لرفعة درجاته؟

ج: هذا لا يتأتى إلا بالنظر إلى سيرته العامة فإن كان غالب أمره الصلاح وأداء حدود الله والبعد عن مساخطه فالغالب حينئذٍ أن المصائب ابتلاءات لرفعة الدرجات.

أما إذا كان مغموراً في المعاصي مسرفاً على نفسه بالذنوب، فالغالب أن يكون هذا الذي حلَّ به إنما حلَّ به من جراء ذنوبه ومعاصيه، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ

اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ^(٣١)).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما أنتم معشر البشر بمستطيعي الهرب من ربكم في أي مكان في الأرض، فربكم لن يعجز عن إحلال أمره فيكم،

(١) البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١).

وإنزال بأسه - إن أراد بكم في أي مكان كنتم، كما قال تعالى: (أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) [البقرة: ١٤٨]، وكما قال: (أَيَّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ) [النساء: ٧٨]، ففي أي مكان كنتم لن تعجزوا ربكم ﷻ بل الله عليكم قادر، وليس لكم من دون الله من يتولاكم ولا من ينصركم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول: وما أنتم أيها الناس بمفيتي ربكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها، ومعصيتكم إياه التي ركبتموها هرباً في الأرض، فمعجزيه، حتى لا يقدر عليكم، ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقضته، جارية فيكم مشيئته (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ) يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه (وَلَا نَصِيرٌ ٣١) يقول: ولا لكم من دونه نصير ينصركم إذا هو عاقبكم، فينتصر لكم منه، فاحذروا أيها الناس معاصيه، واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم، فإنه لا دافع لعقوبته عن أهلها به.



س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ

٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ بَشِيرٍ مُتَذَكِّرٍ ٣٣) أَوْ يُوقِفْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مُخِصٍّ ٣٥).

ج: المعنى إجمالاً، والله أعلم، ومن آيات الله ﷻ الدالة على قدرته وعلى وحدانيته هذه السفن العظيمة الهائلة التي هي كالجبال تلك التي ألهمكم صنعها وتسييرها، فإنه سبحانه يسيرها وإياكم في البحر بما يسخره لها من الرياح، وإلا فربى قادر على أن يجعل الرياح ساكنة لا

تتحرك، فالرياح مسخرة بتسخير الله لها، فإذا سكنت الريح ولم تتحرك ظلت السفن راكدة على ظهر البحر ساكنة هي الأخرى، (إِنَّ فِي ذَلِكَ) في تسكين الريح وتحريكها وتسيير السفن وإيقافها لدلالات واضحات على قدرتنا ووجدانيتنا يتعقلها ويتفهمها ويستدل بها على قدرتنا ووجدانيتنا كل ذي صبر على أوامرنا يمتثلها ويعمل بها، وكل ذي صبر عن محارمنا يجتنبها، وكل ذي صبر على قضائنا وقدرنا، وكذا ففيها آية لكل شكور لنعمائنا، مقرر بفضلنا وإحساننا، وإن يشأ الله ﷻ يغرق هذه السفن بمن فيها بسبب عملهم السيئ وكسبهم الخبيث واقترافهم المآثم، ولكنه سبحانه يعفو عن كثير من الذنوب والخطايا، وبنحو هذا جاءت أقوال المفسرين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء، وأنه لا يتعذر عليه فعل شيء أراده، السفن الجارية في البحر. والجواري: جمع جارية، وهي السائرة في البحر.

وقال أيضاً:

وقوله: (كَأَلَعَلِّمٍ ﴿٣٢﴾) يعني كالجبال: واحدها علم؛ ومنه قول الشاعر:

كأنه علم في رأسه نادر

يعني: جبل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال كذلك:

وقوله: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رُؤُوسُكُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ) يقول تعالى ذكره: إن

يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه، أسكن الريح

التي تجري بها فيه، فثبتن في موضع واحد، ووقفن على ظهر الماء لا تجري، فلا تتقدم ولا تتأخر.

ثم قال: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾) يقول: إن في جري هذه الجواري في البحر بقدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قدرة الله على ما يشاء لكل ذي صبر على طاعة الله شكور لنعمه وأياديه عنده.

يقول تعالى ذكره: أو يوبق هذه الجواري في البحر بما كسبت ركبائها من الذنوب، واحترموا من الآثام، وجزم يوبقهن، عطفاً على (يُسْكِنُ الرِّيحَ) ومعنى الكلام إن يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره، (أَوْ يُوبِقُهُنَّ) ويعني بقوله: (أَوْ يُوبِقُهُنَّ) أو يهلكهن بالغرق.

وقال:

وقوله: (وَيَعَفُّ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾) يقول: ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها.

وقوله: (وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُخَدِّلُونَ فِيءًا بَيْنَنَا) يقول جل ثناؤه: ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمداً □ من المشركين في آياته وعبره وأدلته على توحيده.

وقال:

وقوله: (مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾) يقول تعالى ذكره: ما لهم من محيص من عقاب الله إذا عاقبهم على ذنوبهم، وكفرهم به، ولا لهم منه ملجأ.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾) أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه ويشق عليها، فيكرهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية،

أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط، (شُكُورٍ ٣٣) في الرخاء وعند النعم، يعترف بنعمة ربه ويخضع له، ويصرفها في مرضاته، فهذا الذي ينتفع بآيات الله.

وأما الذي لا صبر عنده، ولا شكر له على نعم الله، فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: ومن آياته الدالة على قدرته وسلطانه، تسخير البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر كالأعلام، أي: كالجبال، قاله مجاهد، والحسن، والسدي، والضحاك، أي: هي في البحر كالجبال في البر.

(إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ) أي: التي تسير بالسفن، لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة على ظهره، أي: على وجه الماء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) أي: في الشدائد (شُكُورٍ ٣٣) أي: إن في تسخير البحر وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم، لدلالات على نعمه تعالى على خلقه (لِكُلِّ صَبَّارٍ) أي: في الشدائد، (شُكُورٍ ٣٣) في الرخاء.

وقوله: (أَوْ يُوقِعَهُنَّ يَمًا كَسْبُواً) أي: ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون عليها (وَيَعَفُّ عَنْ كَثِيرٍ ٣٤) أي: من ذنوبهم. ولو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر.

وقال بعض علماء التفسير: معنى قوله: (أَوْ يُوقِعَهُنَّ يَمًا كَسْبُواً) أي: لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها

المستقيم، فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال، آفة لا تسير على طريق، ولا إلى جهة مقصد.

وهذا القول هو يتضمن هلاكها، وهو مناسب للأول، وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت، أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت. ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة، كما يرسل المطر بقدر الكفاية، ولو أنزله كثيراً جداً لهدم البنيان، أو قليلاً لما أنبت الزرع والثمار، حتى إنه يرسل إلى مثل بلاد مصر سيجاً من أرض أخرى غيرها؛ لأنهم لا يحتاجون إلى مطر، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم، وأسقط جدرانهم.

وقوله: (وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ۝٣٥) أي: لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا، فإنهم مقهورون بقدرتنا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (أَوْ يُوقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) أي: وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن أي: يغرقهن بذنوب أهلها وقيل: يوبق أهل السفن (وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۝٣٦) من أهلها فلا يغرقهم معها حكاه الماوردي وقيل: (وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۝٣٦) أي: ويتجاوز عن كثير من الذنوب فينجيهم الله من الهلاك. قال القشيري: والقراءة الفاشية ﴿وَيَعْفُ﴾ بالجزم وفيها إشكال لأن المعنى: إن يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف (وَيَعْفُ) على هذا لأنه يصير المعنى: إن يشأ يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو إذا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم ﴿ويعفو﴾ بالرفع وهي جيدة في المعنى (وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ

مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ يعني الكفار أي إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان أو بقيت السفن رواكد علموا أنه لا ملجأ لهم سوى الله ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة.

MOSTAFAALADWY.COM

قال الله تعالى:

(فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبَرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَتُصْرَبَعَدُ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوكَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَجَرَحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾) [الشورى: ٣٦-٤٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(فَنَنْعُ) - يَتَوَكَّلُونَ - اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ - وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ - الْبَغَى - يَنْصُرُونَ - مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ - وَيَبْعُونَ - وَعَفَرَ - عَزَمِ الْأُمُورَ - يُضِلِلِ اللَّهُ - هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ - يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا - خَشِيعَتٍ مِنَ الدَّلِيلِ - يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ - عَذَابٍ مُقِيمٍ - قَالَهُ، مِنْ سَبِيلٍ - اسْتَجَابُوا لِرَبِّكُمْ - لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ - مَلَجًا - نَكِيرٍ - أَعْرَضُوا - حَفِظًا - إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْمُنَاعُ - بَحْمَةً - سَيِّئَةً - بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ - كَفُورًا).

ج:

الكلمة	معناها
(فَنَنْعُ)	شيء يستمتع به ويفنى بعد ذلك ويزول
(يَتَوَكَّلُونَ)	يعتمدون - يثقون بربهم ﷻ
(اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ)	أجابوه - سمعوا له وأطاعوا
(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)	يتشاورون في أمورهم العامة
(الْبَغَى)	التعدي من غيرهم عليهم
(يَنْصُرُونَ)	يأخذون حقهم ممن ظلمهم
(مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ)	ليس هناك طريق ولا سبب لتعذيبهم ولا اللومهم، وقيل: المراد ما عليهم من عنت ولا مشقة ولا عذاب
(وَيَبْعُونَ)	يتعدون على العباد
(وَعَفَرَ)	تجاوز عن ظلموه - ستر السيئة فلم يؤاخذ المسيء بإساءته
(عَزَمِ الْأُمُورَ)	من الأمور العظيمة التي أمر الله بها
(يُضِلِلِ اللَّهُ)	يخذله الله ويصرفه عن الطاعة

التسهيل لتأويل التنزيل

هل من طريق للرجوع إلى الحياة الدنيا	(هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ)
يرونها ويشاهدونها	(يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا)
خاضعين بسبب الذل الذي أصابهم خاضعين والذل يعتر بهم	﴿خَشِعُوا مِنْ أَذْنِ﴾
ينظرون بعين ذليلة منكسرة لا يستطيعون رفع أبصارهم من شدة الذل الذي يعتر بهم ومن العذاب الذي يرونه، وقيل: يسارقون النظر، وقيل: وهو راجع إلى المعنى الأول: ينظرون بجزء من أعينهم، نظرة الذليل المنكسر	﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾
عذاب دائم لا يتحول ولا يزول	(عَذَابٍ مُّقِيمٍ)
فما له من طريق لهديته ولا من طريق لفراره ولا من طريق لإنقاذه	(قَالَ لَهُ مِنْ سَبِيلٍ)
أجيبوا داعي ربكم الذي يدعوكم إلى طريق الله	(اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ)
لا مانع له ولا راد لوقوعه	﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾
ملتجأ تلتجئون إليه - مكان تعتصمون فيه	(مَلَجَا)
نصير - غزوة تعتزون بها - من ينكر ما يحل بكم من العذاب	(نَكِيرٍ)

تفسير سورة الشورى

١٣٧

انصرفوا عن الإيمان	(أَعْرَضُوا)
الحفيظ من يحفظ الأعمال ويكتبها ويسجلها	(حَفِظًا)
ما عليك إلا تبليغ ما أوحى إليك	﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾
نعمة من مالٍ وولدٍ ونحو ذلك	(رَحْمَةً)
فقرٌ وفاقةٌ ومرضٌ ونحو ذلك	(سَيِّئَةً)
بسبب ما عملوه من الأعمال السيئة والذنوب والمعاصي والشرك	﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ﴾
جحود لنعم الله ﷻ (ينسى النعم ويذكر العقوبة والبلاء فقط)	(كُفُورًا)



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا...).

ج: من الآيات الواردة في معناها ما يلي:

* قوله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾) [القصص: ٦٠].

* وقوله تعالى: (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾).

[الأعلى: ١٦-١٧]



س: هل الخطاب في قوله تعالى: (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّهُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا... ﴿٣٦﴾) للمشركين أم هو عام؟

ج: بل هو عام، فليس هناك ما يدعو إلى تقييده. والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّهُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومهما أُوتيتم في هذه الدنيا من شيء فمتاع زائل وفان، تُنزل به في الحياة الدنيا ثم هو ذاهب ومُنته وما أعدّه الله ﷻ في الآخرة لأهل الإيمان وأهل التوكل عليه والاعتماد عليه والثقة به خيرٌ وأبقى، لا يزول ولا يتحول كما قال تعالى: (وَالْآخِرَةُ لَهِیَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (العنكبوت: ٦٤).

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّهُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره: فما أعطيتم أيها الناس من شيء من ريش الدنيا من المال والبنين، فمتاع الحياة الدنيا، يقول تعالى ذكره: فهو متاع لكم تتمتعون به في الحياة الدنيا، وليس من دار الآخرة، ولا مما ينفعكم في معادكم. (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى) يقول تعالى ذكره: والذي عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة، خير مما أُوتيتموه في الدنيا من متاعها وأبقى؛ لأن ما أُوتيتم في الدنيا فإنه نافذ، وما عند الله من النعيم في جنانه لأهل طاعته باقٍ غير نافذ.

(لِلَّذِينَ آمَنُوا) يقول: وما عند الله للذين آمنوا به، وعليه يتوكلون في أمورهم، وإليه يقومون في أسبابهم، وبه يثقون، خير وأبقى مما أُوتيتموه

من متاع الحياة الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى محقراً بشأن الحياة الدنيا وزينتها، وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني، بقوله: (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أي: مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به، فإنما هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة، (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى) أي: وثواب الله خير من الدنيا، وهو باق سرمدى، فلا تقدموا الفاني على الباقي؛ ولهذا قال: (لِلَّذِينَ آمَنُوا) أي: للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا، (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾) أي: ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإذا أغضبهم شخص بفعل شيء يضايقهم ويؤذيهم تجاوزوا عنه وصفحوا عنه، فسجينهم وطبيعتهم تقتضي العفو عن الناس، وليس من سجينتهم الانتقام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ وقد قدمنا الكلام على الإثم والفواحش في «سورة الأعراف» ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: سجينتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجينتهم الانتقام من الناس.

وقد ثبت في الصحيح^(١): أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط، إلا أن

(١) البخاري (٣٥٦٠)، و(٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧).

تنتهك حرمان الله.

وفي حديث آخر^(١): كان يقول لأحدنا عند المعتبة: «ماله؟ تربت جبينه» .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن زائدة، عن منصور، عن إبراهيم قال: كان المؤمنون يكرهون أن يستدلوا، وكانوا إذا قدروا عفا^(٢).



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)^(٣).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين أجابوا ربهم ﷻ فيما دعاهم إليه فامتثلوا أمره واجتنبوا ما نهاهم عنه، وحافظوا على صلاتهم في أوقاتها ودواموا عليها، ولا يقطع واحدٌ منهم أمراً مما يخص جماعة المسلمين إلا وشاور المسلمين فيه، ثم هم منفقون من أموالهم، باذلون لها في طاعة الله ﷻ ومرضاته.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يقول تعالى ذكره: والذين أجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيدهم، والإقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) المفروضة بحدودها في أوقاتها، (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) يقول: وإذا حزبتهم أمر تشاوراً بينهم، (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

(١) البخاري (٦٠٣١).

(٢) السند الظاهر صحيح.

يُفْقُونَ) يقول: ومن الأموال التي رزقناهم ينفقون في سبيل الله، ويؤدون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليهم نفقته.

MOSTAFAALADWY.COM

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) أي: اتبعوا رسله وأطاعوا أمره، واجتنبوا زجره، (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) وهي أعظم العبادات لله ﷻ، (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) أي: لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بأرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) **إل عمران: ١٥٩** ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها، ليطيب بذلك قلوبهم. وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب الوفاة حين طعن، جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم أجمعين، فاجتمع رأي الصحابة كلهم على تقديم عثمان عليهم رَحِمَهُ اللهُ (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقُونَ) وذلك بالإحسان إلى خلق الله، الأقرب إليهم منهم فالأقرب.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) أي: يتشاورون في الأمور والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والذكرى ونحوه، فكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به قاله النقاش وقال الحسن: أي: إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم، متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم. قال الحسن: ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم وقال الضحاك: هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله ﷺ وورود النقباء إليهم حتى اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له وقيل: تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم بخبر دون بعض وقال ابن العربي: الشورى ألفة

للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا
وقد قال الحكيم :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي لبيب أو مشورة حازم
(ولا تجعل الشورى عليك فإن الخوافي قوة للقوادم

فمدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمثلون ذلك
وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب
وذلك في الآراء كثير ولم يكن يشاورهم في الأحكام؛ لأنها منزلة من عند
الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام فأما
الصحابة بعد استئثار الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون بالأحكام
ويستنبطونها من الكتاب والسنة وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فإن
النبي ﷺ لم ينص عليها حتى كان فيها بين أبي بكر والأنصار ما سبق
بيانه وقال عمر رضي الله عنه : نرضى لدنياً ما نرضى رسول الله ﷺ لدينا
وتشاوروا في أهل الردة فاستقر رأي أبي بكر على القتال وتشاوروا في
الجد وميراثه وفي حد الخمر وعدده وتشاوروا بعد رسول الله ﷺ في
الحروب حتى شاور عمر الهرمزان حين وفد عليه مسلماً في المغازي
فقال له الهرمزان : مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل
طائر له ريش وله جناحان ورجلان فإن كسر أحد الجناحين نهضت
الرجلان بجناح والرأس وإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس
وإن شدخ الرأس ذهب الرجلان والجناحان والرأس كسرى والجناح
الواحد قيصر والآخر فارس فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى وذكر

الحديث. وقال بعض العقلاء: ما أخطأت قط! إذا حزبني أمر شاورت قومي ففعلت الذي يرون فإن أصبت فهم المصيبون وإن أخطأت فهم المخطئون.

MOSTAFAALADWY.COM

قلت (مصطفى):

وهذا مزيدٌ من المواطن التي استشار فيها النبي ﷺ أصحابه:

* استشار النبي ﷺ عليًا وبريرة وزينب وأسامة في حديث الإفك.

* واستشار النبي ﷺ أصحابه وخاصة الأنصار يوم بدر.

وقال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَأَمْرُهُمُ) الديني والدنيوي (شُورَى بَيْنَهُمْ) أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعًا عن اجتماعهم وتوافقهم وتواديدهم وتحابيبهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمرًا من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيرهما، وكالبحث في المسائل الدينية عمومًا، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَكْتُمُونَ) (٢٨).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين إذا بغى عليهم باغ وتسلط عليهم متسلط بالاعتداء انتصروا منه ولم يستضعفوا أمامه ولم يذلوا ولم يهنوا من غير أن يعتدوا ولا أن يتجاوزوا الحد في الاقتصاص، وأورد الطبري رحمه الله تعالى قولين في ذكر الباغي الذي يُنتصر منه:

القول الأول: أنه الباغي المشترك.

والقول الثاني: أنه كل باغ مُعتدٍ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا القول الثاني أولى في ذلك بالصواب؛ لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى، بل حمد كل منتصر بحق ممن بُغي عليه.

فإن قال قائل: وما في الانتصار من المدح؟ قيل: إن في إقامة الظالم على سبيل الحق وعقوبته بما هو له أهل تقويماً له، وفي ذلك أعظم المدح.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ) (٣٦) أي: فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بعاجزين ولا أذلة، بل يقدرُونَ على الانتقام ممن بغى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدرُوا وعفوا، كما قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لإخوته: (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) [يوسف: ٩٢]، مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه، وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك نفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية، ونزلوا من جبل التنعيم، فلما قدر عليهم عفا عنهم مع قدرته على الانتقام. وأورد وقائع أخر عفا فيها النبي ﷺ عن ظلموه مع قدرته على الانتقام والاقتصاص منهم.



س: قال تعالى مُثْنِيًا عَلَى قَوْم: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ) (٣٦). وقال تعالى مُثْنِيًا أَيْضًا عَلَيْهِمْ: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (٣٧)، فالآية الأولى تضمنت ثناءً على من يقتصون من ظلمهم، والثانية تضمنت ثناءً على العافين عن الناس الغافرين لهم، وعلى شاكلتها آيات أخر، فكيف الجمع والتوفيق بين الثناء على العافين الغافرين للناس، والأخرى التي فيها ثناءً على المقتصين من بغى عليهم؟

ج: وجه الجواب أن يُقال: إن العفو له مواطن والمواخذه لها مواطن، فإذا صدرت من شخص زلة قدم وأخطأ في حق شخص آخر وصدرت من لسانه فلتاته أو من تصرفاته هنات، ثم تاب وندم فهذا يُستحب في حقه العفو عنه والصفح عما بدر منه من زلات.

أما إذا كان الشخص متمادياً في الغي مُستمرّاً في الظلم، يتباهى ويفتخر بظلمه للعباد ويُنصح فلا يقبل النصح ويُذكر بالله فلا يقبل التذكير، فهذا الانتصار منه أولى وأنفع له وللمسلمين ولم ارتكب في حقهم من الجرائم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (٣٧).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (٣٧) أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح.

فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفاصد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالى: (أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (٣٤) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)

[فصلت: ٣٤-٣٥].

فالمقامات تختلف وتتنوع.

هذا، وهناك اتجاه ضعيف للجمع بين الآيات وهو الحكم بالنسخ نسخ

آيات العفو والصفح، ولكن الجمع أولى، والنسخ لا يُصار إليه إلا عند تعذر الجمع، والجمع هاهنا ممكنٌ والحمد لله.

هذا وقد قال القرطبي رحمه الله:

قال ابن العربي: ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح فاحتمل أن يكون أحدهما رافعاً للآخر واحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى حالتين إحداهما: أن يكون الباغي معلناً بالفجور وقحاً في الجمهور مؤذياً للصغير والكبير، فيكون الانتقام منه أفضل وفي مثله قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أن يذلو أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق.

الثانية: أن تكون الفلته أو يقع ذلك ممن يعترف بالزلة ويسأل المغفرة فالعفو هاهنا أفضل وفي مثله نزلت: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) **[البقرة: ٢٣٧]**، وقوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ **[المائدة: ٤٥]**، وقوله: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) **[النور: ٢٢]**.

قلت: هذا حسن وهكذا ذكر الكيا الطبري في أحكامه قال: قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) **[٣٩]** يدل على ظاهره على أن الانتصار في هذا الموضع أفضل، ألا ترى أنه قرنه إلى ذكر الاستجابة لله سبحانه وتعالى وإقام الصلاة وهو محمول على ما ذكر إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلو أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق، فهذا فيمن تعدى وأصر على ذلك والموضع المأمور فيه بالعفو إذا كان الجاني نادماً مقلعاً وقد قال عقيب هذه الآية: (وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعْلَيْهِمْ مِنْ

سَيِّلِ (٤١) ويقتضي ذلك إباحة الانتصار لا الأمر به وقد عقبه بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وهو محمول على الغفران عن غير المُصرِّ، فأما المصّر على البغي والظلم فالأفضل الانتصار منه بدلالة التي قبلها، وقيل: أي إذا أصابهم البغي تناصروا عليه حتى يزيلوه عنهم ويدفعوه، قاله ابن بحر وهو راجع إلى العموم على ما ذكرنا.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن أراد الانتصار ممن ظلموه فله أن ينتصر وليس له أن يتعدى، فإذا ظلم مظلماً وأراد الاقتصاص فله أن يقتص بقدر مظلّمته، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ١٠]، وكما قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ الْأَنْفُسَ بِالْأَنْفُسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥].

وكما قال تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) [النحل: ١٢٦].

وكما قال تعالى: (فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ).

[البقرة: ١٩٤]

وكما قال النبي ﷺ: «المستبان ما قالا فعلى البادي فيهما ما لم يعتد

المظلوم» (١)

وكما قال ﷺ لهند: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (٢)

قال الطبري رحمه الله:

(١) مسلم حديث (٢٥٨٧).

(٢) البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).

التسهيل لتأويل التنزيل

وقوله: (وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا) وقد بينا فيما مضى معنى ذلك، وأن معناه: وجزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه، فهي وإن كانت عقوبة من الله أوجبها عليه، فهي مساواة له. والسيئة: إنما هي الفعل من السوء، وذلك نظير قول الله ﷻ: (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا) [الأنعام: ١٦٠]، وقد قيل: إن معنى ذلك: أن يجاب القائل الكلمة القرعة بمثلها.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قوله تعالى: (وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا) كقوله تعالى: (فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعْدُوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ) [البقرة: ١٩٤]، وكقوله: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) [التحل: ١٢٦]، فشرع العدل وهو القصاص، وندب إلى الفضل وهو العفو، كقوله: (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ) [المائدة: ٤٥].

وقال القرطبي رحمه الله:

الثانية: قوله تعالى: (وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا) قال العلماء: جعل الله المؤمنين صنفين؛ صنف يعفون عن الظالم، فبدأ بذكرهم في قوله: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) [٣٧]، وصنف ينتصرون من ظالمهم، ثم بيّن حد الانتصار بقوله: (وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا) فينتصر ممن ظلمه من غير أن يعتدي، قال مقاتل وهشام بن حجير: هذا في المجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره من سب أو شتم وقاله الشافعي وأبو حنيفة وسفيان قال سفيان: وكان ابن شبرمة يقول: ليس بمكة مثل هشام، وتأول الشافعي في هذه الآية أن للإنسان أن يأخذ من مال من خانه مثل ما خانه من غير

علمه واستشهد في ذلك بقول النبي ﷺ لهند زوج أبي سفيان : «خذي من ماله ما يكفيك وولدك» فأجاز لها أخذ ذلك بغير إذنه وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في (البقرة) وقال ابن أبي نجيح : إنه محمول على المقابلة في الجراح وإذا قال : أخزاه الله أو لعنه الله أن يقول مثله ولا يقابل القذف بقذف، ولا الكذب بكذب وقال السدي : إنما مدح الله من انتصر ممن بغى عليه من غير اعتداء بالزيادة على مقدار ما فعل به يعني كما كانت العرب تفعله، وسمي الجزاء سيئة؛ لأنه في مقابلتها فالأول ساء هذا في مال أو بدن وهذا الاقتصاص يسوؤه بمثل ذلك أيضاً.



س: وضع معنى قوله تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فمن تجاوز عمن ظلمه ولم يقابل السيئة بالسيئة، فأجره عند الله عز وجل مُدخر ولن يضيع.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) يقول جل ثناؤه: فمن عفا عن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله، فأجر عفو ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه. (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) يقول: إن الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدون على الناس، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ولهذا قال هاهنا: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) أي: لا يضيع ذلك عند الله

كما صح في الحديث: «وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً» وقوله: (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (٤٠) أي: المعتدين، وهو المبتدئ بالسيئة.



س: اذكر بعض الوارد في الحث على العفو عن الناس.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قال الله تبارك وتعالى: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (٣٤) وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) [فصحت: ٣٤، ٣٥].

فإذا قذفك شخص بمسبة فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب. إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهير عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

قول الله تعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١٣٤) [آل عمران: ١٣٤].

وقوله سبحانه: (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) (١٤).

[التغابن: ١٤]

وقوله تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)

[الشورى: ٤٠]

* وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم^(١) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه):

قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٨).

* وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم..»^(١).

* وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله ﷻ من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى»^(٢).

والعفو والإحسان من شيم رسول الله ﷺ:

* أخرجه البخاري^(٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:

أن هذه الآية التي في القرآن: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [الأحزاب: ٥٠]، قال في القوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين، أنت عدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعياً عمياً، وآذاً صمماً، وقلوباً غلغلاً.

* وفي «سنن الترمذي»^(٤) من طريق أبي عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح».

(١) أخرجه أحمد (١٦٥/٢، ٢١٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي ٣٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٣٨٠)، والحديث صحيح لشواهده.

(٢) أحمد في «المسند» (١٢٨/٢) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، وابن ماجه =

= (٤١٨٩)، وهو صحيح بمجموع طريقيه، والله أعلم.

(٣) البخاري (حديث ٤٨٣٨).

(٤) صحيح وله شواهد، وقد أخرجه الترمذي (٢٠٨٥ مع تحفة الأحوذى) وسيأتي لهذا مزيد في ثنايا هذا الكتاب.



العدل والفضل

وقد أمر الله سبحانه بالعدل وأرشد إلى العفو والإحسان في جملة مواطن، قال الله ﷻ: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ٤٠ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٢ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ٤٣) [الشورى: ٤٠-٤٣].

* **فقوله تعالى:** (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا): عدل.

* **وقوله تعالى:** (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ): إرشاد إلى الإحسان والعفو.

* **وقوله تعالى:** (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) [النحل: ٩٠]، فالإحسان هنا العفو على رأي كثير من العلماء.

* **وكذلك قوله تعالى:** (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) ٤٣) فيه بيان عظيم فضل الإحسان والعفو والصبر.

* **وكذلك في قوله تعالى:** (وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ).

[المائدة: ٤٥]

* **وقوله:** (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ) [المائدة: ٤٥] إرشاد إلى العفو.

* **وكذلك قوله تعالى:** (إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ) ٦٠) [الحج: ٦٠]: عدل؛ فيجوز للمظلوم أن ينتصر بقدر مظلمته.

* وقوله: (أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (النساء: ١٤٩) إرشاد إلى العفو.

* وأيضاً قوله تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ) (الحج: ٦٠) عدل.

وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ) (الحج: ٦٠)، فيه إرشاد إلى العفو.

فهنيئاً له، من عفا عن الناس وسلك سبيل المحسنين.

هنيئاً له، من أخذ بمعالي الأمور وعظائم الأمور وصبر وعفا عن الناس.

هنيئاً له، من ملك نفسه عند الغضب ولم يؤاخذ أخاه بسيئ الفعل بل عفا وتجاوز.

كل هذا خير!

الترخيص للمظلوم في الانتصار ممن ظلموه

س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَمَنِ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ

٤١) الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولمن استوفى حقه المسلوب ممن أخذه منه فأولئك الذين استردوا حقوقهم من عرض أو من أذى أو من مال أو غير ذلك، فأولئك ليس هنالك طريق اللومهم ولا لتوبيخهم ولا لتعذيبهم، وذلك لكونهم قد استوفوا حقهم، إنمال الطريق للوم أو للتوبيخ أو للتعذيب مفتوح على الذين يخسئون الناس حقوقهم ويتعدون عليهم بدون وجه حق، فهؤلاء لهم عذاب مؤلم موجه، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه إياه (فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ) ٤١ يقول: فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى، لأنهم انتصروا منهم بحق، ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه، ولم يتعد، لم يظلم، فيكون عليه سبيل.

ثم قال: وقوله: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدون على الناس ظلماً وعدواناً، بأن يعاقبهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه، فأخذ منه حقه.

وقوله: (وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) يقول: ويتجاوزون في أرض الله الحد الذي أباح لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون فيها بغير الحق. (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول: فهؤلاء الذين يظلمون الناس، ويبغون

في الأرض بغير الحق، لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجه.

س: اذكر بعض الوارد في جواز الانتصار ممن ظلموا.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾).

[الشورى: ٤١]

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ) [الشورى: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ...﴾ [الحج: ٣٠].

* أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لددناه (٢)

في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدونى فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: «ألم أنهكم أن تلدونى؟» قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: «لا يبقى في البيت أحدٌ إلّا لدَّ وأنا أنظر إلّا العباس فإنه لم يشهدكم».

فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يبقى أحدٌ في البيت إلّا لدَّ

وأنا أنظر»!!!

وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تنتصر من أم المؤمنين زينب رضي الله عنها أمام رسول الله ﷺ لما شعرت أن رسول الله ﷺ يقرّها على هذا الانتصار:

* أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (٣) من حديث أم المؤمنين عائشة

(١) حديث (٥٧١٢)، ومسلم (حديث ٢٢١٣).

(٢) اللدود: هو الدواء الذي يُصب في أحد جانبي فم المريض.

(٣) مسلم (حديث ٢٤٤٢).

قالت: أرسل أزواجُ النبي ﷺ فاطمة، بنت رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه - وهو مضطجع معي في مرطي - فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألك العدلَ في ابنة أبي قحافة. وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: «أي بنية، ألسـت تحبين ما أحب؟» فقالت: بلي. قال: «فأحبي هذه» قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل ^(١) في ابنة أبي قحافة! فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً. قالت عائشة: فأرسل أزواجُ النبي ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني ^(٢) منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى الله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة من حد ^(٣) كانت فيها تسرع منها الفئـة ^(٤).

قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ - ورسول الله ﷺ مع عائشة في

(١) قال بعض العلماء: أي يطلبن منك العدل في المحبة القلبية.

(٢) تساميني: أي تعادلني وتضاهيني في الخطوة والمنزلة الرفيعة. مأخوذ من السمو. وهو الارتفاع.

(٣) سورة من حد: هكذا هو في معظم النسخ: سورة من حد. وفي بعضها: من حدة وهي شدة الخلق وثوراته.

(٤) الفئـة: الرجوع. ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب تسرع منها الرجوع. أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً، ولا تصر عليه.

مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها- فأذن لها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي ^(١)، فاستطالت عليّ، وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت: فلما وقعت بها لم أنشئها ^(٢) حين ^(٣) أنحيت عليها ^(٤). قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم: «إنها ابنة أبي بكر».

* وكذلك فانظر إلى الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾) [الشورى: ٣٩].

* وكذلك قوله تعالى: (وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ) [الحج: ٦٠].

* وكذلك فانظر إلى قوله تعالى: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾) [الإسراء: ٣٣].

فانظر إلى الثناء على القوم في قوله: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾) [الشورى: ٣٩].

فالنفس بشرية، والظلم حرام، والمظلوم لا يكاد يصبر على الظالم في كل الأحوال، وليس كل ظالم يُتحمل ويُطاق، ومن ثم شرع القصاص في

(١) ثم وقعت بي: أي: نالت مني بالوقعة فيّ.

(٢) حين: في بعض النسخ: حتى - بدل حين. وكلاهما صحيح. ورجح القاضي: حين.

(٣) لم أنشئها: أي: لم أمهلها.

(٤) أنحيت عليها: أي: قصدتها واعتمدتها بالمعارضة.

الدنيا، بل وكما قال تعالى: (وَكُفُّوا فِي الْقِصَاصِ حَيَوةً يَتَأُولُوا أَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٩).

فكم من ظالم إذا ترك يتمادي في ظلمه وفي غيّه وفي شره وفساده!!
وكذلك العفو لا يُندب إليه ولا يُرشد إليه في كل الأوقات؛ فقد يفهم العفو عند قوم من أهل الغباء والجهل على أنه ضعف وخور!!
وقد يفهم الصفيح على أنه استسلام للظلم، ومن ثمّ يتمادي الظالم في ظلمه والطاغي في طغيانه والباغي في بغيه!!

ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قال: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفْتِنُوا أَلَا تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الحجرات: ٩).



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (٤٣).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولمن صبر على إساءات المسيئين وعلى ظلم الظالمين وستر على السيئة فلم يجازي السيئة بالسيئة بل عفا وأصلح، وهو قادر على الانتصار ممن ظلموه، فإن ذلك الصنيع من الصنائع ذات الأجر الكبير الحسن وإن هذا الصنيع الذي هو التجاوز والإحسان من العزائم التي أمر الله بها.

وإن هذا الصنيع لمن امتثال أمر الله ﷻ في الأمور الشديدة على النفس، وهذا الامتثال له عظيم الأجر.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولمن صبر على إساءة من أساء إليه، وغفر للمسيء إليه جرمة إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه. (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾) يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده، وعزم عليهم العمل به.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن خذله الله ﷻ ويصرفه عن طريق الإيمان والطاعة، فلن تجد له ولياً يتولاه ويهديه من بعد الله ﷻ.

قال الطبري رحمه الله:

(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) يقول: ومن خذله الله عن الرشاد، فليس له من ولي يليه، فيهديه لسبيل الصواب، ويسدده من بعد إضلال الله إياه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة: إنه ما شاء كان ولا راد له، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له وأنه من هداه فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، كما قال: (وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾) [الكهف: ١٧].



س: اذكر مزيداً من الآيات في معنى قوله تعالى: (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ).

ج: من الآيات الواردة في هذا الصدد ما يلي:

* قوله تعالى: (وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾) [الأعراف: ١٧٨].

* وقوله تعالى: (مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَهِدَى لَهُمْ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾)

[الأعراف: ١٨٦]

* وقوله تعالى: (وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾) [الكهف: ١٧].



تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا كي يعملوا صالحاً

س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾).** مع ذكر بعض الوارد في تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وتري يوم القيامة أهل الظلم أهل الشرك الذين يبخسون الناس حقوقهم، بل ويبخسون الله حقه فلا يوحده ومن حقه أن يوحد وأن يُعبد ولا يشرك به شيء، ترى هؤلاء يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ووقفوا أمام النار يتمنون الرجوع إلى الحياة الدنيا قائلين هل هناك طريق للرجوع إلى الحياة الدنيا.

قال الطبري رحمه الله:

(وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وتري الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم: (هَلْ) لنا يا رب (إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾) وذلك كقوله: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) ... الآية [السجدة: ١٢]، استعذب المساكين في غير حين الاستعتاب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال مخبراً عن الظالمين، وهم المشركون بالله (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) أي: يوم القيامة يتمنون الرجعة إلى الدنيا، (يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ) (٤٤)، كما قال: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٢٧) بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخَفُّونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (٢٨).

[الأنعام: ٢٧، ٢٨]

قلت (مصطفى): ومما ورد في تمني الكفار للرجوع إلى الدنيا أيضاً قولهم: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) (١٠٧) [المؤمنون: ١٠٧]، وقولهم: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) [فاطر: ٣٧].



س: وضح المعنى الإجمالى لقوله تعالى: (وَرَبَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

خَشَعَيْنَ مِمَّنْ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ) (٤٤).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وترى أهل الظلم - أهل الشرك - يوم القيامة يرون النار، وهي أمامهم تراهم في حالة بنيسة تعيسة قد علاهم الدل وغشيم الهوان ينظرون نظر الدليل المنكسر إليها لا يستطيعون أن يحدقوا البصر ولا أن يركزوه إليها، فحينئذ يقول أهل الإيمان الذين أعدت لهم فسيح الجنات والروضات: إن الخاسرين حقاً هم الذين ضيعوا أنفسهم، فأصبحت أنفسهم تلعنهم وجوارحهم تلعنهم، وكذا فقد فقدوا أهاليهم الذين كانوا لهم أهل في الدنيا فإن كانوا في الجنات فقد حيل بينهم وبينهم، وإن

كانوا في النيران فهناك التلاعن والتسابب وكذلك خسروا أهاليهم من حور العين اللواتي كن أعددن لهم إذا هم كانوا آمنوا، ألا إن أهل الظلم أهل الشرك في عذاب دائم لا يتحول ولا يزول - عافانا الله والمسلمين.



س: كيف خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؟

ج: ذلك، والله أعلم، أن أهل الكفر جلبوا لأنفسهم أخس المنازل وأردأها وذلك باجترامهم الذي اجترموه وبشركتهم في دنياهم بالله ﷻ، فأوردوا أنفسهم لظى، وأوردوا أنفسهم الجحيم.

أما خسرانهم أهاليهم فأهلوههم إن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبين أهاليهم، وإن كانوا في النار فلا انتفاع بهم بل بينهم التلاعن والتسابب والتباغض والتشتات، وكذا أهاليهم من حور العين، فقد أعد لكل شخص منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا دخل أهل النار النار ورث أهل الإيمان منازلهم - بما فيها ومن فيها - في الجنان، والله تعالى أعلم.

قال ابن كثير رحمه الله:

(إِنَّ الْخَسِرِينَ) أي: الخسار الأكبر ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفرق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم، فخسروهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما كان لهؤلاء الظالمين من أنصار ينصرونهم عند لقاء الله وعند معاينة النار، وما كان لهم من أنصار ينقذونهم من عذاب الله ﷻ، وهكذا الحال دائماً فمن يخذله الله ويصده عن الإيمان فلن تجد طريقاً لهدايته، ولن تجد له طريقاً لإنقاذه -رزقنا الله الهداية. اللهم آمين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى نكرة: ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على ما نالهم به من العذاب من دون الله. (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾) يقول: ومن يخذله عن طريق الحق فما له من طريق إلى الوصول إليه؛ لأن الهداية والإضلال بيده دون كل أحد سواه.



MOSTAFARALAMIRI.COM

إيضاح معنى قوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكِيرٍ) (٤٧)

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكِيرٍ

(٤٧).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما لكم يا من أعرضتم عن طاعة الله ولم يتحيبوا داعيه من أحد ينكر ما يحصل لكم من العذاب، ففي الدنيا قد يضرب شخص شخصاً ولكن يكون للمضروب من يدافع عنه ويقول لمن ضربه لا تفعل به هكذا وينكر على الضارب صنيعه.

أما في الآخرة فليس هناك من ينكر تعذيب أهل الكفر بل الكل يقرُّ بالعذاب ويرى أن الكافر يستحق ذلك بل الكفار أنفسهم يلعن بعضهم بعضاً ويطلب كل منهم للآخر مزيداً من العذاب إذ يقولون: (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَغَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ) [الأعراف: ٣٨].

وهناك معنى آخر: وما لكم من حجة تنكرون بها ما قد صدر منكم، فلن تستطيعوا أن تنكروا ما صنعتموه في الدنيا فأنفسكم عليكم شاهدة وجوارحكم عليكم شاهدة، والكرام الكاتبون شهود وكفى بالله شهيداً - والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي

يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكِيرٍ) (٤٧).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أجيئوا أيها الناس من دعاكم إلى الله ﷻ ودعاكم إلى سلوك طريق من قبل أن يأتي يومٌ لا دافع له ولا صارف له عن الوقوع كما قال تعالى: (أَزِفَتِ الْأَزْفَةُ) (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) [النجم: ٥٧-٥٨].

١٥٨، ما لكم - عند مجيئه ووقوعه - من ملتجأ تلتجئون إليه ولا معتصم تعتصمون به وما لكم من أحد ينكر هذا العذاب الذي حلَّ به ويقول لا تفعلوا بهم هكذا، وما لكم كذلك من نصير ينصركم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره للكافرين به: أجبوا أيها الناس داعي الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم. (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ رَبِّكَ اللَّهُ) يقول: لا شيء يرد مجيئه إذا جاء الله به، وذلك يوم القيامة. (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ) يقول جل ثناؤه: ما لكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه، وتلجئون إليه، فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به، كان في الدنيا (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ٤٧) يقول: ولا أنتم تقدرون لما يحل بكم من عقابه يومئذٍ على تغييره، ولا على انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له، فقال: (أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ رَبِّكَ اللَّهُ ﷻ) أي: إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون، وليس له دافع ولا مانع.

وقوله: (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ٤٧) أي: ليس لكم حصن تتحصنون فيه، ولا مكان يستركم وتتكرون فيه، فتغيبون عن بصره - تبارك وتعالى - بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته، فلا ملجأ

منه إلا إليه، (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُوجُ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝) [القيامة: ١٠-١٢].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) أي: أجبوه إلى ما دعاكم إليه من الإيمان به والطاعة استجاب وأجاب بمعنى وقد تقدم، (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) يريد يوم القيامة أي: لا يرده أحد بعد ما حكم الله به وجعله أجلاً ووقفاً (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ) أي: من ملجأ ينجيكم من العذاب (وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) أي: من ناصر ينصركم قاله مجاهد وقيل: النكير بمعنى المنكر كالأليم بمعنى المؤلم أي: لا تجدون يومئذ منكرًا لما ينزل بكم من العذاب حكاه ابن أبي حاتم وقاله الكلبي. الزجاج معناه: أنهم لا يقدرون أن ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها وقيل: (مِنْ نَكِيرٍ) أي: إنكار ما ينزل بكم من العذاب والنكير والإنكار تغيير المنكر.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقَدْ أَنزَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّجْنَا بِهَا وَلَئِنْ نَظَرْتَهُمْ سِنِينَ مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ)

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإن أعرض هؤلاء عن إجابة داعي الله **رَبِّكَ** فلست بمكلف معهم إلا بالبلاغ لست موكلاً بهدايتهم ولا بحفظ أعمالهم ولا بكتابتها بل لدينا ملائكة كرام كاتبون حافظون للأعمال، وعمومًا فهذا شأن

الإنسان إذا أنعمنا عليه بنعمة فرح بها، وإذا ابتلي بأدنى ابتلاء فإنه كفور جحود لنعم الله عليه، ينساها ولا يذكرها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق، ودعوتهم إليه من الرشد، فلم يستجيبوا لك، وأبوا قبوله منك، فدعهم، فإننا لن نرسلك إليهم رقيباً عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها. (إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) يقول: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيت ما عليك. (وَيَا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِثْرَ حَمَّةٍ فَرِحَ بِهَا) يقول تعالى ذكره: فإننا إذا أغرينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جل ثناؤه، فرح بها: يقول: سر بما أعطيناه من الغنى، ورزقناه من السعة وكثرة المال. (وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ) يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش. (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه، جحد نعمة الله، وأيس من الخير (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه، يعدد المصائب ويجحد النعم. وإنما قال: (وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ) فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد؛ لأنه بمعنى الجمع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (فَإِنْ أَعْرَضُوا) يعني: المشركين (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا) أي: لست عليهم بمصيطر. وقال تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)

(الرعد: ٤٠)، وقال هاهنا: (إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ) أي: إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم. ثم قال تعالى: (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَجَرَحَ بِهَا) أي: إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك، (وَأِنْ تُصِيبْهُمْ) يعني الناس (سَيِّئَةً) أي: جذب ونقمة وبلاء وشدة، (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) (٤٨) أي: يجحد ما تقدم من النعمة ولا يعرف إلا الساعة الراهنة، فإن أصابته نعمة أشر وبطر، وإن أصابته محنة يئس وقنط، كما قال رسول الله ﷺ: «يا معشر النساء، تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأة: ولم يا رسول الله؟ قال: «لأنكن تكثرن الشكاية، وتكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يوماً قالت: ما رأيت منك خيراً قط»^(١)، وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فالمؤمن كما قال رسول الله ﷺ: «إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»^(٢).

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا) أي عن الإيمان (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا) أي حافظاً لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها وقيل: موكلًا بهم لا تفارقهم دون أن يؤمنوا أي ليس لك إكراههم على الإيمان (إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ) وقيل: نسخ هذه بآية القتال (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ (مِنَّا رَحْمَةً) رخاء وصحة (فَرِحَ بِهَا) بطر بها ﴿وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةً﴾ بلاء وشدة (بِمَا قَدَّمَتْ

(١) مسلم بنحوه حديث (٧٩).

(٢) مسلم (٢٩٩٩).

أَيِّدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ أي لما تقدم من النعمة فيعدد المصائب وينسى النعم.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّاقَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾).**

ج: **المعنى،** والله تعالى أعلم، أن الإنسان - إلا من رحمه الله - إذا أصابه ابتلاء بشيء مما يُبتلى به العباد في الدنيا من نقص في الأموال أو قلة في الأولاد أو ضرر في الأبدان - بما كسبته أيديهم من الجنايات، وما ارتكبته أنفسهم من الموبقات والمحرمات - فإن عادة الإنسان أنه كفور جحد لنعم الله، ينسى كل النعم ويذكر فقط المصائب.

وتم كثيرون من البشر على هذا الغرار والمنوال يتاجرون فيربحون ويكسبون فإذا ابتلوا بأدنى ابتلاء وحل بهم شيء من أمر الله نسوا كل نعمة أنعم الله بها عليهم وجحدوا وأنكروا ولم يظهروا إلا الشر.

قلت (مصطفى): فجدير بالإنسان أن يكون شكوراً لنعم الله عليه مثنياً بها عليه، وألا يكفر ولا يجحد إذا ابتلي بأدنى ابتلاء بل يكون صباراً شكوراً على الدوام.



قال الله تعالى:

(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ لِمَن
يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا
وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى
حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّا
لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾) [الشورى: ٤٩-٥٣]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ يَهَبُ - يُزَوِّجُهُمْ ذُرَّانًا وَانْثًا - عَقِيمًا - رُوحًا - الْكِتَابُ - صِرَاطِ اللَّهِ -

نَصِيرٌ ﴾.

ج:

معناها	الكلمة
يعطي - يمنح - يرزق	(يَهَبُ)
يرزقهم بنين وبنات	(يُزَوِّجُهُمْ ذُرَّانًا وَانْثًا)
لا تلد - لا يُلْقِح	(عَقِيمًا)
قرآنًا - وحيًا - رحمة	(رُوحًا)
القرآن	(الْكِتَابُ)
طريق الله	(صِرَاطِ اللَّهِ)
ترجع	(نَصِيرٌ)



س: وضح معنى قوله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُرَّانًا وَانْثًا وَيَعْمَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لله سلطان السموات والأرض وهي ملك له سبحانه يفعل فيهما ما يشاء ويقضي فيهما بما يُريد ويخلق فيهما ما يشاء يتفضل على الخلق على الوجه الذي يختار فيرزق هذا بإنث ولا يرزقه بذكور، والآخر كل أولاده ذكور ليس بينهم أنثى، والثالث يرزقه بالذكور

والإناث، وهذا قد يرزق بتوأم ذكر وأنثى، والرابع يجعله عقيماً لا يرزق بذكر ولا بأنثى، فهو سبحانه عليم بالخلق قدير على فعل كل شيء، يفعل ما يريد، بصير بالعباد وبهم خبير.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في الآية الكريمة:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الله سلطان السموات السبع والأرضين، يفعل في سلطانه ما يشاء، ويخلق ما يحب خلقه، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى (وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) ﴿٤١﴾ يقول: ويهب لمن يشاء منهم الذكور، بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكراً لا أنثى فيهم.

وقوله: (إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ) ﴿٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يخلق، وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه، ولا يعجزه شيء أراد خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء، (وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) ﴿٤١﴾ أي: يرزقه البنات فقط - قال البغوي: ومنهم لوط، عليه السلام (وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) ﴿٤١﴾ أي: يرزقه البنين فقط. قال البغوي: كإبراهيم الخليل عليه السلام - لم يولد له أنثى، (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْثَاءً) أي: ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، أي: من هذا ومن

هذا. قال البغوي: كمحمد، عليه الصلاة والسلام (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) أي: لا يولد له. قال البغوي: كيحيى وعيسى، عليهما السلام، فجعل الناس أربعة أقسام، منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيمًا لا نسل له ولا يولد له، (إِنَّهُ عَلِيمٌ) أي: بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام، ﴿قَدِيرٌ﴾ (٥٠) أي: على من يشاء، من تفاوت الناس في ذلك.

وهذا المقام شبيهه بقوله تعالى عن عيسى: (وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ) [مريم: ٢١] أي: دلالة لهم على قدرته -تعالى وتقدس- حيث خلق الخلق على أربعة أقسام، فآدم ﷺ مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى، وحواء ﷺ من ذكر بلا أنثى، وسائر الخلق سوى عيسى من ذكر وأنثى، وعيسى ﷺ من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى ابن مريم، ﷺ؛ ولهذا قال: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾، فهذا المقام في الآباء، والمقام الأول في الأبناء، وكل منهما أربعة أقسام، فسبحان العليم القدير.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ابتداء وخبر (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) من الخلق (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ) قال أبو عبيدة وأبو مالك ومجاهد والحسن والضحاك: يهب لمن يشاء إناثًا لا ذكور معهم ويهب لمن يشاء ذكورًا لا إناث معهم وأدخل الألف واللام على الذكور دون الإناث؛ لأنهم أشرف فميزهم بسمعة التعريف وقال واثلة بن الأسقع إن من يمن المرأة تكبيرها بالأنثى قبل الذكر وذلك أن الله تعالى قال:

(يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۝٤٩) فبدأ بالإناث (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا) قال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلامًا ثم تلد جارية ثم تلد غلامًا ثم تلد جارية، وقال محمد بن الحنفية: هو أن تلد توأمًا غلامًا وجارية أو يزوجهم ذكرًا وإناثًا قال القتيبي : التزويج هاهنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب : زوجت إبلي إذا جمعت بين الكبار والصغار (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) أي لا يولد له يقال : رجل عقيم وامرأة عقيم وعقمت المرأة نعقم عقمًا مثل حمد يحمد وعقمت نعقم مثل عظم يعظم وأصله القطع ومنه الملك العقيم أي تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق خوفًا على الملك، وريح عقيم أي لا تلقح سحابًا ولا شجرًا، ويوم القيامة يوم عقيم؛ لأنه لا يوم بعده ويقال: نساء عقم وعقم قال الشاعر :

عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم

وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في الأنبياء خصوصًا وإن عم حكمها؛ وهب للوط الإناث ليس معهن ذكر، وهب لإبراهيم الذكور ليس معهم أنثى وهب لإسماعيل وإسحاق الذكور والإناث وجعل عيسى ويحيى عقيمين ونحوه عن ابن عباس وإسحاق بن بشر، قال إسحاق : نزلت في الأنبياء ثم عمت (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا) يعني لوطًا عليه السلام لم يولد له ذكر وإنما ولد له ابنتان (وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۝٤٩) يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى بل ولد له ثمانية ذكور (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد له أربعة بنين وأربع بنات (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) يعني يحيى بن زكريا عليهما السلام لم يذكر عيسى ابن العربي : قال علماؤنا: (يَهَبُ لِمَنْ

يَشَاءُ إِنثًا) يعني لو طأ كان له بنات ولم يكن له ابن (وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿١٩﴾) يعني إبراهيم كان له بنون ولم يكن له بنت وقوله : (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا) يعني آدم كانت حواء تلد له في كل بطن توأمين ذكرًا وأنثى، ويزوج الذكر من هذا البطن من الأنثى من البطن الآخر حتى أحكم الله التحريم في شرع نوح عليه السلام وكذلك محمد عليه السلام كان له ذكور وإناث من الأولاد : القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة وكلهم من خديجة عليها السلام وإبراهيم وهو من مارية القبطية وكذلك قسم الله الخلق من لدن آدم إلى زماننا هذا إلى أن تقوم الساعة على هذا التقدير المحدود بحكمته البالغة ومشينته النافذة ليبقى النسل ويتمادى الخلق وينفذ الوعد ويحق الأمر وتعمر الدنيا وتأخذ الجنة وجهنم كل واحد ما يملؤها ويبقى.



س: لماذا لم يذكر الخنثى في الآية الكريمة مع أن له تواجدًا في الدنيا؟

ج: الذي ذكر في الآية الكريمة هو الغالب السائد وأيضًا فقد انتظمته الآية الكريمة بقوله تعالى: (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ).

وقد نقل القرطبي عن ابن العربي قوله:

قال القاضي أبو بكر بن العربي : وقد أنكر قوم من رؤوس العوام وجود الخنثى؛ لأن الله تعالى قسم الخلق إلى ذكر وأنثى؛ قلنا : هذا جهل بالغة وغباوة عن مقطع الفصاحة وقصور عن معرفة سعة القدرة؛ أما قدرة الله سبحانه فإنه واسع عليم وأما ظاهر القرآن فلا ينفي وجود

الخنثى؛ لأن الله تعالى قال : (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) فهذا عموم مدح فلا يجوز تخصيصه؛ لأن القدرة تقتضيه وأما قوله : (يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) ٥٩ أو يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) فهذا إخبار عن الغالب في الموجودات وسكت عن ذكر النادر لدخوله تحت عموم الكلام الأول والوجود يشهد له والعيان يكذب منكره وقد كان يقرأ معنا برباط أبي سعيد على الإمام الشهيد من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك أعلم به ومع طول الصحبة عقلني الحياء عن سؤاله وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله.

قلت (مصطفى): ومن النادر الذي لم يذكر صراحة في الآية الكريمة، وإن دخل ضمناً في قوله تعالى : ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ما حدث لسليمان عليه السلام ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «قال سليمان بن داود نبي الله : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة. كلهن تأتي بغيلام يقاتل في سبيل الله. فقال له صاحبه، -أو الملك- : قل: إن شاء الله، فلم يقل، ونسي؛ فلم تأت واحدة من نسائه. إلا واحدة جاءت بشق غلام». فقال رسول الله ﷺ : «ولو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركاً له في حاجته» (١).



(١) البخاري (٥٢٤٢)، ومسلم (١٦٥٤)، واللفظ له.

س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ٥١ ﴾ .**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما كان يجوز وما كان ينبغي وما كان ليحصل وما كان ليتأتى لبشر في الدنيا أن يكلمه الله ﷻ ويرى ربه أثناء تكليمه له، إنما يكون ذلك عن طريق الوحي الذي منه النفث في الروح كما في الحديث: «إن روح القدس نفث في روعي»، أو يكلمه ربه ﷻ من وراء حجاب كما كلم موسى ﷺ، أو يرسل رسولاً ملكاً كجبريل ﷺ وغيره فيوحي إلى الرسل بإذن الله ما يشاء الله أن يوحيه إليهم، إنه سبحانه عليّ حكيم في تدبيره أمر خلقه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحياً يوحى الله إليه كيف شاء، أو إلهاماً وإما غيره (أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ) يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه ﷺ (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولاً إما جبرائيل، وإما غيره (فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) يقول: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي.

ثم قال:

وقوله: ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ٥١ ﴾ يقول تعالى ذكره إنه يعني نفسه جلّ ثناؤه: ذو علو على كل شيء وارتفاع عليه، واقتدار. حكيم: يقول: ذو

حكمة في تدبيره خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ﷻ وهو أنه تعالى تارة يقذف في روع النبي □ شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله ﷻ، كما جاء في صحيح ابن حبان، عن رسول الله □ أنه قال: «إن رُوحَ الْفُؤُسِ نفث في رُوعي: أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

وقوله: (أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ) كما كلم موسى ﷺ فإنه سأل الرؤية بعد التكليم، فحجب عنها.

وفي الصحيح أن رسول الله □ قال لجابر بن عبد الله: «ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحاً» الحديث، وكان قد قتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا.

وقوله: (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة على الأنبياء، ﷺ، (إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّهِينٍ) ، فهو علي عليم خبير حكيم.



س: هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة المعراج؟

ج: سئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «نور أنى أراه» ^(١) ، وقال: «رأيت نوراً» ^(٢) ، فالظاهر أنه رأى الحجاب الذي هو النور ففي الحديث حجاب

(١، ٢) مسلم (حديث ١٧٨).

النور، والله أعلم.

هذا، وقد احتجت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية الكريمة على عدم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربّه ليلة المعراج، ففي الصحيحين ^(١) من طريق مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلم بواحدةٍ منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئاً فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ٢٣) [النجم: ٢٣]، (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ١٣) [النجم: ١٣]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إنما هو جبريل. لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين. رأيتُه منهبطاً من السماء. ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٠٣) [الأنعام: ١٠٣] أو لم تسمع أن الله يقول: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ٥١) [الشورى: ٥١]، قالت: ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

(١) البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، واللفظ لمسلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ).

ج: حملها بعض أهل العلم على ظاهرها، وقال: ومما يؤيد هذا الظاهر قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ) ﴿٢٠﴾ **[يوسف: ٣].**

وقال آخرون من أهل العلم: إن المراد ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان على التفصيل الذي فُصِّل لك.

وقال آخرون: إن المراد بذلك الشرائع والأحكام.

وقال آخرون: إن المراد بالإيمان الصلاة بأركانها.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ) أي لم تكن تعرف الطريق إلى الإيمان وظاهر هذا يدل على أنه ما كان قبل الإيحاء متصفاً بالإيمان قال القشيري: وهو من معجزات العقول والذي صار إليه المعظم أن الله ما بعث نبياً إلا كان مؤمناً به قبل البعثة وفيه تحكم إلا أن يثبت ذلك بتوقيف مقطوع به قال القاضي أبو الفضل عياض: وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات أطاف السعادة ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق

ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم ﷺ.

وأورد جملة من الآثار ثم قال القرطبي رحمه الله:

قال القاضي : ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحد نبي وأصطفى ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل، وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عن كانت هذه سبيله قال القاضي: وأنا أقول إن قریشاً قد رمت نبينا ﷺ بكل ما افترته، وعير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعبيراً لواحد منهم برفضه آلهتهم وتقريعه بدمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له عما كان يعبد قبل أقطع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيمهم عن تركه آلهتهم وما كان يعبد أبائهم من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا: (مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ آلِي كَاوُأَ عَلَيْهِمْ) [البقرة: ١٤٢] كما حكاه الله عنهم.



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢١٧).

وبين قوله تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) [القصص: ٥٦].

ج: وجه الجمع، والله أعلم، أن الهداية المثبتة هي هداية الدلالة والهداية المنفية التي لا يملكها رسول الله لأحد هي هداية التوفيق، والله أعلم.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك فهكذا أوحينا إليك وحيًا ورحمة من عندنا قرآنا عربيًا جعلناه نورًا يستضيء به ويستبصر من أردنا له الهداية من عبادنا، وإنك يا رسول الله لتدل الناس على هذا النور، وعلى طريق مستقيم، طريق الله ﷻ الذي إليه ترجع الأمور يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه ويجازي المسيء بإساءته.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) وكما كنا نوحى في سائر رسلنا، كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، روحًا من أمرنا:

يقول: وحيًا ورحمة من أمرنا.

وقال أيضًا:

وقوله: (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ما كنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما. (وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا) يقول: ولكن جعلنا هذا القرآن، وهو الكتاب نورًا، يعني ضياء للناس، يستضيئون بضوئه الذي بين الله فيه، وهو بيانه الذي بين فيه، مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن النار النجاة (نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) يقول: نهدي بهذا القرآن، فالهاء في قوله: (بِهِ) من ذكر الكتاب. **ويعني بقوله: (نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ): نسدد إلى سبيل الصواب، وذلك**

الإيمان بالله (مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا) يقول: نهدي به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا.

وقوله: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) يعني: القرآن، (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن، (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ) أي: القرآن (نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا) ، كقوله: (قُلْ هُوَ الَّذِي يَأْمَنُا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْوَهُو عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾) **إفصلت: ٤٤**.

وقوله: (وَإِنَّكَ) أي: يا محمد (لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾)، وهو الخلق القويم. ثم فسر به بقوله: (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾) أي: شرعه الذي أمر به الله، (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي: ربهما ومالكهما، والمتصرف فيهما، الحاكم الذي لا معقب لحكمه، (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾)، أي: ترجع الأمور، فيفصلها ويحكم فيها.

س: معلوم أن الأمور كلها لله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا والآخرة يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد، فما وجه قوله تعالى: (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾) إذ كانت الأمور الآن وبعد الآن وقبل الآن إليه.

ج: حاصل الجواب أن الفصل في الأمور يوم القيامة إلى الله فهو الذي يقضي بين العباد وليس هناك منازعٌ ينزع كما ينزع المنازعون في

الدنيا ولا مجادل يجادل كما يجادل المجادلون في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله جل ثناؤه: (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٢﴾) يقول جل ثناؤه: ألا إلى الله

أيها الناس تصير أموركم في الآخرة، فيقضي بينكم بالعدل.

فإن قال قائل: أو ليست أمورهم في الدنيا إليه؟ قيل: هي وإن كان إليه

تدبير جميع ذلك، فإن لهم حكامًا وولاة ينظرون بينهم، وليس لهم يوم

القيامة حاكم ولا سلطان غيره، فلذلك قيل: إليه تصير الأمور هنالك وإن

كانت الأمور كلها إليه ويبيده قضاؤها وتدبيرها في كل حال.



MOSTAFAALAH.COM

سورة الزخرف

قال الله تعالى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(حَمْدٌ ۝١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ۝١١ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لَيْسَتُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝١٤) [الزخرف: ١-١٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

- (حَم) - الْمُئِينَ - تَعْقِلُونَ - أُمُّ الْكِتَابِ - لَدَيْنَا - لَعَلِّي - حَكِيمٌ -
 أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ - الذِّكْرَ - صَفْحًا - مُسْرِفِينَ - الْأَوَّلِينَ - يَسْتَهْزِئُونَ - بَطْشًا -
 مَثَلُ الْأَوَّلِينَ - مَهْدًا - سُبُلًا - يَقْدِرُ - فَأَنْشَرْنَا - بَلَدَهُ مَيِّتًا - تُخْرِجُونَ - الْأَزْوَاجَ -
 - الْفُلُوكَ - الْأَنْعَامَ - مُقَرَّنِينَ - لِمُنْقَلِبُونَ).

معناها	الكلمة
أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله	(حَم)
الموضح المظهر للحلال والحرام والشرائع والأحكام ولكل شيء يريد الله بيبانه للناس	(الْمُئِينَ)
يتفهمون - يتفكرون - يتدبرون	(تَعْقِلُونَ)
أصل الكتاب موجود عند الله - اللوح المحفوظ	(أُمُّ الْكِتَابِ)
عندنا	(لَدَيْنَا)
ذو علو ورفعة	(لَعَلِّي)
ذو حكمة، فيه الحكمة والإرشاد إلى وضع الأمور في مواضعها الصحيحة	(حَكِيمٌ)
أفعرض عنكم - أفنترك تذكيركم	(أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ)
القرآن وما فيه من تذكير	(الذِّكْرَ)
إعراضاً	(صَفْحًا)
مشركين - متجاوزين للحد مرتكبين الشرك والكبائر	(مُسْرِفِينَ)
الأمم المتقدمة	(الْأَوَّلِينَ)

يسخرون - يكذبون	(يَسْتَهْزِئُونَ)
قوة، والبطش الأخذ بشدة وعنف	(بَطْشًا)
سنة الله في المتقدمين الذين مضوا	(مَثَلُ الْأَوَّلِينَ)
ممهدة مذللة صالحة للمشى عليها	(مَهْدًا)
طرقًا	(مُبَلَّغًا)
على قدر الحاجة	(يَقْدِرُ)
فأحيينا - فأنبطنا	(فَأَنْشَرْنَا)
أرضًا ميتة ليس فيها نبات	(بَلَدَةً مَيِّتًا)
نبعثون من القبور يوم القيامة	(نُخْرِجُونَ)
الأصناف - الذكور والإناث	(الْأَرْوَاحِ)
السفن الكبيرة	(الْفُلُوكِ)
الأنعام الثمانية (الجمال والناقة - الثور والبقرة - الكباش والنعجة - الجدي والعنز) والمركوب منها هو الجمل والناقة	(الْأَنْعَامِ)
مطيقين - مقاومين	(مُقَرَّنِينَ)
راجعون - صائرون يوم القيامة	(الْمُنْقَلِبُونَ)



س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ**

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣).

ج: هذا، والله تعالى أعلم، قسم أقسم الله ﷻ به، فالواو واو القسم، أقسم

ﷻ بالقرآن الموضح المظهر للأشياء والحقائق والشرائع والأوامر

والنواهي والموضح لكل شيء يريد الله من العباد، أقسم سبحانه بذلك على أنه جعل القرآن عربياً لعنّا نعقل، وعلى أن هذا الكتاب أصله موجود في اللوح المحفوظ، وموصوف هناك بأنه عليّ حكيم، أي أنه موصوف في اللوح المحفوظ لعلو الشأن وارتفاع المنزلة، وأنه ذو حكمة، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ فقال: (وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) لمن تدبره وفكر في عبره وعظاته هداه ورشده وأدلته على حقيقته، وأنه تنزيل من حكيم حميد، لا اختلاق من محمد ﷺ ولا افتراء من أحد (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) يقول: إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب، إذا كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد ﷺ عرباً (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول: لتعقلوا معانيه وما فيه من مواظ، ولم ينزله بلسان العجم، فيجعله أعجمياً، فنقولوا: نحن عرب، وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه.

وقال أيضاً:

القول في تأويل قوله تعالى: (وَلِئَلَّاهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا عَلَى حَكِيمٌ)

يقول تعالى ذكره: وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعلّ يقول: لذو علو ورفعة، حكيم: قد أحكمت آياته، ثم فصلت فهو ذو حكمة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: (حَمِّ ۝۱ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝۲) أي: البين الواضح الجلي

المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس؛ ولهذا قال: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) أي: بلغة العرب فصيحاً واضحاً، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢) أي: تفهمونه وتتدبرونه، كما قال: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) ﴿الشعراء: ١٩٥﴾.

س: تشرع مخاطبة الناس على قدر عقولهم. أقم الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) ﴿الشعراء: ١٩٥﴾.

وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)

[إبراهيم: ٤].

وقوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ﴿الزخرف: ٣﴾.

* وأخرج البخاري ^(١) من حديث علي رضي الله عنه، قال: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله».

* وفي «مقدمة صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» ^(٢).

وها هو رسولنا ﷺ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم دون الآخرين:

(١) البخاري (حديث ١٢٧).

(٢) رواه مسلم «في المقدمة» من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال.

فذكره «ترتيب محمد فؤاد ص ١١».

قلت: وإسناده منقطع، و«ومقدمة مسلم» ليست على شرط «الصحيح».

* ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذًا رديفه على الرحل، قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا)، قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: «إِذَا يَتَكَلَّوْا»، وأخبرَ بها معاذ عند موته تأثمًا^(٢) .

فانظر إلى قوله: «إِذَا يَتَكَلَّوْا»، وفي الرواية الأخرى^(٣) ألا أبشُر الناس؟ قال: «لا، إني أخاف أن يتكلموا».

* ونحوه في «صحيح مسلم»: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس، فلقبه عمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة ودخل على إثره، فقال: يا رسول الله لا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس، فخلّهم يعملون، فقال: «فخلّهم»^(٤) .

فانظر إلى الكلام النافع الذي ينتفع به الناس فحدثهم به، أما الكلام الذي يُفهم على غير وجهه فاتقه واجتنبه، وخاصة إذا كان الناس سيقعون في الضرر بسببه.



(١) البخاري (حديث ١٢٨)، ومسلم (حديث ٣٢).

(٢) أي: خشية أن يقع في إثم كتمان العلم، والله أعلم.

(٣) البخاري (حديث ١٢٩)، ومسلم (حديث ٣٢).

(٤) مسلم (حديث ٣١ ص ٦١).

شيء من فضائل القرآن

س: في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ٤) بيان لشرف هذا القرآن وعلو منزلته وعظيم فضله. اذكر بعض الوارد في ذلك مع إيضاح معنى الآية الكريمة.

ج: أما عن إيضاح معنى الآية الكريمة، فأقول وبالله التوفيق قوله تعالى: (وَإِنَّهُ) أي: القرآن المتلو عليكم (فِي أُمِّ الْكِتَابِ) في أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ (لَدَيْنَا) أي: عندنا (لَعَلِّي) لذو علو ورفعة ومنزلة سامية (حَكِيمٌ) ذو حكمة في كل شيء فيه من أمر ونهي وإخبار وإنذار وتبشير وغير ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ٤) بين شرفه في الملأ الأعلى، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض، فقال تعالى: (وَإِنَّهُ) أي: القرآن ﴿ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ أي: اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس، ومجاهد، (لَدَيْنَا) أي: عندنا، قاله قتادة وغيره، (لَعَلِّي) أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، قاله قتادة ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: محكم بريء من اللبس والزيغ. وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله.

أما عن شيء من فضائل هذا الكتاب العزيز: فقد وصفه الله ﷻ بجميل الأوصاف، وصفه بأنه كريم (إِنَّهُ لَقَرُءٌ كَرِيمٌ ٧٧) [الواقعة: ٧٧]، وبأنه مجيد (قَدْ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ١) [اق: ١]، وبأنه حكيم (يَسَّ ١) وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ٢) [يس: ١-٢]، وبأنه مبارك (وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ) [الأنبياء: ٥٠]، وبأنه عزيز

(وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾) [فصلت: ٤١]، وبأنه كريم، قال تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾) [الواقعة: ٧٧] إلى غير ذلك من جميل الأوصاف.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَإِنَّهُ) أي: هذا الكتاب (فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا) أي: في الملاء الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها (لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٤﴾) أي: لعلني في قدره وشرفه ومحله، حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أفنترك تذكيركم لكونكم أهل شرك لا تستحقون التذكير أو أفنترككم هملاً بلا تكليف لكونكم أهل شرك أو أكونكم رددتم هذا القرآن ولم تؤمنوا به نترك تذكيركم بالعقاب ونلغي هذا القرآن ونمحّهُ.

وقد أورد الطبري بسند حسن عن قتادة قال: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ

صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾) : أي مشركين، والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، فدعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك.

قال ابن كثير: وقول قتادة لطيف المعنى جداً وحاصله أنه يقول في

معناه: إنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير والذكر الحكيم - وهو القرآن - وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل يأمر

به ليهتدي من قَدَّر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته.
الثاني: أتحسبون أننا نصفح عنكم ولا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به؟!!!

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدا بهذه الآية في تكذيبها رسلها، وما أحل بها من نعمته، ففي ذلك دليل على أن قوله: (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا) وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلخوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله تقتضي أن لا يترك عباده هملا لا يرسل إليهم رسولا ولا ينزل عليهم كتابا، ولو كانوا مسرفين ظالمين فقال: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ أي: أفعرض عنكم، ونترك إنزال الذكر إليكم، ونضرب عنكم صفحا، لأجل إعراضكم، وعدم انقيادكم؟ بل ننزل عليكم الكتاب، ونوضح لكم فيه كل شيء، فإن آمنتم به واهتديتم، فهو من توفيقكم، وإلا فقد قامت عليكم الحجة، وكنتم على بينة من أمركم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ (٦)

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ

الأُولَيِّكَ ﴿٨﴾

ج: هذه الآية الكريمة تحمل تسلية لرسول الله ﷺ وتسرية للهموم عنه، فالمعنى، وإن كنت كُذبت يا رسول الله وسخر منك قومك فلقد أرسلنا رسلاً كثيرين من قبلك إلى أممهم فما كان جواب أقوامهم لهم إلا الاستهزاء والسخرية والتكذيب فأهلكنا تلك الأمم المكذبة التي هي أشد قوة وبأساً وبطشاً من قومك يا رسول الله، فلا تجزع ولا تحزن، فقد مضت سنتنا وطريقتنا في المكذبين وأننا نهلكهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍِّّ) يا محمد في القرون الأولين الذين مضوا قبل قرنك الذي بعثت فيه كما أرسلناك في قومك من قريش. (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍِّّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾) يقول وما كان يأتي قرناً من أولئك القرون وأمة من أولئك الأمم الأولين لنا من نبي يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق، إلا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الأمم نبيهم الذي أرسله إليهم يستهزئون سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد. يقول: فلا يعظم عليك ما يفعل بك قومك، ولا يشقن عليك، فإنهم إنما سلخوا في استهزائهم بك مسلك أسلافهم، ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله.

ثم قال رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فأهلكنا أشد من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشاً إذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدة بطشهم، ولم يقدرُوا على الامتناع من بأسنا إذ أتاهم، فالذين هم أضعف منهم قوة أخرى أن لا يقدرُوا على الامتناع من نقمنا إذا حلت بهم. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأُولَٰئِكَ﴾ يقول جل

ثناؤه: ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم مثلنا الذي مثلناه لهم في أمثالهم من مكذبي رسلنا الذين أهلكناهم، يقول: فليتوقع هؤلاء الذين يستهزئون بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذي أحلناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) (كم) هنا خبرية
والمراد بها التكرير والمعنى ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء كما قال: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) [الدخان: ٢٥] أي ما أكثر ما تركوا (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ) أي لم يكن يأتيهم نبي (إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) كاستهزاء قومك بك يعزي نبيه محمدا ﷺ ويسليه (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا) أي قوما أشد منهم قوة والكناية في (مِنْهُمْ) ترجع إلى المشركين المخاطبين بقوله: (أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا) فكنى عنهم بعد أن خاطبهم و(أَشَدَّ) نصب على الحال وقيل هو مفعول أي فقد أهلكنا أقوى من هؤلاء المشركين في أبدانهم وأتباعهم (وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) أي عقوبتهم عن قتادة وقيل: صفحة الأولين فخيرهم بأنهم أهلكوا على كفرهم حكاه النقاش والمهدي والمثل: الوصف والخبر.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨)).

ج: المعنى، والله أعلم، ومضى مثلنا الذي مثلنا به في الأمم المكذبة ومضت طريقتنا في انتقامنا ممن كذبونا وخالفونا وما حلّ بالأولين المكذبين برسلنا.



س: كثيراً ما يذكر الكفار بمصارع الكافرين حتى يتعظوا ويعتبروا. دُلِّل على ذلك.

ج: أورد الشنقيطي جملة من الأدلة على ذلك فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨):

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد الكفار الذين كذبوا محمدا ﷺ، بأن الله أهلك من هم أقوى منهم، ليحذروا أن يفعل بهم مثل ما فعل بأولئك، جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾، إلى قوله: (فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذُوبُهُمْ) [الأنعام: ٦]، وقوله تعالى: (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا بَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) [سبأ: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) (٨) ما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد كفار مكة الذين كذبوا محمدا ﷺ، بصفته إهلاكهم وسنته فيهم التي هي العقوبة وعذاب الاستئصال، جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) [٤٢]

أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٢﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣]، وقوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾) [غافر: ٨٣-٨٥]، وقوله تعالى: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) الآية [الكهف: ٥٥]، وقوله تعالى: (فَلَمَّا أَصْفَوْنَا آتَنَّمَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾) [الزخرف: ٥٥-٥٦].



س: أهل الشرك كانوا يقرون بأن الله هو الخالق، كذا كانوا يقرون لله
بكثير من أسمائه والحسنى وصفاته العلى دليل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [الزخرف: ٨٧].
وقوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾) [الزخرف: ٩].

وقوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [العنكبوت: ٦٣].

وقولهم: (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) [ص: ١٦].

وقولهم: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْهَيْكَلُ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنْ

السَّمَاءِ ﴿[الأنفال: ٣٢].

وقوله تعالى: (قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾) [المؤمنون: ٨٨-٨٩].
إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.



س: إن ما دام أهل الكفر يقولون بأن الله خالقهم ورازقهم وبغير ذلك، فما وجه كفرهم وشركهم؟

ج: سبب كفرهم وشركهم صرفهم العبادة لغير الله ﷻ.



من أدلة التحول في الخطاب

س: في قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا) تحول في الخطاب. وضح.

ج: إيضاحه يتأتى بالنظر إلى ما قبله، فقبله قوله تعالى: (وَلَيْن سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١٠١﴾) هذا قول الكفار ثم حدث تحول في الخطاب، فقال تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا...)، فهذا قول الله تعالى.

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا) وصف نفسه سبحانه بكمال القدرة، وهذا ابتداء إخبار منه عن نفسه ولو كان إخباراً عن قول الكفار لقال الذي جعل لنا الأرض. والله أعلم.
هذا، ومن أدلة التحول في الخطاب ما يلي:

قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرًا) [يونس: ٢٢]، ولم يقل: وجرينا بكم.

وقوله تعالى: (قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) [يس: ٥٢].

قال بعض أهل العلم: إن الذين قالوا يايولنا: هم الكفار، والقائلون هذا ما وعد الرحمن.. هم الملائكة.

وكذلك قيل في قوله تعالى: (قَالَتِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) ثم قال: (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) [النمل: ٣٤]، قال بعض أهل العلم: إن قائل: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٤) هو الله ﷻ، والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا

... الآية).

ج: قال الطبري رحمه الله:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ يقول: الذي مهد لكم الأرض، فجعلها لكم وطاء توطئونها بأقدامكم، وتمشون عليها بأرجلكم. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾ يقول: وسهل لكم فيها طرقا تطرقونها من بلدة إلى بلدة، لمعايشكم ومتاجرهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي: فراشا قرارا ثابتة، يسرون عليها ويقومون وينامون ويتصرفون، مع أنها مخلوقة على تيار الماء، لكنه

أرساها بالجبال لنلا تميد هكذا ولا هكذا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: طرقا بين الجبال والأودية ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٠) أي: في سيركم من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم.



س: قوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (١٠) لأهل العلم في تأويله قولان. وضحهما.

ج: أحد القولين: لعلم تهتدون إلى الأماكن التي تريدون الذهاب إليها.
الثاني: لعلم تهتدون إلى ما يقربكم من الله ﷻ وتستدلون بآياته على وحدانيته.

قال القرطبي: تستدلون بمقدوراته على قدرته، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ) بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ (١١)).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الذي خلق السموات والأرض، وهو العزيز العليم نزل من السماء ماء على قدر احتياجاتكم ولو شاء لجعله منهمرا متواصلا فدمرت الطرق بسببه وتهدمت البيوت وهلكت المواشي والنفوس وتلفت الزروع، ولكنه سبحانه جعل ذلك بقدر، على قدر الحاجة ولو شاء لأهلككم بمنعكم القطر من السماء ولكن أنزل من السماء ماء بقدر الحاجة، فأحيا به أرضا كانت ميتة لا نبت فيها ولا ثمر فأنبثها الله ﷻ فهكذا البعث والنشور يوم القيامة، وهكذا إحياءكم بعد مماتكم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرِ) يعني: ما نزل جلّ ثناؤه من الأمطار من السماء بقدر يقول: بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكن جعله غيثا مغيثا، حيا للأرض الميتة محييا. (فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا) يقول جل ثناؤه: فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتة، يعني مجدبة لا نبات بها ولا زرع، قد درست من الجدوب، وتعفنت من القحوط (كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ) يقول تعالى ذكره: كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتا بالماء الذي أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيتكم التي كنتم بها قبل مماتكم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرِ) أي: بحسب الكفاية لزرو عكم وثماركم وشربكم، لأنفسكم ولأنعامكم. وقوله: (فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا) أي: أرضا ميتة، فلما جاءها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج. ثم نبه بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها، فقال: (كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ) (١١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرِ) لا يزيد ولا ينقص، ويكون أيضا بمقدار الحاجة، لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع، ولا يزيد بحيث يضر

العباد والبلاد، بل أغاث به العباد، وأنقذ به البلاد من الشدة، ولهذا قال: (فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا) أي: أحييناها بعد موتها، (كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) ﴿١١﴾ أي: فكما أحيأ الأرض الميتة الهامدة بالماء، كذلك يحييكم بعد ما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم.



تفسير الأزواج

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) ﴿١٢﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن العزيز العليم الذي أقررتم له بخلق السموات والأرض هو الذي خلق الأصناف كلها أصناف البشر والجن والملائكة والنبات والحيوان، وكل الأصناف، وكذا خلق الذكور والإناث كما قال: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ﴿١٢﴾ **الذاريات: ٤٩**]، وهو الذي جعل لكم أيضًا السفن العظيمة التي تركبونها هداكم لصناعتها وسيّرها لكم، وكذا جعل لكم من الأنعام ما تركبونه وتنتقلون به من بلدة إلى أخرى، وهي الإبل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا) يقول تعالى ذكره: والذي خلق كل شيء فزوجه، أي خلق الذكور من الإناث أزواجًا، الإناث من الذكور أزواجًا (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ) وهي السفن (وَالْأَنْعَامِ) وهي البهائم (مَا تَرْكَبُونَ) يقول: جعل لكم من السفن ما تركبونه في البحار إلى حيث قصدتم واعتمدتم في سيركم فيها لمعاشكم ومطالبكم، ومن الأنعام ما تركبونه في

البر إلى حيث أردتم من البلدان، كالإبل والخيول والبغال والحمير.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) أي والله الذي خلق الأزواج قال سعيد بن جبیر: أي الأصناف كلها وقال الحسن: الشتاء والصيف والليل والنهار والسموات والأرض والشمس والقمر والجنة والنار وقيل: أزواج الحيوان من ذكر وأنثى قاله ابن عيسى وقيل: أراد أزواج النباتات كما قال تعالى: (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (٧) (إق: ٧)، و (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) (٧) [الشعراء: ٧] وقيل ما يتقلب فيه الإنسان من خير وشر وإيمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم.

قلت: وهذا القول يعم الأقوال كلها ويجمعها بعمومه: (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ الْسفنَ) (وَالْأَنْعَامِ) الإبل (مَاتَرَكُونَ) (١٢) في البر والبحر (لِئَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ) ذكر الكناية لأنه رده إلى ما في قوله: (مَاتَرَكُونَ) (١٢) قاله أبو عبيد: وقال الفراء: أضاف الظهور إلى واحد لأن المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند فلذلك ذكر وجمع الظهور أي على ظهور هذا الجنس.

الثانية: قال سعيد بن جبیر: الأنعام هنا الإبل والبقر وقال أبو معاذ: الإبل وحدها وهو الصحيح لقوله ﷺ: «بينما رجل راكب بقرة إذ قالت له لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث» فقال النبي ﷺ: «أمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر» وما هما في القوم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا) أي: مما تنبت الأرض من سائر

الأصناف، من نبات وزروع وثمار وأزاهير، وغير ذلك من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها، (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ) أي: السفن (وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾) أي: ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها، وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها.

قال الشنقيطي: رَحِمَهُ اللهُ فِي «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ).

الأزواج الأصناف، والزوج تطلقه العرب على الصنف. وقد بين تعالى أن الأزواج المذكورة هنا تشمل أصناف النبات وبني آدم وما لا يعلمه إلا الله.

قال تعالى: (سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾) [يس: ٣٦].

وقال تعالى: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخَرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾).

[طه: ٥٣]

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ) أي: السفن البحرية، الشراعية والبخارية، «و» من (وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾) لَسْتَوْا عَلَى ظُهُورِهِ.

وهذا شامل لظهور الفلك و لظهور الأنعام، أي: لتستقروا عليها، (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك، ولهذا قال: (وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾) أي: لولا تسخيرها لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذلّلها

ويسر أسبابها.

والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد. (وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾) أي: وإنا إلى خالقنا لراجعون بعد هذه الحياة ليحاسب كلا بما قدمت يداه. وفيه إيذان وإعلام، بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلاسه، من المسير، ويتذكر منه المسافرة العظمى، التي هي الانقلاب والرجوع إلى الله تعالى: فيبني أموره في مسيره ذلك، على تلك الملاحظة. ولا يخطر بباله في شيء، مما يأتي ويذر أمراً ينافيها، ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع.



س: كيف قيل (لَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ)، وهو مؤنث.

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بأن المراد الجنس، والمعنى لتستووا على ظهور هذا الجنس الذي ذكرناكم به.

وقال آخرون: (لَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ) عائداً على الفلك.

واستفاض الطبري في ذكر وجوه الجواب، فقال:

واختلف أهل العربية في وجه توحيد الهاء في قوله: (عَلَىٰ ظُهُورِهِ)

وتذكيرها، فقال بعض نحويي البصرة: تذكيره يعود على ما تركبون، وما هو مذكر، كما يقال: عندي من النساء من يوافقك ويسرك، وقد تذكر الأنعام وتؤنث. وقد قال في موضع آخر: (بِمَافِي بُطُونِهِ) [النحل: ٦٦]، وقال في موضع آخر: (بُطُونَهَا) [المؤمنون: ٢١]، وقال بعض نحويي الكوفة: أضيفت الظهور إلى الواحد، لأن ذلك الواحد في معنى جمع بمنزلة الجند

والجيش. قال: فإن قيل: فهلا قلت: لتستوا على ظهره، فجعلت الظهر واحدا إذا أضفته إلى واحد. قلت: إن الواحد فيه معنى الجمع، فردت الظهور إلى المعنى، ولم يقل ظهره، فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد. وكذلك تقول: قد كثر نساء الجند، وقلت: ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه. قال: وكذلك كل ما أضفت إليه من الأسماء الموصوفة، فأخرجها على الجمع، وإذا أضفت إليه اسما في معنى فعل جاز جمعه وتوحيده، مثل قولك: رفع العسكر صوته، وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له في الاثنين إلا الصورة في الواحد.

وقال آخر منهم: قيل: لتستوا على ظهوره، لأنه وصف للفلك، ولكنه وحد الهاء، لأن الفلك بتأويل جمع، فجمع الظهور ووحد الهاء، لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع توحد وتجمع مثل: الجند منهزم ومنهزمون، فإذا جاءت الأسماء خرج على الأسماء لا غير، فقلت: الجند رجال، فلذلك جمعت الظهور ووحدت الهاء، ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته.

س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ سخر لكم من الفلك والأنعام ما تركبونه فإذا تمكنتم منه وركبتموه متمكنين ذكرتم نعمة الله عليكم بتسخيره لكم وقلتم شاكرين نعمة الله منزهين له عن الشريك والمثيل والند، تنزه ربنا عن كل النقائص والعيوب وتنزه ربنا عن الشريك

والمثل والندّ والولد والصاحبة وعن كل ما لا يليق به، تنزه ربنا القادر الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه وما كنا نطبق تطويعه لنا وتسخيره لنا لولا أن سخره الله لنا، وإنا إلى ربنا يوم القيامة لصابرون وراجعون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ) يقول تعالى ذكره: ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب في البر والبحر (إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) فتعظموه وتمجدوه، وتقولوا تنزيها لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفلك والأنعام، مما يصفه به المشركون، وتشرك معه في العبادة من الأوثان والأصنام (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) ﴿١٣﴾.

وأورد بإسناد صحيح بطريقه عن أبي هاشم عن أبي مجلز قال:

قال: ركبت دابة، فقلت: (سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) ﴿١٣﴾، فسمعني رجل من أهل البيت؛ قال أبو كريب والهباري: قال المحاربي: فسمعت سفيان يقول: هو الحسن بن علي رضوان الله تعالى عليهما ^(١)، فقال: أهكذا أمرت؟ قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام، الحمد لله الذي من علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أخرجت للناس، فإذا أنت قد ذكرت نعمًا عظامًا، ثم تقول بعد ذلك ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال:

(لِئَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ) يعلمكم كيف

(١) وقد أورد الطبري عقبه ما يؤيد أنه الحسن بن علي رضي الله عنهما.

تقولون إذا ركبتكم في الفلك تقولون: (بِسْمِ اللَّهِ مَجَرُّهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾) [هود: ٤١]، وإذا ركبتكم الإبل قلتم: (سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾) ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعاً تقولون: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: (لِاسْتَوْءٍ عَلَى ظُهُورِهِ) أي: لتستووا متمكنين واقفين (عَلَى ظُهُورِهِ) أي: على ظهور هذا الجنس، (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ) أي: فيما سخر لكم (إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾) أي: مقاومين. ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه.



التنبيه بأمور الدنيا على أمور الآخرة

س: كثيراً ما ينبه بسير الدنيا على السير إلى الآخرة وبزاد الدنيا على التزود للآخرة. وضح ذلك.

ج: إيضاحه من عدة آيات:

إحداها قوله تعالى: (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾) وهذا بلا شك في الدنيا، ثم التذكير بسير الآخرة في قوله: (وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾).

وكذا قوله تعالى: (وَتَكَزَّدُوا) [البقرة: ١٩٧]، أي: يا أيها الحجيج تزودوا بالزاد الكافي واللازم لكم في سفركم ثم نبه على التزود بزاد آخر للآخرة، وهو زاد التقوى، قال تعالى: (فَابْتَغِ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾) [البقرة: ١٩٧].

وكذا قوله تعالى: (يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرَيْشًا) [الأعراف: ٢٦] أي: فاكثسوا وتزينوا يا عباد الله ولا تنسوا زادًا آخر هو أفضل، قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ خَيْرَ الْزَادِ النَّقْوَى﴾ أي: فلا تنسوا التزود به.

وكذا قوله تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَنَّاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ [النحل: ٨-٩]، فبعد أن بين سبحانه وتعالى أنه سخر لنا الخيل والبغال والحمير لركوبها، وكذا ما سخره الله لنا مما لم يكن ليخطر للمشركون على بال بين سبحانه أن عليه بيان الطرق الموصلة إليه وإلى مرضاته، فقال: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ)، وهنالك سبل لا توصل إليه ولا إلى مرضاته، وإليها الإشارة بقوله تعالى: (وَمِنْهَا جَايِزٌ)، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) ﴿١٤﴾ أي: لصانئون إليه بعد مماتنا، وإليه سيرنا الأكبر. وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة، كما نبه بالزاد الدنيوي على الأخروي في قوله: (وَتَكَرَّوْا فَاِنَّكَ خَيْرَ الْزَادِ النَّقْوَى) [البقرة: ١٩٧] وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى: (وَرَيْشًا وَلِبَاسًا النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) [الأعراف: ٢٦].

بعض الذكر الوارد عند ركوب الدابة

س: اذكر بعض الوارد من الأحاديث عند ركوب الدابة.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبُوهَا وَمُرْسَهً إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾) ﴿٤١﴾

[هود: ٤١].

وما أخرجه مسلم ^(١) من طريق عليّ الأزدي أن ابن عمر علمهم أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل». وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: «آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون».



(١) مسلم (١١٠/٩) مع النووي.

قال الله تعالى:

(وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَآثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَآثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾)

[الزخرف: ١٥-٢٥]

س: اذكر ما يلي:

(جَزَاءً - لَكَفُورٌ - مُبِينٌ - أَصْفَنَكُمْ - كَظِيمٌ - يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ - فِي الْخِصَامِ
غَيْرُ مُبِينٍ - يَخْرُصُونَ - عَلَى أُمَّةٍ - عَلَى آثَرِهِمْ - مَرْفُوهَاً - بِأَهْدَى).

ج:

معناها	الكلمة
نصيبيًا	(جَزَاءً)
لجود لنعم الله عليه غير شاكر لها، يُظهر المصائب وينسى النعم	(لَكَفُورٌ)
مظهرٌ لجوده	(مُبِينٌ)
اختاركم	(وَأَصْفَنَكُمْ)
ممتلئ غيظًا - حزين - مكروب - مهموم	(كَظِيمٌ)
يتربى في الصغر لابسًا الحليّ	(يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ)
عند الخصومة غير مظهر لحجته	(فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)
يكذبون - يتكلمون بغير علم	(يَخْرُصُونَ)
على ملة وطريقة في العبادة	(عَلَى أُمَّةٍ)
على خطاهم - على طريقهم	(عَلَى آثَرِهِمْ)
الأثرياء من أهلها	(مَرْفُوهَاً)
بأفضل وأرشد وأسدّ	(بِأَهْدَى)

س: ما المراد بالجزء في قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا)؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: وهو أولاها وأشهرها أن المراد بالجزء النصيب، فالمعنى، وجعل هؤلاء الكفار لله ﷻ نصيباً مما خلقه الله من العباد فقالوا: الملائكة بنات الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهذا اختيار الطبري إذ قال: يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون لله ﷻ من خلقه نصيباً، وذلك قولهم للملائكة هم بنات الله.

ثم قال:

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لأن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: (أَمْ آتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ) ﴿١٦﴾ توبيخاً لهم على قولهم ذلك، فكان معلوماً أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جلّ ثناؤه.

القول الثاني: أن المراد بقوله: (جُزْءًا) أي: عدلاً وشريفاً ونداً، وصح عن قتادة عند الطبري أنه قال: عدلاً.

وقول ثالث ذكره ابن كثير إذ قال:

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله، كما ذكر الله عنهم في سورة «الأنعام»، في قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ **الأنعام:**

١٣٦]. وكذلك جعلوا له من قسَمي البنات والبنين أخسَّهما وأردأهما وهو البنات، كما قال تعالى: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (١١) تِلْكَ إِذْ أَوَّيْتُهُمْ نَارَ كِهْدَشٍ ۖ وَكَانَ أَوَّيْتُهُمْ نَارَ كِهْدَشٍ ۖ ﴿١٢﴾ **النجم:** ٢١، ٢٢]. وقال هاهنا: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (١٥).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولداً، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:

منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهن بالبنين، ويفضلهم بهم؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنها: أن الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كرا تهم لذلك ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

ومنها: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنْشَأُ فِي الْحُلِيِّ﴾ أي: يَجْمَلُ فِيهَا، لِنَقْصِ جَمَالِهِ، فَيَجْمَلُ

بأمر خارج عنه؟ ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

ومنها: أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناءً، فتجروا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله. **ومنها:** أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «أَضْوَاءِ الْبَيَانِ»:

قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) .

قال بعض العلماء: (جُزْءًا) أي عدلاً ونظيراً، يعني الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله.

وقال بعض العلماء: (جُزْءًا) أي ولداً.

وقال بعض العلماء: (جُزْءًا) يعني البنات.

وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: أن الجزء النصيب، واستشهد

على ذلك بآية الأنعام. أعني قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا) الآية [الأنعام: ١٣٦].

قال مقبده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر أن قول ابن كثير هذا

رَحِمَهُ اللهُ غير صواب في الآية؛ لأن المَجْعول لله في آية الأنعام، هو النصيب مما ذرأ من الحرث والأنعام، والمَجْعول له في آية الزخرف هذه، جزء من عباده لا مما ذرأ من الحرث والأنعام، وبين الأمرين فرق واضح كما ترى.

وأن قول قتادة ومن وافقه: إن المراد بالجزء العدل والنظير الذي هو الشريك غير صواب أيضا؛ لأن إطلاق الجزء على النظير ليس بمعروف في كلام العرب. أما كون المراد بالجزء في الآية الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث، فهذا هو التحقيق في الآية.



س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ١٥).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الإنسان في الغالب إلا من رحم الله - لاجود لنعم الله ﷻ لا يقدم لها شكراً بل ينساها وإذا حلت به مصائب يُعدّد المصائب، قد أظهر ذلك وبين حالته تلك بنفسه وصنيعه فهو دائم التسخط والتشكي، قليل الشكر والاعتراف لله بالفضل، قليل الثناء على الله.

وفي معنى الآية قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ

لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ [العاديات: ٦-٧].

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ١٥) يقول تعالى ذكره: إن الإنسان

لذو جحد لنعم ربه التي أنعمها عليه مبين: يقول: يبين كفرانه نعمه عليه،

لمن تأمله بفكر قلبه، وتدبر حاله.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ

يَا بَنِينَ ۝١٦).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفقد اتخذ ربكم من خلقه البنات وأختصكم أنتم بالذكر أيها الجاهلون، فقد قسمتم الخلق بينكم وبين ربكم **عَلَيْكُمْ** واخترتكم لأنفسكم ما ترونه أفضل، قال تعالى: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ۝١٦ تِلْكَ إِذْ أَسْمَتْ ضِيَازٌ ۝١٧) [النجم: ٢١-٢٢].

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) يقول جل ثناؤه موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته: اتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات، وأنتم لا ترضون لأنفسكم، وأصفاكم بالبنين. يقول: وأخلصكم بالبنين، فجعلهم لكم. ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزءا بما ضرب للرحمن مثلا يقول: بما مثل الله، فشبهه شبيها، وذلك ما وصفه به من أن له بنات.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) الميم صلة؛ تقديره اتخذ مما يخلق بنات كما زعمتم أن الملائكة بنات الله؛ فلفظه الاستفهام ومعناه التوبيخ. (وَأَصْفَنَكُمْ يَا بَنِينَ ۝١٦) أي: اختصكم وأخلصكم بالبنين؛ يقال: أصفيته بكذا؛ أي: أثرته به. وأصفيته الودّ أخلصته له. وصافيته وتصافينا تخالصنا. عجب من إضافتهم

إلى الله اختيار البنات مع اختيارهم لأنفسهم البنين، وهو مقدّس عن أن يكون له ولد إن توهم جاهل أنه اتخذ لنفسه ولداً فهلا أضاف إليه أرفع الجنسين! ولم جعل هؤلاء لأنفسهم أشرف الجنسين وله الأخس؟ وهذا كما قال تعالى: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٣١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٣٢﴾).

[النجم: ٢١-٢٢]



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٣٧﴾)

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإذا بُشِّرَ أحد هؤلاء المشركين بالبنت الذي جعلها الله ﷻ لم يرض بذلك ولم يسعد بل يظل مهموماً محزوناً مكروباً ممتلئ غمّاً وهمّاً ونكدّاً وغيظاً، وينعكس كل ذلك على وجهه فيري أسود.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) أي بأنه ولدت له بنت ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ﴾ أي صار وجهه (مُسْوَدًّا) قيل ببطلان مثله الذي ضربه وقيل: بما بشر به من الأنثى دليله في سورة النحل: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ) [النحل: ٥٨] ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت له أنثى اغتم واربد وجهه غيظاً وتأسفاً وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا

تفسير سورة الزخرف

٢٢١

غضبان ألا نلد البنينا وإنما نأخذ ما أعطينا

وقال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أو من ينبت في الحلية ويزين بها (وهو في الخصام) يقول: وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين، ومن خصمه ببرهان وحجة، لعجزه وضعفه، جعلتموه جزء الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم، وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر منه وهو ما ذكرت.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار. ثم ذكر تمام الإنكار فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة، وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك، يقول تعالى: فكيف تأنفون أنتم من ذلك، وتنسبونه إلى الله عز وجل؟



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ

مُيِّنٍ ﴿١٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أجعلتم يا أهل الشرك الله عز وجل أردأ الصنفين وهن الإناث الناقصات عقل ودين اللواتي يُنشأن منذ صغرهن في الحلية، فيتحلين بالذهب وسائر الحلي لتتميم نقصهن، وإذا تكلمن في

خصومة من الخصومات لا يستطعن الكلام ولا إثبات حقوقهن في كثير من الأحيان. هذا والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: (أَوَمَنْ يُنَشِّؤُا فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ عَيْرٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾) أي: المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة، وإذا خاضعت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عيية، أو مَنْ يكون هكذا ينسب إلى جناب الله ﷻ؟! فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن، في الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناها، ليجبر ما فيها من نقص، كما قال بعض شعراء العرب:

وَمَا الْحَلِي إِلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيصَةٍ يَتِمُّ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصَّرَا
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمَالُ مَوْفِرًا كَحُسْنِكَ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يَزَوَّرَا

وأما نقص معناها، فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار، لا عبارة لها ولا همة، كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت: «ما هي بنعم الولد: نصرها بكاء، وبرها سرقة».

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: (أَوَمَنْ يُنَشِّؤُا فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي

الْخِصَامِ عَيْرٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾)، فقال بعضهم: عني بذلك الجواري والنساء، وأورد آثارا بذلك.

ثم قال:

وقال آخرون: عني بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله،

وأورد أثر ابن زيد في ذلك إذ قال: في قوله: (أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيَّةِ) ... الآية، قال: هذه تماثيلهم التي يضربونها من فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشئوها، ضربوها من تلك الحلية، ثم عبدوها (وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾) قال: لا يتكلم، وقرأ: (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾) [يس: ٧٧].

إلا أن الطبري رَحِمَهُ اللهُ تعالى اختار القول القائل بأن المراد الجواري والنساء، واختياره - فيما أرى - والله أعلم هو الصحيح فسياق الآيات الكريكات يؤيده، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الجواري والنساء، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه، وتحليلتهم إياه من الصفات والبخل، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم، والمنعم عليهم النعم التي عددها في أول هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم، فاتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجر له ذكر.

س: وضح معنى الآية الكريمة: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ أَنْتَ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّ شُهَدَاؤُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴿١٩﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ووصف هؤلاء المشركون ملائكة الله رَحِمَهُ اللهُ المقربين، الذي هم عباد الله، وصفوهم بأنهم إناث وادعوا ذلك واعتقدوه فقال تعالى مُنْكَرًا: (أَشْهَدُوا) أي: أحضروا خلقهم ورأوهم إناثًا ستكتب هذه الشهادة التي أدلوا بها ويكتب هذا الافتراء الذي افتروه

وسيسألوا عن كل ذلك يوم القيامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا) أي: اعتقدوا فيهم ذلك، فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك، فقال: (أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ) أي: شاهدوه وقد خلقهم الله إناثًا، (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ) أي: بذلك، (وَيُسْأَلُونَ) ﴿١١﴾ عن ذلك يوم القيامة. وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة (الذين هم عند الرحمن) بالنون، فكانهم تأولوا في ذلك قول الله جل ثناؤه: (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [الأعراف: ٢٠٦]، فتأويل الكلام على هذه القراءة: وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدمونه إناثًا، فقالوا: هم بنات الله جهلا منهم بحق الله، وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ﴾ بمعنى: جمع عبد. فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء: وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله، فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث. والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الملائكة عباد الله عنده.

وقوله: (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ) يقول تعالى ذكره: ستكتب شهادة هؤلاء

القائلين: الملائكة بنات الله في الدنيا، بما شهدوا به عليهم، ويسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً.



س: ما وجه الرد على المشركين في قولهم: (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) لما احتجوا به على جواز عبادة الأصنام؟

ج: أولاً: قولهم: (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) كما يقول القائل: كلمة حق أريد بها باطل، فنعم الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله، ولكن قولهم: (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) متضمنٌ منهم لمعتقدٍ حاصله أن الله رضي منهم بعبادة الملائكة أو بعبادة الأوثان بل وأمرهم بذلك كما ذكر في موطن آخر: (وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) [الأعراف: ٢٨]، فكانهم قالوا ولو لم يرض منا بذلك لحال بيننا وبين وقوع ذلك منا ولأنزل علينا عقوبة بسبب ذلك عاجلاً غير آجل.

فدعواهم التي تضمنها قولهم: (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) باطلية؛ لأن الله سبحانه قال: (وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) [الزمر: ١٧].

ثانياً: أن صريح الكتاب العزيز والسنة المباركة، وهذا من المتواتر المعلوم تواتره بالإجماع يُفيد أن الله ﷻ أرسل الرسل عليهم صلوات الله وسلامه كلهم قاطبة للأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة من سواه.

قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥]، وكما قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

ثالثًا: أن الله حذر أشد التحذير من الشرك به، فقال: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾) [المائدة: ٧٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

رابعًا: إنه لا علم لأحد بالأمر التي قدرها الله وقضاها إلا بآية أو بحديث، وليس لهؤلاء علم بأن الله قدر عليهم أن يموتوا على الكفر. ولا يحتج بالقدر على إسقاط العقوبات الدنيوية كما هو معلوم.

خامسًا: إنهم لو احتج عليهم محتج بمثل ذلك ما قبلوه منه فلو سرق أحد أموالهم، أو زنى أحد بنسائهم أو قتل رجل أولادهم واحتج عليهم لإسقاط العقوبة عنه - بأن ذلك مقدر ما قبلوه منه.

وهناك جملة من الأقوال كثيرة للرد على هؤلاء الذين استجازوا الإقامة على الكفر والباطل محتجين على ذلك بالقدر، تأتي في مواضعها إن شاء الله.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) أي: لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام، التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله، فإنه عالم بذلك وهو يقررنا عليه، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

أحدها: جعلهم لله ولدًا، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًا كبيرًا.

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله، بلا دليل ولا برهان، ولا إذن من الله

وَعَبَّكُم، بل بمجرد الآراء والأهواء، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء، والخبط في الجاهلية الجهلاء.

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قَدْرًا، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، قال: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾) [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: (وَسَلِّ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾) [الزخرف: ٤٥].

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ) يعني قال المشركون على طريق الاستهزاء والسخرية: لو شاء الرحمن على زعمكم ما عبدنا هذه الملائكة وهذا منهم كلمة حق أريد بها باطل وكل شيء بإرادة الله وإراداته تجب وكذا علمه فلا يمكن الاحتجاج بها وخلاف المعلوم والمراد مقدور وإن لم يقع ولو عبدوا الله بدل الأصنام لعلمنا أن الله أراد منهم ما حصل منهم وقد مضى هذا المعنى في الأنعام عند قوله: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) [الأنعام: ١٤٨]، وفي «يس»: (أَنْطَعِمُ مِنْ لَوِيشَاءِ اللَّهِ أَطَعَمَهُ) [يس: ٤٧].

ثم قال ﷺ:

(إِنَّهُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾) أي يحدثون ويكذبون فلا عذر لهم في عبادة غير الله عز و جل وكان في ضمن كلامهم أن الله أمرنا بهذا أو رضي ذلك منا ولهذا لم ينهنا ولم يعاجلنا بالعقوبة.

وقال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أو ثاننا التي نعبدها من دونه، وإنما لم يحل بنا عقوبة على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتنا لها.

قال السعدي رحمه الله:

وقوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة، وهي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، وهي حجة باطلة في نفسها، عقلاً وشرعاً. فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه. وأما شرعاً، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلاً ولهذا قال هنا: (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾) أي: يتخرصون تخرصاً لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا

يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾)

في هذه الآية الكريمة إشكال معروف، ووجهه أن قول الكفار الذي ذكره الله عنهم هنا، أعني قوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) [الزخرف: ٢٠]، هو بالنظر إلى ظاهره كلام صحيح، لأن الله لو شاء أن يعبدوهم ما عبدوهم، كما قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا) [الأنعام: ١٠٧]، وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [الأنعام: ٣٥]، وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام: ١٤٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

وهذا الإشكال المذكور في آية الزخرف هو بعينه واقع في آية الأنعام، وآية النحل.

أما آية الأنعام فهي قوله: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ) [الأنعام: ١٤٨].

وأما آية النحل، فهي قوله: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا) الآية [النحل: ٣٥].

فإذا عرفت أن ظاهر آية الزخرف وآية الأنعام، وآية النحل: أن ما قاله الكفار حق، وأن الله لو شاء ما عبدوا من دونه من شيء ولا أشركوا به شيئا، كما ذكرنا في الآيات الموضحة قريبا.

فاعلم أن وجه الإشكال، أن الله صرح بكذبهم في هذه الدعوى التي ظاهرها حق، قال في آية الزخرف: ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

﴿٢٠﴾ [الزخرف: ٢٠] ، أي يكذبون، وقال في آية الأنعام: (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَاسًا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾) [الأنعام: ١٤٨] ، وقال في آية النحل: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥].

ومعلوم أن الذي فعله الذين من قبلهم، هو الكفر بالله والكذب على الله، في جعل الشركاء له وأنه حرم ما لم يحرمه.

والجواب عن هذا أن مراد الكفار بقولهم: (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) وقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] ، مرادهم به أن الله لما كان قادرا على منعهم من الشرك، وهدايتهم إلى الإيمان ولم يمنعهم من الشرك، دل ذلك على أنه راض منهم بالشرك في زعمهم.

قالوا: لأنه لو لم يكن راضيا به، لصرفنا عنه، فتكذيب الله لهم في الآيات المذكورة منصب على دعواهم أنه راض به، والله جل وعلا يكذب هذه الدعوى في الآيات المذكورة وفي قوله: (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) [الزمر: ٧].

فالكفار زعموا أن الإرادة الكونية القدرية، تستلزم الرضى وهو زعم باطل، وهو الذي كذبهم الله فيه في الآيات المذكورة.

وقد أشار تعالى إلى هذه الآيات المذكورة، حيث قال في آية الزخرف: ﴿أَمْ أَنَيْنَاهُم كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿١١﴾﴾ [الزخرف: ٢١] ، أي آتيناهم كتابا يدل على أنا راضون منهم بذلك الكفر، ثم أضرب عن هذا إضراب إبطال مبينا أن مستندهم في تلك الدعوى الكاذبة هو تقليد آبائهم التقليد الأعمى، وذلك في قوله: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴿١٢﴾

[الزخرف: ٢٢]، أي شريعة وملة وهي الكفر وعبادة الأوثان: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

فقوله عنهم: ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ هو مصب التكذيب، لأن الله إنما يرضى بالاهتداء لا بالضلال.

فالاهتداء المزعم أساسه تقليد الآباء الأعمى، وسيأتي إيضاح رده عليهم قريبا إن شاء الله.

وقال تعالى في آية النحل بعد ذكره دعواهم المذكورة: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) [النحل: ٣٦].

فأوضح في هذه الآية الكريمة أنه لم يكن راضيا بكفرهم، وأنه بعث في كل أمة رسولا، وأمرهم على لسانه أن يعبدوا الله وحده، ويجتنبوا الطاغوت أي يتباعدوا عن عبادة كل معبود سواه. وأن الله هدى بعضهم إلى عبادته وحده، وأن بعضهم حقت عليه الضلالة أي ثبت عليه الكفر والشقاء.

وقال تعالى في آية الأنعام: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ



[الأنعام: ١٤٩]

فملكه تعالى وحده للتوفيق والهداية، هو الحجة البالغة على خلقه، يعني فمن هديناه وتفضلنا عليه بالتوفيق، فهو فضل منا ورحمة. ومن لم نفعل له ذلك فهو عدل منا وحكمة، لأنه لم يكن له ذلك دينا

علينا ولا واجبا مستحقا يستحقه علينا، بل إن أعطينا ذلك ففضل، وإن لم نعطه فعدل.

وحاصل هذا: أن الله تبارك وتعالى قدر مقادير الخلق، قبل أن يخلق الخلق، وعلم أن قوما صائرون إلى الشقاء وقوما صائرون إلى السعادة، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وأقام الحجة على الجميع، ببعث الرسل وتأيدهم بالمعجزات التي لا تترك في الحق لبساً فقامت عليهم حجة الله في أرضه بذلك.

ثم إنه تعالى وفق من شاء توفيقه، ولم يوفق من سبق لهم في علمه الشقاء الأزلي، وخلق لكل واحد منهم قدرة وإرادة يقدر بها على تحصيل الخير والشر، وصرف قدرهم وإرادتهم بقدرته وإرادته إلى ما سبق لهم في علمه، من أعمال الخير المستوجبة للسعادة وأعمال الشر المستوجبة للشقاء.

فأتوا كل ما أتوا وفعلوا كل ما فعلوا، طائعين مختارين، غير مجبورين، ولا مقهورين: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [الإنسان: ٣٠]، (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام: ١٤٩].
وادعاء أن العبد مجبور لا إرادة له ضروري السقوط عند عامة العقلاء.

ومن أعظم الضروريات الدالة عليه أن كل عاقل يعلم أن بين الحركة الاختيارية والحركة الاضطرارية، كحركة المرتعش فرقا ضروريا، ولا ينكره عاقل.

وأنك لو ضربت من يدعي أن الخلق مجبورون، وفقأت عينه مثلاً،

وقتل ولده واعتذرت له بالجبر، فقلت له: أنا مجبور ولا إرادة لي في هذا السوء الذي فعلته بك، بل هو فعل الله، وأنا لا دخل لي فيه فإنه لا يقبل منك هذه الدعوى بلا شك، بل يبالغ في إرادة الانتقام منك قائلاً: إن هذا بإرادتك ومشيتك.

ومن أعظم الأدلة القطعية الدالة على بطلان مذهب القدرية، وأن العبد لا يستقل بأفعاله دون قدرة الله ومشيتته، أنه لا يمكن أحداً أن ينكر علم الله بكل شيء، قبل وقوعه والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا ينكرها إلا مكابر.

وسبق علم الله بما يقع من العبد قبل وقوعه، برهان قاطع على بطلان تلك الدعوى.

وإيضاح ذلك أنك لو قلت للقدري: إذا كان علم الله في سابق أزله تعلق بأنك تقع منك السرقة أو الزنا في محل كذا في وقت كذا، وأردت أنت بإرادتك المستقلة في زعمك دون إرادة الله ألا تفعل تلك السرقة أو الزنا الذي سبق بعلم الله وقوعه، فهل يمكنك أن تستقل بذلك؟ وتصير علم الله جهلاً، بحيث لا يقع ما سبق في علمه وقوعه في وقته المحدد له؟

والجواب بلا شك: هو أن ذلك لا يمكن بحال كما قال تعالى: (وَمَا

تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [الإنسان: ٣٠]، وقال الله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام: ١٤٩].

ولا إشكال ألينة في أن الله يخلق للعبد قدرة وإرادة يقدر بها على الفعل والترك، ثم يصرف الله بقدرته وإرادته قدرة العبد وإرادته إلى ما سبق به علمه، فيأتيه العبد طائعاً مختاراً غير مقهور ولا يجور، وغير مستقل به

دون قدرة الله وإرادته كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.



س: قوله تعالى: (مَنْ قَبْلِهِ) من قبل ماذا؟

ج: ذهب الأكثرون إلى أن ذلك راجع إلى القرآن أي من قبل القرآن، وقال بعض العلماء: من قبل شركهم، والأول أظهر، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ)

ج: المعنى، والله أعلم، ما لهؤلاء المشركين مستمسكين بما هم عليه من عبادة الأوثان والشرك بالله، وما لهؤلاء المشركين تاركين للقرآن هاجرين له، هل أنزلنا عليهم قبل هذا القرآن كتابًا من السماء من عندنا فهم به مستمسكون ومن ثم لا يتزحزون عنه ولا يحيدون؟!

وهذه الآية كقوله تعالى: (أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ)

[الروم: ٣٥].

وكقوله تعالى: (أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ)

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ) يقول تعالى ذكره ما آتينا هؤلاء المتخربين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك، من قبل هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد. (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) يقول: فهم بذلك الكتاب الذي جاءهم من عندي من قبل هذا القرآن، مستمسكون يعملون به، ويدينون بما فيه، ويحتجون به عليك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة: (أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ) أي: من قبل شركهم، (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) أي: فيما هم فيه، أي: ليس الأمر كذلك، كقوله: (أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) [الروم: ٣٥] أي: لم يكن ذلك.



س: كثيرًا ما يستدل على الكفار بأنهم يعملون أعمالهم على غير برهان ولا كتاب سابق، دال على ذلك.

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في «إصواء البيان» مجيبًا على هذا:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾.

أم هنا تتضمن معنى استفهام الإنكار، يعني جل وعلا أن هذا الذي يزعم الكفار من أنهم على حق في عبادتهم الأوثان، وجعلهم الملائكة بنات الله، لا دليل لهم عليه، ولذا أنكر أن يكون آتاهم كتابا يحل فيه ذلك وأن يكونوا مستمسكين في ذلك بكتاب من الله، فأنكر عليهم هذا هنا إنكارا دالا على النفي للتمسك بالكتاب المذكور، مع التوبيخ والتفريع.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن كفرهم المذكور لم يكن عن هدى من الله، ولا كتاب أنزله الله بذلك، جاء موضعا في آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة فاطر: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ) [فاطر: ٤٠].

وقوله تعالى في الأحقاف: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ

الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ [الأحقاف: ٤].

وقوله تعالى في الروم: (أَمْ أَنزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ [الروم: ٣٥].

وقوله تعالى في الصافات: (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ [الصافات: ١٥٦، ١٥٧].

وقوله تعالى في النمل: (أَمَّن يَدْعُوا الْخَلْقَ ثَمَّ يَعِيدُهُ، وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ [النمل: ٦٤].

وقوله تعالى في الحج والبقرة: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ [الحج: ٨].

وقوله تعالى في الأنعام: (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن نَّبْيَعُونَا إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨].

س: وضع معنى قوله تعالى: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَكَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أننا ما آتينا الكفار كتابًا يستمسكون به ويستشهدون به على كفرهم وإنما اتبعوا ملة آبائهم الباطلة التي كانوا عليها من غير سلطان ولا بينة ولا برهان، فإذا سألتهم هل أتاكم كتاب من عند الله يأمركم فيه بالشرك بالله وعبادة الوثن قالوا: إنا وجدنا آباءنا على ملة وإنا على نهجهم سائرون، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ما آتينا هؤلاء القائلين: لو شاء الرحمن ما عبدنا

هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها، كتابا من عندنا، ولكنهم قالوا: وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها، فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها؛ وعنى جل ثناؤه بقوله: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) . بل وجدنا آباءنا على دين وملة، وذلك هو عبادتهم الأوثان.

ثم قال:

وقوله: (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ) يقول: وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون، يعني: لهم متبعون على منهاجهم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ) أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد، بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين هاهنا، وفي قوله: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) [الأنبياء: ٩٢].

وقولهم: (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ) أي: ورأيتهم (مُّهْتَدُونَ) ، دعوى منهم بلا دليل.

وقال القرطبي رحمه الله:

(وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ) أي نهتدي بهم وفي الآية الأخرى: (مُّقْتَدُونَ) أي نفتدي بهم والمعنى واحد قال قتادة : مقتدون متبعون وفي هذا دليل على إبطال التقليد لزمه إياهم على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول ﷺ.



س: كثيراً ما يستدل أهل الكفر على إقامتهم على ما هم عليه بأن الآباء والأجداد فعلوا ذلك. دُلِّل على هذا.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا).

[لقمان: ٢١]

وقوله تعالى: (إِنَّهُمْ أَقْوَاءُ آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ ﴿٧٠﴾).

[الصفافات: ٦٩-٧٠]

وقوله تعالى في شأن إجابة قوم إبراهيم لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا

هَٰؤُلَاءِ﴾ [الأنبياء: ٥٣].

وقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا

وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) [المائدة: ١٠٤] إلى غير ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ) (٥٣).

ج: هذه الآية تحمل مواساة لرسول الله ﷺ فكان المعنى، وإن كان قومك قد كذبوك يا رسول الله، فهكذا سلك من كانوا قبلهم هذا المسلك من مسالك التكذيب، فما أرسلنا في قرية من قبلك من رسول ينذرهم ويحذرهم إلا قال كبارؤها والأثرياء منهم إنا وجدنا آبائنا على ملة وعلى طريقة فلن نبرحها ولن نتركها بل سنقتفي آثارهم ونسلك مسلكهم، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله، وقالوا مثل قولهم، لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية، يعني إلى أهلها رسلاً تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذروهم سخطنا، وحلول عقوبتنا بهم (إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا)، وهم رؤسائهم وكباروهم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم بين تعالى أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسول، تشابهت قلوبهم، فقالوا مثل مقالته: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ) (٥٢) اتَّوَصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]، وهكذا قال هاهنا: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ) ﴿٥٣﴾.



MOSTAFAALADWY.COM

س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أُولُو جِحْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ...﴾ الآية.**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الرسول المرسل إلى قومه لما دعاهم إلى الله فأجابهم المترفون بقولهم: (إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ) (٢٣)، قال الرسول: رأيتم لو جئتم من عند الله بقرآن فيه هداية لما تجددوا عليها الآباء والأجداد، فأعرضوا قائلين جاحدين إنا بما أرسلتم به كافرون، أي: مكذبون جاحدون معرضون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (أُولُو جِحْتِكُمْ) أيها القوم من عند ربكم (بِأَهْدَىٰ) إلى طريق الحق، وأدل لكم على سبيل الرشاد (مِمَّا وَجَدْتُمْ) أنتم (عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ) من الدين والملة. (قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) (٢٤) يقول: فقال ذلك لهم، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها: إنا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون، يعني: جاحدون منكرون.

وقرأ ذلك قراء الأمصار سوى أبي جعفر: (قل أولو جنتكم) بالناء. وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه قرأه: (قل أو لو جنتكم) بالنون والألف. والقراءة عندنا ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة عليه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد لهؤلاء المشركين: (أُولُو جِحْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا

وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ أي: ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به، لما انقادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أُولَٰئِكَ تُكْفَرُونَ﴾ (٢٤): أي قل يا محمد لقومك: أوليس قد جئتم من عند الله بأهدى يريد بأرشد (مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾) يعني بكل ما أرسل به الرسل فالخطاب للنبي ﷺ ولفظه لفظ الجمع لأن تكذيبه تكذيب لمن سواه وقرئ: ﴿قُلْ وَقَالَ وَجئتم وجئناكم﴾ يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتم بدين أهدى من دين آباءكم؟ قالوا: إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى.



س: بأي شيء انتقم الله منهم؟

ج: منهم من انتقم الله منه بالخسف، ومنهم بعذاب يوم الظلة، ومنهم بالغرق، ومنهم بالريح الصرصر العاتية، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم بالطوفان إلى غير ذلك من صور الانتقام المذكورة في قصصهم. والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنْهُمْ فِثْنًا لِّكَيْفَ كَانَ

عِقْبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٥).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فانتقمنا من هؤلاء الكفرة المُصرين على كفرهم المكذبين لرسولهم بصور عديدة من صور الانتقام، فانظر يا رسول الله بعين الاعتبار كيف كان مصيرهم، وإلى ماذا آل أمرهم!!

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من هؤلاء المكذبة رسلها من الأمم الكافرة بربها، بإحلالنا العقوبة بهم، فانظر يا محمد كيف كان عقبي أمرهم، إذ كذبوا بآيات الله. ويعني بقوله: (عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾) آخر أمر الذين كذبوا رسل الله الإلام صار، يقول: ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم؟

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الله تعالى: (فَأَنفَقْنَا مِنْهُمْ) أي: من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب، كما فصله تعالى في قصصهم، (فَأَنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾)؟ أي: كيف بادوا وهلكوا، وكيف نجى الله المؤمنين؟



MOSTAFAALAH.COM

قال الله تعالى:

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلَخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٤٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٤٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾ ﴿الزخرف: ٢٦-٣٥﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

(بَرَاءٌ - فَطَرَنِي - سَيِّدِينَ - عَقِيه - رَحِمْتَ رَبِّكَ - سُخْرِيًّا - أُمَّةً وَاحِدَةً - سُقْفًا -
مَعَارِجَ - يَظْهَرُونَ - يَتَكَبَّرُونَ - زُخْرَفًا).

ج:

الكلمة	معناها
(بَرَاءٌ)	مُتَخَلِّي - رَافِض - تَارِك
(فَطَرَنِي)	خَلَقَنِي
(سَيِّدِينَ)	سَيُوفَقَنِي وَيُرْشِدُنِي وَيُسَدِّدُنِي
(عَقِيه)	ذَرِيَّتَه - نَسْلَه
(رَحِمْتَ رَبِّكَ)	قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا النُّبُوَّةُ الَّتِي يَمُنُ اللَّهُ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَقِيلَ: الْكَرَامَةُ الَّتِي يَكْرُمُ اللَّهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ. وَقِيلَ: عَمُومٌ مَا يَرْحَمُ اللَّهُ بِهِ الْعِبَادَ وَيَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَيْهِمْ
(سُخْرِيًّا)	مِنْ التَّسْخِيرِ وَالِاسْتِخْدَامِ. وَالْمَعْنَى: لَيْسَ خَرِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِكَوْنِهِ يَعْمَلُ عِنْدَهُ فَيَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ - خَدَمًا مَسْخَرِينَ
(أُمَّةً وَاحِدَةً)	مِلَّةً وَاحِدَةً (عَلَى الْكُفْرِ)
(سُقْفًا)	أَعَالِي الْبُيُوتِ - السُّطُوح - مَا تَغْطِي بِهِ الْغُرُفَ
(مَعَارِجَ)	دَرَج (دَرَجَاتُ السَّلَالِم)
(يَظْهَرُونَ)	يَصْعَدُونَ
(يَتَكَبَّرُونَ)	الِاتِّكَاءُ هُوَ الْمِيلُ بِأَحَدِ الشَّقِيَيْنِ عَلَى السَّرِيرِ أَوْ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ
(زُخْرَفًا)	ذَهَبًا

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا

تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، واذكر قول إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن إذ قال لأبيه أزر ولقومه المشركين الذي أشركوا بالله وعبدوا معه آلهة أخرى من أوثان وأصنام وغير ذلك إذ قال لهم إبراهيم عليه السلام (إِنِّي بَرَاءٌ) أي: متبرؤ من عبادتكم ومن آلهتكم التي تعبدونها لكن ربي ﷻ الذي خلقني فإني لا أتبرأ منه فإنه خالقي وسيهديني ويوفقي ويسدني ويرشدني، وهذه الآية في معناها قوله تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمْ إِنَّا بَرَاءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ).
[المتحنة: ٤]



س: قوله تعالى: (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) هل هو استثناء متصل أم منقطع؟

ج: الوجهان قائمان لأهل العلم: فالذي قال إنه استثناء متصل، قال: إن القوم كانوا يعبدون الله ﷻ وكانوا يعبدون معه آلهة أخرى فتبرأ إبراهيم عليه السلام من آلهتهم التي هي دون الله ﷻ ولم يتبرأ من عبادة الله ﷻ.
قال قتادة^(١): كأيدهم، كانوا يقولون إن الله ربنا (وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [القمان: ٢٥]، فلم يبرأ من ربه والذي قال إنه منقطع قال: معناه لكن الذي فطرني فإنه سيهديني، قال القرطبي: ويجوز أن يكون منقطعاً أي: لكن الذي فطرني فهو يهديني، قال ذلك ثقةً بالله وتنبهًا لقوله أن

(١) أخرجه الطبري (٣٠٨١٤)، بسند حسن.

الهداية من ربه ﷻ.

والآية كقوله: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) (الشعراء: ٧٨).



س: ما هذه الكلمة التي قال الله في شأنها: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ)؟

ج: الكلمة هي قول: لا إله إلا الله. هذا قول جمهور المفسرين، وقال بعض أهل العلم: هي الإسلام، وهذا الأخير قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فقد صح عنه عند الطبري أنه قال في قوله: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) فقرأ: (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (البقرة: ١٣١)، قال: جعل هذه باقية في عقبه، قال: الإسلام، وقرأ: (هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) [الحج: ٧٨]، فقرأ: (وَجَعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ) [البقرة: ١٢٨].



س: من الذي جعلها باقية؟

ج: الذي جعلها باقية في عقب إبراهيم هو الله ﷻ تفضيلاً منه وامتناناً على إبراهيم عليه السلام جعل الله ﷻ في ذريته من يتولى لا إله إلا الله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله» أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام، (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (آي: إليها).

قال القرطبي رحمه الله:

وضمير الفاعل في وَجَعَلَهَا ﷻ لله عز وجل أي وجعل الله هذه الكلمة

والمقالة باقية في عقبه وهم ولده أي إنهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله وأوصى بعضهم بعضاً في ذلك.

س: قوله تعالى: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٢٨) إلى ماذا؟

ج: يرجعون إلى طاعة ربهم وإلى الإسلام وإلى كلمة التوحيد.

قال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم ويثوبوا إلى عبادته ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم.
وأورد بأسنادر حسن عن قتادة قال: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٢٨) أي: يتوبون أو يذكرون. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ

وَرَسُولٌ مُّبِينٌ) (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ) (٣٠).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إني لم أعجل هؤلاء الكفار المشركين من أهل مكة بالعقوبة مع أن كلمة التوحيد كانت باقية في نسل إبراهيم عليه السلام، ولكني أمهلتهم حتى أرسلت إليهم رسولي وأنزلت عليه كتابي يتلوه عليهم، فالحق هو القرآن، والرسول هو محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن ما آمنوا إذ جاءهم الحق وما أسلموا ولكن وصفوا القرآن بأنه سحرٌ ووصفوا رسول الله ﷺ بأنه ساحر، وأعلنوا صراحةً عن كفرهم، وذلك بقولهم هذا سحرٌ وإنا به كافرون، أي: له جاحدون منكرون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (بَلْ مَتَّعْتُ) ﴿٢٩﴾ يا محمد (هَؤُلَاءِ) ﴿٣٠﴾ المشركين من قومك

﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم بالحياة، فلم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم (حَتَّىٰ جَاءَهُمُ

الْحَقُّ ﴿٢٤٩﴾ يعني جل ثناؤه بالحق: هذا القرآن: يقول: لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب، وبعثت فيهم رسولاً مبيناً. يعني بقوله: (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) ﴿٢٤٩﴾: محمداً ﷺ، والمبين: أنه يبين لهم بالحجج التي يحتج بها عليهم أنه الله رسول محق فيما يقول: (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) يقول جل ثناؤه: ولما جاء هؤلاء المشركين القرآن من عند الله، ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) يقول: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به، ليس بوحي من الله (وَإِنَّا بِكُمْ كَافِرُونَ) ﴿٢٥٠﴾ يقول: قالوا: وإنا به جاحدون، ننكر أن يكون هذا من الله.

س: من هذا الرجل الذي عناه المشركون بقولهم: (لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى

رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ) ﴿٣١﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد الوليد بن المغيرة (أبو خالد بن الوليد) من أهل مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف.

الثاني: أنه عتبة بن ربيعة من أهل مكة أو حبيب بن عمرو الثقفي من أهل الطائف.

وثم أقوالٌ أخرى.

وكل ذلك ليس من وراء العلم به كبير طائل ولو كان في التسمية كبير نفع لبيّنه الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

ولقد أحسن الطبري رحمه الله إذ قال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه، مخبرا
عن هؤلاء المشركين ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣١)
إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا
الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ،
والاختلاف فيه موجود على ما بيّنت.



س: ما هاتان القرى اللتان ذكرتا في الآية الكريمة: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا

الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (٣١).

ج: المراد عند جماهير المفسرين (مكة والطائف)، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ

**مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ سَخِرَاءٌ
وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (٣٢).**

**ج: هذا، والله أعلم، معناه هؤلاء الذين يقولون لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم، هؤلاء يقسمون رحمة ربك فيكرموا من
شاءوا ويمنعوا من شاءوا!!! كلا فليس هذا لهم بل كل هذا موكول إلى
الله يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد ويمن على من شاء بما شاء، فهو
سبحانه الذي قسم بين العباد معاشهم في الحياة الدنيا فجعل هذا حراً،
وجعل ذاك عبداً، وجعل هذا غنياً وجعل ذاك فقيراً، وابتلى هذا بالمرض
وعافى هذا من المكروه، ورزق هذا بالولد، وحرّم هذا، وزوج هذا ذكرانا
وإنثا ورزق هذا بالبناات، وقلّد هذا منصباً ومنّ عليك بالملك وحرّم هذا**

من المنصب، إلى غير ذلك من صور التفضيل بين العباد فهذا غني، وذاك فقير، وهذا ضيعٌ وذاك جليل القدر عند الناس، وهذه وسيمةٌ وضيئةٌ وتلك دميمة.

وهذا طويلٌ وذاك قصيرٌ إلى غير ذلك كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) [الفرقان: ٢٠]، وكما قال: (وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا) ﴿١٤﴾ [أنوح: ١٤]، ثم إن الله ﷻ رفع بعض الأقسام على بعض فجعل هذا مالكاً وهذا مملوكاً مستخدماً، وهذا غنياً وذاك فقيراً وذلك حتى تستقيم الحياة ويستخدم هذا ذاك في عمله وإلا فلو كان الجميع أغنياء ما وجدوا من يخدمهم ولو كان الجميع فقراء ما استخدم أحدهم الآخر كذلك، فقلوه: (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) أي: يسخره في العمل والخدمة. وقيل: استهزاءً وازدراءً، والأول أولى، ثم إن الله ﷻ بيّن أن رحمة الله ﷻ التي يمن بها على العباد من الإيمان والنبوة والإسلام والسمع والطاعة له، كل ذلك خير مما يجمع من حطام الدنيا الفاني الزائل، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَمْهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: أهؤلاء القائلون: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد، يقسمون رحمة ربك بين خلقه، فيجعلون كرامته لمن شاءوا، وفضله لمن أرادوا، أم الله الذي يقسم ذلك، فيعطيه من أحب، ويحرمه من شاء؟

وقال أيضاً:

وقوله: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره: بل نحن

نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولاً ومن أردنا صديقاً، ونتخذ من أردنا خليلاً كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا ملكاً، وهذا مملوكاً (لِتَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا).

ولورد بإسناد حسن عن قتادة قال: قال الله تبارك وتعالى:

(أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فتلقاه ضعيف الحيلة، عبي اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان، وهو مقتور عليه، قال الله جل ثناؤه: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى.

ثم قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (لِتَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) يقول: ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه، وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول: جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا في المعاش، في الدنيا. ثم قال: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ)؟ أي: ليس الأمر مردوداً إليهم، بل إلى الله، **وَعَلَيْكُمْ**، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلباً ونفساً، وأشرفهم بيتاً وأطهرهم أصلاً.

ثم قال تعالى مبيناً أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال

والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة، فقال: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) ﴿٣٢﴾.

وقوله: (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) قيل: معناه ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره.

وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضاً. وهو راجع إلى الأول.

ثم قال: (وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) ﴿٣٣﴾ أي: رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) يعني أنه تعالى لم يفوض إليهم أمر معاشهم وحظوظهم، في الدنيا، بل تولى هو جل وعلا قسمة ذلك بينهم، فجعل هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا رقيقاً، وهذا ضيقاً، وهذا خادماً، وهذا مخدوماً، ونحو ذلك فإذا لم يفوض إليهم حظوظهم في الدنيا، ولم يحكمهم فيها، بل كان تعالى هو المتصرف فيها بما شاء كيف شاء، فكيف يفوض إليهم أمر إنزال الوحي حتى يتحكموا في من ينزل إليه الوحي؟

فهذا مما لا يعقل ولا يظنه إلا غبي جاهل كالكفار المذكورين.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا)

[الزخرف: ٣٢]، التحقيق إن شاء الله أنه من التسخير.

ومعنى تسخير بعضهم لبعض، خدمة بعضهم البعض، وعمل بعضهم لبعض، لأن نظام العالم في الدنيا، يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمته جل

وعلا، أن يجعل هذا فقيراً مع كونه قوياً قادراً على العمل، ويجعل هذا ضعيفاً لا يقدر على العمل بنفسه، ولكنه تعالى يهيئ له دراهم، يؤجر بها ذلك الفقير القوي فينتفع القوي بدراهم الضعيف، والضعيف بعمل القوي فتتظم المعيشة، لكل منهما وهكذا.

وهذه المسائل التي ذكرها الله جل وعلا، في هذه السورة الكريمة جاءت كلها موضحة في آيات آخر من كتاب الله.

س: الحسد قد يُفضي إلى الكفر والقتل. دَلِّلْ عَلَى ذَلِكَ.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، وقد تقدمت، ومنها هاهنا اعتراض أهل الكفر على نبوة النبي محمد ﷺ بقولهم: (لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرَبَتَيْنِ عَظِيمٍ) ﴿٣١﴾، ومن قبل ذكر أن ابن آدم الأول قتل أخاه بسبب حسده إذ تُقبل منه القربان.

وإخوة يوسف عليه السلام فعلوا ما فعلوه معه حسداً منهم له إذ أحبه أبوه حباً عظيماً.

واليهود كفروا برسول الله ﷺ حسداً منهم له.

والأدلة في هذا الباب كثيرة، سلمنا الله والمؤمنين من هذا الداء. آمين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا

لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: ابتداء، فهذا بيانٌ لرحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين فهو سبحانه

يحفظهم من كل ما يصرفهم عن طاعته وتوحيده، ويصرف عنهم ما قد يصرفهم عن طاعته أما عن معنى الآيات الكريمات، فأقول، وبالله التوفيق ولولا أن يجتمع الناس كلهم على الكفر لمتعنا الكفار بصنوف المتاع، ولكن رحمة منا بعبادنا المؤمنين ما متعنا الكفار بصنوف المتاع بل جعلنا منهم الغني والفقير والوسيم والدميم والصحيح والسقيم، وإلا فلولا أن يغتر المؤمنون بدنيا الكفار فيكفرون لمتعنا الكفار بأن نجعل سقوف بيوتهم من الفضة، وكذلك لجعلنا الدرج الذي يصعدون عليه في البيوت لسطوحها (السلالم) من فضة، وكذا لجعلنا أبواب البيوت وأبواب الغرف وكذا السرر التي ينامون عليها، لجعلنا كل ذلك من فضة ولجعلنا أيضاً لهم (أي: الكفار) ذلك من ذهب، ولمتعناهم أيضاً بالذهب وذلك لأن هذا كله متاع زائل ونعيم فان، وإذا رآه المؤمنون لدخلوا في دين الكفر اغتراراً منهم بدنيا الكفار، فحفاظاً على أهل الإيمان وإيمانهم لم تُعط الكفار هذا، وإن كان هذا كله متاعاً زائلاً وفانيّاً وما أعده الله ﷻ لأهل الإيمان والتقوى في الآخرة خيرٌ من كل ذلك.

هذا، وفي الصحيحين ^(١) من حديث عمر رضي الله عنه في قصة اعتزال النبي ﷺ نساءه، قال عمر: فقلت: استأنس، يا رسول الله! قال: «نعم»، فجلست، فرفعت رأسي في البيت، فوالله! ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهباً ثلاثة. فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالساً، ثم قال: «أفي شكٍّ

(١) البخاري (حديث ٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩).

أنت؟ يا ابن الخطاب! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: استغفر لي يا رسول الله! وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن. حتى عاتبه الله ﷻ.

وفي صحيح مسلم ^(١) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بأهل الدنيا، من أهل النار، يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة. ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا، من أهل الجنة. فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا. والله! يا رب! ما مرّ بي بؤس قط. ولا رأيت شدة قط».

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تفسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى بأن الدنيا لا تساوي عنده شيئاً، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده، التي لا يقدم عليها شيئاً، لو سَعَّ الدنيا على الذين كفروا توسيعاً عظيماً، ولجعل (لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ) أي: درجاً من فضة (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) ﴿٢٣﴾ إلى سطوحهم.

(وَلِيُؤْتِيَهُمْ آتُونًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ) ﴿٢٤﴾ من فضة، ولجعل لهم (وَخُرُفًا).

أي: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاماً أو خاصاً لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند

(١) مسلم (٢٨٠٧).

الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدره، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيبه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: (وإن كل ذلك لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن كل ما ذكر من المتاع من الفضة والزخرف وغير ذلك لمتاع زائل يستمتع به زمناً قصيراً ثم يزول أو يزول عنه الشخص أما الآخرة وما فيها من النعيم فهي خير، فنعيمها لا يتحول ولا يزول، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

العنكبوت: ٦٤

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وإن كل ذلك لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره: وما كل هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا. (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾) يقول تعالى ذكره: وزينة الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين، الذين اتقوا الله فخافوا عقابه، فجدوا في طاعته،

وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَإِنْ كُنْ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أي: إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله أي: يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب، ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله حسنة يجزيهم بها، كما ورد به الحديث الصحيح.



MOSTAFAALDOWY.COM

قال الله تعالى:

(وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾
وَأَنَّهُمْ لَيَصْذُقْنَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَقَّ إِذَا
جَاءَنَا قَالَ بَلَّيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾
وَلَنْ يَنْفَعَكَ يَوْمَ الْيَوْمِ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾
أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
﴿٤٠﴾ فَمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُزِينَاكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقَدِّرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾
وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً
يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾) [الزخرف: ٣٦-٤٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يَعِشُ - نَقِيضٌ - قَرِينٌ - لِيَصُدُّوهُمْ - السَّبِيلِ - بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ - الصُّمَّ - الْعُمَى - نَذَّهَبَنَّ بِكَ - لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

ج:

معناها	الكلمة
يتعامى - يُعرض - يتغافل	(يَعِشُ)
نجل - نسب - نسلط	(نَقِيضٌ)
مقارن - ملازم - مصاحب	(قَرِينٌ)
ليصرفونهم	(لِيَصُدُّوهُمْ)
طريق الحق	(السَّبِيلِ)
المسافة ما بين المشرق والمغرب، وقيل: المشرقين تغليباً كالأسودين (التمر والماء)، والأبوين (الأم والأب)، والله أعلم	(بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ)
الذين لا يسمعون الحق، الذين سلبهم الله سماع الحق	(الصُّمَّ)
الذين لا يرون الحق ولا يبصرونه	(الْعُمَى)
نتوفيك	(نَذَّهَبَنَّ بِكَ)
شرف لك أن نزل عليك القرآن، وكذا شرف لقومك إذ أنزل القرآن على رجل منهم	(لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ)



س: ما المراد بذكر الله في قوله تعالى: (وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ

شَيْطَانًا...).

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: أن المراد بذكر الله هنا القرآن وما فيه.

الثاني: أن المراد بالذكر عموم الذكر من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير ونحو ذلك، والله أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: (وَمَنْ يَعِشْ) أي: يعرض ويصد (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردّها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبداً، وقِيضَ له الرحمن شيطاناً مريداً، يقارنه ويصاحبه، ويعدّه ويمنيه، ويؤزّه إلى المعاصي أزاً.



س: الذي ينصرف وينشغل ويعرض عن ذكر الله تتسلط عليه الشياطين. دّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾).

وقوله تعالى: (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا قَاتِبَهُ

الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾) [الأعراف: ١٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

[فصلت: ٢٥]

وقوله تعالى: (الْمَرْتَرَانَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾) [مريم:

وقد وصف الشيطان بالخناس لكونه يخنس عند ذكر الله ﷻ.

وقوله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى) [النساء: ١١٥].

وقوله تعالى: (قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ

هَدَانَا اللَّهُ كَأَلْبَىٰ أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنَاسُ... ﴿١٠﴾

[الأنعام: ٧١]

وفي الحديث (١) عن رسول الله ﷺ أن الله ﷻ أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمّر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، ... فذكر الحديث، وفيه: «وأمركم بذكر الله ﷻ كثيراً وإن مثل ذلك كمثّل رجل طلبه العدو سراغاً في إثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله ﷻ...» الحديث.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ

لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ ﴿٣٧﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن يُعرض عن هذا القرآن ويتغافل عنه ويتعامى، وكذا من يكذب به فإن الله ﷻ يسلط عليه شيطاناً يقارنه ويلازمه ويصاحبه ويصرفه عن الطاعة ويُزين له المعصية، يحجب إليه الحرام، ويزهده في الحلال، يحملّه على التكذيب بالجنة والنار، وكلما أراد أن يسلك سبيل الخير زهّده فيه وكرّهه إليه ويزين له الباطل فيفعل

(١) أحمد بسندٍ صحيح (١٣٠/٤).

المُحْرَم وَيُظَنُّ أَنَّهُ مُحْسَنٌ وَعَلَى خَيْرٍ وَهَدَى، وَذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ

حَسَنًا) [فاطر: ٨]، وكما قال في شأن سبأ: (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) [النمل: ٢٤]، وكما قال تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته، ولم يخش عقابه (نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) يقول: نجعل له شيطانًا يغويه فهو له قرين: يقول: فهو للشيطان قرين، أي يصير كذلك، وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعله في العين، يقال منه: عشا فلان يعشو عشوًا وعشواً: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة.

ثم قال رحمه الله:

وقوله: (وَلَا يَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) يقول تعالى ذكره: وإن الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله، عن سبيل الحق، فيزينون لهم الضلالة، ويكرهون إليهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) يقول: ويظن المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة، أنهم على الحق والصواب، يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شكٍّ وعلى غير بصيرة. وقال جل ثناؤه: (وَلَا يَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع، وإنما ذكر قبل واحدًا، فقال: (نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا) لأن الشيطان وإن كان لفظه واحدًا، ففي معنى جمع.



س: وضح معنى قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ بَلَغْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرَيْنِ ۖ) (٣٨).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، حتى إذا جاءنا المعرض عن ذكر الله ﷻ يوم القيامة مع قرينه تمنى أنه لم يكن قارنه ولا لازمه ولا صاحبه قائلاً: ياليتني لم أعرفك، ياليتني كنت بعيداً عنك أبعد ما بين المشرق والمغرب فبتس القرين أنت.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) (٣٩).

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم، أن الإشتراك في العذاب الدنيوي قد يخففه بعض الشيء كما يُذكر عن الخنساء أنها قالت:

فلولا كثرة الباكين حولي على أخوانهم لقتلت نفسي
ولا يكون مثل أخي ولكن أعزي النفس معهم بالتأسي

بل كما قال تعالى: (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ) (النساء:

١٠٤).

وعلى سبيل الإيضاح: إذا كان الطالب في مدرسة وقيل له: إنك قد رسبت في الامتحان فيحزن لذلك إذا كان هو الراسب الوحيد، أما إذا قيل له: كل الطلبة الذين في المدرسة قد رسبوا، فيخف عنه الهم والحزن.

أما في الآخرة فالاشتراك في العذاب لا يخففه، فهذا قوله تعالى: (وَلَنْ

يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أي: لن ينفعكم وقد أشركتم في دنياكم بالله، اشتراككم في العذاب يوم القيامة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ) أيها العاشون عن ذكر الله في الدنيا (إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾) يقول: لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب؛ لأن لكل واحد نصيبه الأوفر منه اعلم الله تعالى أنه منع أهل النار التأسى كما يتأسى أهل المصائب في الدنيا وذلك أن التأسى يستروحه أهل الدنيا فيقول أحدهم: لي في البلاء والمصيبة أسوة فيسكن ذلك من حزنه كما قالت الخنساء... وذكر البيهقي اللذين تقدما.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

وقوله تعالى: (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾) أي: ولا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب، أنتم وقرناؤكم وأخلاؤكم، وذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، فاشتركتم في عقابه وعذابه. ولن ينفعكم أيضاً، روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون هان عليهم بعض الهون، وتسلى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. نسألك يا ربنا العافية، وأن تريحنا برحمتك.



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفأنت يا رسول الله تُسمع من سلبه الله **﴿٤٠﴾** استماع الحق وأفقده الله البصيرة التي يرى بها الصواب من الخطأ، ومن كان في غواية وبُعد ظاهر وواضح عن طريق الحق؟؟ ليس أمر الهداية - هداية التوفيق - بموكل إليك، إنما عليك البلاغ كما قال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) **[القصص: ٥٦]**، وكما قال: (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) **[ق: ٤٥]** أي: لست بمجبر لهم على سلوك طريق الهداية، وكما قال: (لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) **[الغاشية: ٢٢]**، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) : من قد سلبه الله استماع حجه التي احتج بها في هذا الكتاب فأصمه عنه، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره، واستحوذ عليه الشيطان، فزين له الردى (وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) **﴿٤٠﴾** يقول: أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل، سالك غير سبيل الحق، قد أبان ضلاله أنه عن الحق زائل، وعن قصد السبيل جائر: يقول جل ثناؤه: ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء، وإنما أنت منذر، فبلغهم النذارة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى) يا محمد (وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) **﴿٤٠﴾ أي: ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك إن كفروا ففيه**

تسالية للنبي ﷺ وفيه ردٌّ على القدرية وغيرهم وأن الهدى والرشد والخذلان في القلب خلق الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ) (٤١) أو نُرِيَّتَكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ) (٤٢).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإن توفيناك يا رسول الله قبل أن تقر عينك برؤية انتقامنا من أهل الظلم وأهل الشرك فإننا سننتقم منهم ولا بد، وقد نُحيبك حتى تقر عينك برؤية أهل الظلم وقد انتقم الله منهم، فإننا على ذلك قادرون.

وعلى هذا الوجه من وجوه التأويل فإن الآية تحمل مواساة للمظلومين ولتوضيح ذلك أقول، وبالله التوفيق:

قد يبتلى شخص بظلم بعض العباد له ولا يستطيع أن ينتصر، فخصمه أقوى منه، فيتمنى أن الله ﷻ أنزل بأسه وعقابه بهذا الظالم، ولكن يُقدر الله أن لا يُنزل البأس بالظالم في حياة المظلوم بل يموت المظلوم وهمه في صدره ولم يُشف صدره ولم يذهب غيظه، فمثل هذا يواسى بأن الله ﷻ سينتقم له من ظالمه، وإن مات هو قبل ظالمه، فهذا معنى قوله: (فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ) (٤١) أما قوله تعالى: (أَوْ نُرِيَّتَكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ) أي: في دنياك قبل مماتك، (فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ) (٤٢) أي: فإننا على ذلك قادرون.

وهذا الذي ذكرته هو ما أراه صواباً في تأويل الآية الكريمة، والله أعلم بالصواب من تأويل كتابه، وهو اختيار جمهور المفسرين، وهناك من المفسرين

من حمل الآية على أصحاب محمد ﷺ والفتن التي دارت وجرت بينهم فلم يحدث شيء منها في زمان رسول الله ﷺ وإنما دبّت الخلافات بعده ﷺ وأورد البعض هذا الحديث: «النجوم أمانة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون»، وحمل هذا الفريق من المفسرين قوله: (فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ) ﴿٤١﴾ على أصحاب رسول الله ﷺ وما دار بينهم، وهذا أراه بعيداً جداً وغير صائب، فسياق الآيات في المشركين، عياداً بالله من الشرك وأهله.

وهذا الرأي الأخير منقول عن قتادة رَحِمَهُ اللهُ وَعَفَا عَنْهُ، وقد أورده الطبري بسند صحيح عن قتادة، ولكنه تعقبه.

قال قتادة:

قوله: (فَإِنَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ) ﴿٤١﴾ فذهب الله بنبيه ﷺ، ولم ير في أمته إلا الذي تقر به عينه، وأبقى الله النعمة بعده، وليس من نبي إلا وقد رأى في أمته العقوبة، أو قال ما لا يشتهي. ذكر لنا أن النبي ﷺ أرى الذي لقيت أمته بعده، فما زال منقبضاً ما انبسط ضاحكاً حتى لقي الله تبارك وتعالى.

وتعقب الطبري هذا بقوله: وهذا القول (يعني: قول من قال: غني به أهل الشرك من قريش): أولى التأويلين في ذلك بالصواب وذلك أن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديداً لهم أولى من أن يكون وعيداً لمن لم يجر له ذكر. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين، فنخرجك من بينهم (فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ) ﴿٤١﴾، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذبة رسلها.

(أَوْ نُزِيلُكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ) يا محمد من الظفر بهم، وإعلانك عليهم (فَأَنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾) أن نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك.



س: كثيراً ما يحتاج المؤمنون إلى تثبيت مع كونهم أهل إيمان. دّل

على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ - مع كونه مستمسكاً بالقرآن - (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾).

وقوله تعالى: (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾) [النمل: ٧٩].

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) [الأحزاب: ١].



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، اثبت يا رسول الله ولتزدد تمسكاً بما أنت عليه من الوحي والإسلام والنبوة، فإنك على طريق سوي مستقيم موصل بإذن الله إلى جنات النعيم لا ينحرف بك عنها ولا يحيد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فتمسك يا محمد بما يأمر بك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك، (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾) ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾) أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك، فإنه الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم.



س: هل رسول الله ﷺ لم يكن مستمسكًا بالوحي حتى قيل له:

(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ)؟

ج: كلا بل كان أشد المستمسكين، وإنما المراد تثبيته على ما هو عليه من الحق، والحث على مزيد من التمسك كذلك، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن هذا القرآن لشرف لك يا رسول الله وشرف لقومك كذلك لو كانوا يعقلون. شرفٌ لك إذ نزل عليك خير كتاب من عند الله وشرف لقومك؛ إذ نزل هذا القرآن على رجل منهم، وسوف يسألك ربك عن هذا الكتاب العزيز، عن تبليغه وعن العمل به والدعوة إليه، وسوف يسأل قومك كذلك عن اتباعهم له من عدمه، وهل ائتمروا بما فيه أم لا؟ وهل انتهوا عما نهاهم الله عنه في هذا الكتاب العزيز أم لا؟

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ) يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن الذي أوحى إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش (وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾) يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه، وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه؟

وقال القرطبي رحمه الله:

(وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ) يعني: القرآن شرف لك ولقومك من قريش؛ إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم نظيره: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) [الأنبياء: ١٠]، أي: شرفكم فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم خاطب فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم كل من آمن بذلك فصاروا عيالاً عليهم؛ لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يفقوا على المعنى الذي عني به من الأمر والنهي وجميع ما فيه من الأنباء، فشفروا بذلك على سائر أهل اللغات ولذلك سُمِّيَ عربيًّا... إلى آخر ما قال.

س: كيف يسأل رسول الله ﷺ من تلبه من الرسل وهو لم يرهم؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه يسأل أتباع الرسل، الذين هم مؤمنو أهل الكتاب.

الثاني: أنه يسأل الرسل الذي التقى بهم ليلة الإسراء.

واختار الطبري القول الأول، وهو الأصح فيما أرى، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عني به: سل مؤمني أهل الكتابين.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يقال: سل الرسل، فيكون معناه: سل

المؤمنين بهم وبكتابهم؟ قيل: جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتابهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم، فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صح بمعنى خبرهم، والمسألة عما جاءوا به بمعنى مسألتهم إذا كان المسئول من أهل العلم بهم والصدق عليهم، وذلك نظير أمر الله -جل ثناؤه- إيانا برد ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول، يقول: (فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) [النساء: ٥٩]، ومعلوم أن معنى ذلك: فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ لأن الرد إلى ذلك رد إلى الله والرسول. وكذلك قوله: (وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) إنما معناه: فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل، فإنك تعلم صحة ذلك من قبلنا، فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب؛ إذ كان معلوماً ما معناه.

وقوله: (أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ) يقول: أمرناهم بعبادة

الآلهة من دون الله فيما جاءوهم به، أو أتوهم بالأمر بذلك من عندنا؟

س: هل كان رسول الله ﷺ شاغًا حتى أمر أن يسأل؟

ج: لم يكن الرسول ﷺ شاغًا أبدًا، بل قيل له ذلك لمزيدٍ من التثبيت، وكذا قيل له ذلك لتثبيت أمته فأحيانًا يكون الخطاب في صورته لرسول الله ﷺ ولكن المراد أمته، والله أعلم.



س: اذكر بعض الأدلة على أن الرسل أرسلت بالدعوة للتوحيد.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ).

[النحل: ٣٦]

وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥].

وقول عددٍ كبيرٍ من الأنبياء ﷺ لأممهم: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) ، إلى غير ذلك من الأدلة، والله أعلم.



قال الله تعالى:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمِ الْيَسَّ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ [الزخرف: ٤٦-٥٦]

س : اذكر معنى ما يلي:

﴿بِأَيِّنَّا - وَمَلَأِيهِ - أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا - السَّاحِرُ - بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ - كَشَفْنَا عَنْهُمْ - يَنْكُثُونَ - مِنْ تَحْتِ - مَهِينٌ - وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ - أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ - مُقْتَرِنِينَ - فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ - فَاطَاعُوهُ - ءَاسَفُونَا - سَلَفًا - وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ .

ج:

معناها	الكلمات
بحججنا والمعجزات التي أيدنا بها موسى ﷺ	(بِأَيِّنَّا)
أشراف قومه وكبرائهم	(وَمَلَأِيهِ)
أعظم في الاحتجاج بها عليهم من غيرها - أكبر من التي قبلها	(أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا)
المراد بها هنا العالم	(السَّاحِرُ)
بالعهد الذي أخبرك الله به (أننا إذا آمنا كشف عنا	(بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ)
رفعنا عنهم البلاء والعذاب	(كَشَفْنَا عَنْهُمْ)
ينقضون العهد ويغدرون ويصرون على ضلالتهم	(يَنْكُثُونَ)
من بين يدي - أمامي	(مِنْ تَحْتِ)
حقير - وضع - لا منصب له	(مَهِينٌ)
لا يستطيع الكلام إلا بصعوبة ولا يستطيع الإفصاح إلا بصعوبة. قال كثير من أهل العلم: وذلك بسبب الجمرة التي تناولها في صغره فأثرت على لسانه ومن ثم على نطقه، كذا قالوا، فالله أعلم.	(وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ)
ما يلبس في الأيدي من الحلي	(أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ)

(مُقْتَرِنِينَ)	متتابعين يقارن بعضهم بعضاً - يمشون مع موسى ﷺ ويؤيدونه ويقوون أمره
(فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ)	استخف بعقولهم ولعب بها ودعاهم إلى الضلالة - رآهم جهلة ورأى عقولهم خفيفة فلعب بها
(فَأَطَاعُوهُ)	فأجابوه
(عَاسِفُونَ)	أغضبونا - أسخطونا
(سَلَفًا)	سلفاً سيئاً، قوم سوء وسلف سيئ لمن عمل بعملهم (فمن الناس من سلفه صالح، وهم الصالحون) (والطالحون سلفهم سيئ وفاسد) والسلف هم من تقدموا
﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾	عبرة لمن بعدهم



س: في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا... ﴿١٠﴾ تسلياً لِّلرَّسُولِ ﷺ).

وضح ذلك.

ج: إيضاحه حاصله أنك يا رسول الله، وإن تكن كُذِّبْتَ فقد كُذِّبَ موسى من قبلك، وإن يكن قومٌ قد سَخَرُوا منك فإن أقواماً سَخَرُوا من رسلهم كذلك، فاصبر كما صبر إخوانك من المرسلين.

تفسير سورة الزخرف

٢٧٧

س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾)**

ج: ولقد أرسلنا نبينا وكليما موسى عليه السلام بحججنا الدالة على واحدنا والدالة على قدرتنا، وكذا الدالة على نبوته □ وعلى أننا أرسلناه، ومن تلك الآيات والحجج العصا التي تتحول إلى حية تسعى، ومنها اليد التي تخرج بيضاء للناظرين، ومنها ما ذكره الله تعالى في كتابه؛ إذ قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات، أرسلناه بها إلى فرعون وأشراف قومه وكبراء قومه قائلًا لهم: إني رسول رب العالمين فما كان جواب هؤلاء - إذا جاءتهم الآيات - إلا السخرية والضحك والاستهزاء والتكذيب، فلما انتفعوا بالآيات ولا أجدت معهم المعجزات.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، كما قلت أنت لقومك من قريش: إني رسول الله إليكم.

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾) يقول: فلما جاء موسى فرعون وملاه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من

الآيات والعبر يضحكون؛ كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يسخرون، وهذا تسلية من الله ﷻ لنبيه ﷺ عما كان يلقي من مشركي قومه، وإعلام منه له، أن قومه من أهل الشرك لن يعدوا أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على مناهجهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، وندب منه نبيه ﷺ إلى الاستئان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل، وإخبار منه له أن عقبي مردتهم إلى البوار والهلاك كسنته في المتمردين عليه قبلهم، وإظهاره بهم، وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى ﷺ، وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى، ﷺ، أنه ابتعثه إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة، والأتباع والرعايا، من القبط وبني إسرائيل، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وأنه بعث معه آيات عظيمة، كيديده وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها، وكذبوها وسخروا منها، وضحكوا ممن جاءهم بها.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا) لما أعلم النبي ﷺ أنه منتقم له من عدوه وأقام الحجة باستشهاد الأنبياء واتفاق الكل على التوحيد أكد ذلك بقصة موسى وفرعون وما كان من فرعون من التكذيب وما نزل به وبقومه من الإغراق والتعذيب أي: أرسلنا موسى بالمعجزات وهي التسع

الآيات فكذب فجعلت العاقبة الجميلة له فكَذَلِكَ أَنْتَ.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا نُزِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما نبتلّيههم بابتلاء وننتقم منهم بانتقام إلا وهو أعظم من الذي قبله وكذا ما نريهم من معجزة إلا وهي أعظم في الاحتجاج عليهم من التي قبلها.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما نرى فرعون وملاه آية، يعني: حجتنا لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) يقول: إلا التي نريه من ذلك أعظم في الحجة عليهم وأؤكد من التي مضت قبلها من الآيات، وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله.

وقال القرطبي رحمه الله:

وقوله تعالى: (وَمَا نُزِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) أي: كانت آيات موسى من كبار الآيات وكانت كل واحدة أعظم مما قبلها وقيل: (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) لأن الأولى تقتضي علماً والثانية تقتضي علماً، فتضم الثانية إلى الأولى فيزداد الوضوح ومعنى الأخوة: المشاكلة والمناسبة كما يقال: هذه صاحبة هذه أي: هما قريبتان في المعنى.



س: قوله تعالى: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن ماذا؟ وإلى ماذا؟

ج: هذا، والله أعلم، لعلهم يرجعون عن كفرهم وضلالهم وغييهم إلى

طريق الله سبحانه وتعالى بعد أن ابتعدوا عنه ويرجعوا إلى توحيد بعد أن أشركوا به، وإلى طاعته بعد عصيانهم له.



س: كثيراً ما يكون الابتلاء لإرجاع الناس إلى دينهم. دّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك قوله تعالى: (وَأَخَذْتَهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾).

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾ [الأعراف: ١٣٠].

وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ

لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿١٤﴾ [الأعراف: ١٤]، إلى غير ذلك من الآيات.



س: كيف يصفون موسى ﷺ بالساحر في موقف يريدون فيه منه أن

يدعو الله ﷻ لهم؟

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بما حصله أنهم أرادوا بالساحر

في هذا المقام - العالم - فلم يكن السحر مذموماً عندهم، بل كانوا يكرمون السحرة، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

إن قال لنا قائل: وما وجه قيلهم: يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد

عندك، وكيف سموه ساحراً وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب؟ قيل: إن الساحر كان عندهم معناه: العالم، ولم يكن السحر عندهم ذمّاً، وإنما دعوه بهذا الاسم؛ لأن معناه عندهم كان: يا أيها العالم.

وقوله: (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾) يقول: قالوا: إنا لمتبعوك فمصدقوك فيما

جئتنا به، وموحدو الله فمبصرو سبيل الرشاد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وكان علماء زمانهم هم السحرة. ولم يكن السحر عندهم في زمانهم مذموماً، فليس هذا. منهم على سبيل الانتقاص. منهم؛ لأن. المحال. حال ضرورة منهم إليه، لا تناسب ذلك، وإنما هو تعظيم في زعمهم، ففي كل مرة يعذون موسى إن. كشف عنهم هذا أن. يؤمنوا. ويرسلوا. معه بني إسرائيل. وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه، وهذا كقوله: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ) (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدَعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥).

[الأعراف: ١٣٣- ١٣٥]

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿ وَقَالُوا ﴾ عندما نزل عليهم العذاب: ﴿يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ﴾ يعنون موسى رَحِمَهُ اللهُ، وهذا، إما من باب التهكم به، وإما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحاً، فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون أنهم علماءهم، وهم السحرة، فقالوا: (يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ آدَعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) أي: بما خصك الله به، وفضلك به، من الفضائل والمناقب، أن يكشف عنا العذاب (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ) (٤٩) إن كشف الله عنا ذلك.



س: وضع معنى قولهم: (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾).

ج: المعنى هنا، والله أعلم، وإنا لساكون طريق الحق والإيمان والتوحيد، مؤمنين بك وبما جئت به، مصدقين لك (إذا أنت دعوت ربك فكشف عنا العذاب).

وقال بعض أهل العلم: إن المراد بقولهم: (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾) أي: إنا متبعون للحق، مؤمنون بك فارتدوا بعد إيمانهم.
والأولى أصوب، أي: أن المراد إنا لمهتدون فيما يُستقبل إن أنت دعوت ربك فكشف عنا العذاب.



س: وضع معنى قوله تعالى: (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ

﴿٥٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، فلما عافيناهم ورفعنا عنهم البلاء الذي ابتليناهم به، وكان من المفترض أن يؤمنوا بناءً على ما أعطوا من عهود ومواثيق إذا هم يغدرون فلا يفون بعهد ولا بميثاق وينقضون العهود والمواثيق ويستمروا على كفرهم وضلالهم بل ازدادوا سخرية واستهزاء بنبي الله موسى ﷺ.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾) يقول تعالى ذكره: فلما رفعنا عنهم العذاب الذي أنزلنا بهم، الذي وعدوا أنهم إن كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحق، إذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذي عاهدونا: يقول: يغدرون ويصرون على ضلالهم، ويتمادون في غيهم.



س: ما المراد بقوله: (أَمْ أَنَا)؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن (أَمْ) هنا استفامية على بابها المعروف، وذهب آخرون منهم إلى أنها بمعنى (بل) وكلا الوجهين متحملٌ ويصح المعنى به.

فالأولى: يستفهم ويطلب جوابهم، وقد استخف قومه فأطاعوه.

والثانية: مفهومها أن يجيب نفسه بقوله: (بل أنا خيرٌ من هذا...)، والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومُ آلِيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن فرعون جمع قومه أو أشرافهم وكبراءهم، وخطبهم، فقال لهم: يا قوم أَلست بملك مصر بما فيها، أفعل فيها ما أشاء، وهذه الأنهار كما ترون تجري من بين يدي، أنا خيرٌ أم هذا الحقير الذي لا يستطيع الكلام؟! لا يستطيع الكلام؟! لا يستطيع الكلام؟!

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ) من القبط، فـ(قَالَ يَنْقُومُ آلِيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾) يعني بقوله: (مِن تَحْتِي): من بين يدي في الجنان.

وقال أيضاً:

وقوله: (أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾) يقول: أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه

من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعي اللسان، افتخر بملكه مصر عدو الله، وما قد مكن له من الدنيا استدراجاً من الله له، وحسب أن الذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وأن موسى إنما لم يصل إلى الذي يصفه، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجاً على جهلة قومه بأن موسى ﷺ لو كان محاً فيما يأتي به من الآيات والعبر، ولم يكن ذلك سحراً، لأكسب نفسه من الملك والنعمة، مثل الذي هو فيه من ذلك جهلاً بالله واغتراراً منه بإملائه إياه.

وقال أيضاً:

يقوله تعالى ذكره مخبراً عن قيل فرعون لقومه بعد احتجابه عليهم بملكه وسلطانه، وبيان لسانه وتمام خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى: أنا خير أيها القوم، وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثِّي لَا شَيْءَ لَهُ مِنَ الْمَلِكِ وَالْأَمْوَالِ مَعَ الْعِلَّةِ الَّتِي فِي جَسَدِهِ، وَالْأَفَّةِ الَّتِي بِلِسَانِهِ، فَلَا يَكَادُ مِنْ أَجْلِهَا يَبِينُ كَلَامُهُ؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده: أنه جمع قومه، فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي)، قال قتادة: قد كانت لهم جنان وأنهار ماء، (أَفَلَا بُصِرُونَ؟) أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني: وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء. وهذا كقوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) [النازعات: ٢٣ - ٢٥].

وقوله: (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) قال السدي: يقول: بل أنا خير من هذا الذي هو مهين. وهكذا قال بعض نحاة البصرة: إن (أَمْ) هاهنا بمعنى «بل». ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها: (أما أنا خير من هذا الذي هو مهين). قال ابن جرير: ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحًا واضحًا، ولكنها خلاف قراءة الأمصار، فإنهم قرؤوا: (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ)؟ على الاستفهام.

قلت: وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون -عليه اللعنة- أنه خير من موسى، عليه السلام، وقد كذب في قوله هذا كذبًا بيِّنًا واضحًا، فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

ويعني بقوله: (مَهِينٌ) كما قال سفيان: حقير. وقال قتادة والسدي: يعني: ضعيف. وقال ابن جرير: يعني: لا ملك له ولا سلطان ولا مال.

(وَلَا يَكَادُيُنُّ ۝٥٢) يعني: لا يكاد يفصح عن كلامه، فهو عيي حصر. **قال السدي:** (وَلَا يَكَادُيُنُّ ۝٥٢) أي: لا يكاد يفهم. وقال قتادة، والسدي، وابن جرير: يعني عيي اللسان. وقال سفيان: يعني في لسانه شيء من الجمرة حين وضعها فيه وهو صغير.

وهذا الذي قاله فرعون -لعنه الله- كذب واختلاق، وإنما حمّله على هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب. وقوله: ﴿مَهِينٌ﴾ كذب، بل هو المهين الحقير خُلِقَ وَخُلِقًا وَدِينًا. وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد. وقوله: (وَلَا يَكَادُيُنُّ

﴿٥٢﴾ افتراء أيضاً، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله ﷻ أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله له في قوله: (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾) **إطه: ٣٦**، وبتقدير أن يكون قد بقى شيء لم يسأل إزالته، كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء.



س: هل كانت هذه العقدة في لسان موسى ﷺ لا زالت باقية حتى بعد

بعثته؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن الله ﷻ قد أذهبها وذلك لقول موسى ﷺ: (وَأَحْلَلْتُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٣٧﴾ يَقْقَهُوا قَوْلِي ﴿٣٨﴾) **إطه: ٣٧-٣٨**، وقوله تعالى: (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾) **إطه: ٣٦**.



س:-: وضح معنى قوله تعالى:- (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن فرعون استخف بعقول القوم ولعب بها وقادهم فانقادوا له وأمرهم فسمعوا له وأطاعوا، فقد كانوا أهل فسق وخروج عن الطاعة وأهل انحراف، فسهل عليه قيادتهم، فلما أغضبونا

بسوء صنيعهم وإقرارهم لفرعون؛ إذ قال: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) [النازعات: ٢٤]، وإقرارهم له؛ إذ قال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) [القصص: ٣٨]، فانتقمنا منهم بالإغراق في البحر، فأغرقناهم أجمعين، وجعلناهم سلفاً سيئاً لمن يأتي من بعدهم ككفار قريش فإن سألت من السلف لكفار قريش؟ فسلفهم السيئ فرعون ومن معه، وكذا جعلنا قوم فرعون، وما أحلناه بهم من النكال والعذاب عبرة يعتبر بهم من جاء من بعدهم، والله أعلم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ) قال ابن الأعرابي: المعنى: فاستجهل قومه ﴿فَاطَاعُوهُ﴾ لخفة أحلامهم وقلة عقولهم يقال: استخفه الفرح أي: أزعبه واستخفه أي: حمله على الجهل ومنه (وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) [الروم: ٦٠]، وقيل: استفزهم بالقوم فأطاعوه على التكذيب وقيل: استخف قومه أي: وجدهم خفاف العقول، وهذا لا يدل على أنه يجب أن يطيعوه فلا بد من إضمار بعيد تقديره وجدهم خفاف العقول، فدعاهم إلى الغواية فأطاعوه وقيل: استخف قومه وقهرهم حتى اتبعوه يقال: استخفه خلاف استثقله واستخف به أهانه: ﴿ثُمَّ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [٥٤] أي: خارجين عن طاعة الله.

قال السعدي رحمه الله:

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ) أي: استخف فرعون عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبهة، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا حقيقة تحتها، وليست دليلاً على حق ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول.

فأي دليل يدل على أن فرعون محقٌ، لكون ملك مصر له، وأنهاره تجري من تحته؟

وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلة أتباعه، وثقل لسانه، وعدم تحلية أمه له، بأساور من ذهب؟ ولكن فرعون لقي ملاً لا عقول عندهم، فمهما قال اتبعوه، من حقّ وباطل. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فبسبب فسقهم، قبيض لهم فرعون، يزين لهم الشرك والشر.

MOSTAFAALADWIY.COM



قال الله تعالى:

(﴿٥٧﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ
وَقَالُوا آلَإِلهَتِنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ
خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾
وَأَنَّهُ لَعَلُّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ
عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي
تَخْلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾) [الزخرف: ٥٧-٦٤]

س: وضع معنى ما يلي:

(يَصْدُرُ) - جَدَلًا - خَصْمُونَ - مَثَلًا - يَخْلِفُونَ - لَعَلَّ السَّاعَةَ - فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا - وَلَا يَصْدَنَّاكُمْ - بِالْبَيِّنَاتِ - بِالْحِكْمَةِ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَصْدُرُ)	يضجون - يسمع لهم ضجيج كضجيج الإبل عند تحميلها بثقل الأحمال
(جَدَلًا)	مجادلة ومخاصمة
(خَصْمُونَ)	يلتمسون الخصومة بالباطل - مجادلون بالباطل
(مَثَلًا)	حجة - برهانًا - بيانًا
(يَخْلِفُونَ)	يخلف بعضهم بعضًا - يأتي بعضهم بعد بعض - يخلفونكم
(لَعَلَّ السَّاعَةَ)	دليل على اقترابها وعلامة من علامات اقترابها، أي: اقتراب يوم القيامة
(فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا)	فلا تشكن فيها وفي وقوعها
(وَلَا يَصْدَنَّاكُمْ)	ولا يصرفنكم - ولا يحيدن بكم
(بِالْبَيِّنَاتِ)	بالحجج الواضحات - ومنها المعجزات التي أيده الله بها وقيل: المراد بالبينات: الإنجيل وما فيه
(بِالْحِكْمَةِ)	قيل: بالنبوة - وقيل: بالإنجيل - وقيل: ما يؤدي إلى فعل الجميل وينهى عن القبيح

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ ﴾

يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: لما شبّه عيسى عليه السلام في كيفية خلقه، وكونه كآدم عليه السلام خلقه الله بكلمة كن، فكان بشراً من غير أب ولا أم، فكَذلك عيسى عليه السلام خلقه الله ^{عليه السلام} من غير أب.

فقال تعالى: (إِنَّمَا مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾) [آل عمران: ٥٩].

فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً بشأن عيسى عليه السلام إذا بضجيج يُسمع منهم كالضج الذي يُسمع من الإبل عند تحميلها بثقل الأحمال، فتعجبوا وسمع منهم صياح، وقالوا: يُريد محمد أن نعبدّه كما عبد عيسى عليه السلام !!!

الثاني: أن النبي ﷺ لما تلا على أهل الشرك قوله تعالى: (إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٦٠﴾) [الأنبياء: ٩٨]، ضجوا لذلك، وقالوا: فالنصارى يعبدون المسيح، واليهود يعبدون عزيزاً، فقد رضيّا أن تكون ألّهتنا مع المسيح ومع عزيز ^(١).
هذا، وقد ذكر الطبري الوجهين لأهل العلم، فقال:

وقوله: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) يقول تعالى ذكره: ولما شبه الله عيسى في إحدائه وإنشائه إياه من غير فعل بآدم، فمثله به بأنه خلقه من تراب من غير فعل، إذا قومك يا محمد من ذلك يضجون ويقولون: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذة إلهاً نعبدّه، كما عبدت النصارى المسيح.

(١) فقال الله بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي: أن عزيزاً والمسيح مبعدان عن النار، والله أعلم.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه.

ثم قال:

وقال آخرون: بل عني بذلك قول الله ﷻ: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾) [الأنبياء: ٩٨] قيل المشركين عند نزولها: قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة؛ لأن كل هؤلاء مما يعبد من دون الله، قال الله ﷻ: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾) وقالوا: آلهتنا خير أم هو؟

قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

يقول تعالى: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) أي: نهي عن عبادته، وجعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام والأنداد. (إِذَا قَوْمُكَ) المكذبون لك (مِنْهُ) أي: من أجل هذا المثل المضروب، (يَصِدُّونَ) ﴿٥٧﴾ أي: يلجون في خصومتهم لك، ويصيحون، ويزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، وأفلحوا. (وَقَالُوا أَلِلهُتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) يعني: عيسى، حيث نهي عن عبادة الجميع، وشورك بينهم بالوعيد على من عبدهم، ونزل أيضا قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ) ﴿٩٨﴾ [الأنبياء: ٩٨].

ووجه حجتهم الظالمة، أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة الحسنة، فلم سويت بينه وبين معبوداتنا في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض.

ولم قلت: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا

وَرِدُّوْكَ ﴿٩٨﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وهذا اللفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها، هذا أقصى ما يقررون به هذه الشبهة التي فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون ويتبشرون.

وهي -ولله الحمد- من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام؛ لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأى شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟

وليس تفضيل عيسى ﷺ، وكونه مقرباً عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، (وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾) يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

وأما قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُّوْكَ ﴿٩٨﴾ [الأنبياء: ٩٨])، فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قوله: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أن «ما» اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح ونحوه.

الثاني: أن الخطاب للمشركين، الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصناماً وأوثاناً.

الثالث: أن الله قال بعد هذه الآية: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ

عَنْهَا مُعَدُّونَ ﴿١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فلا شك أن عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء، داخلون في هذه الآية.



س: هل هناك قراءتان في قوله تعالى: (يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾)، وما هما؟

وما معناهما؟

ج: نعم، هناك قراءتان، قراءة بكسر الصاد (يَصِدُّونَ) أي: يضجون، والأخرى: ﴿يَصُدُّونَ﴾، أي: يُعرضون.

قال الطبري رحمه الله:

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (يَصِدُّونَ)، فقرأته عامة قراء المدينة، وجماعة من قراء الكوفة (يَصُدُّونَ) بضم الصاد. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة (يَصِدُّونَ) بكسر الصاد.

ثم قال رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد، ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك إذا قرئ بالضم والكسر، ولو كان مختلفاً معناه، لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجوداً وجوداً وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله: يضجون ويجز عون، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب.



س: قولهم: (أَمْ هُوَ) إشارة إلى من؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن ذلك إشارة إلى محمد ﷺ، فكان المشركين

تفسير سورة الزخرف

٢٩٥

قالوا: أيريد منا محمدٌ أن نعبدَه؟ فآلهتنا التي نعبدُها خيرٌ من محمد.

وقال غيرهم من أهل العلم: إن (هُوَ) إشارة إلى المسيح عيسى (عليه السلام)،

فقالوا: إن الملائكة التي نعبدُها خيرٌ من عيسى (عليه السلام).

وقال آخرون: إن الأصنام التي نعبدُها خير من عيسى (عليه السلام)، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ما ذكر الكفار كفار قريش المسيح عيسى (عليه السلام) إلا على سبيل المخاصمة بالباطل والجدال بغير حق، فإنهم يعلمون الحق، ويعلمون أن عيسى (عليه السلام) ليس بآله، ولم يرض عيسى (عليه السلام) بأن يُعبد من دون الله، وأن قوله: (وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) [الأنبياء: ٩٨]، عائد على الجُمادات، فـ(ما) هنا لغير العاقل، والمراد بها الأصنام المصنوعة من الحجارة، وقوله: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨) أي: قوم مجادلون بالباطل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨) ... إلى (فِي الْأَرْضِ

يَخْلِفُونَ ٦٠). وقوله تعالى ذكره: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا) يقول تعالى ذكره: ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلاً وخصومة يخاصمونك به ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ يقول جل ثناؤه: ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في حاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ٥٨) يلتصمون الخصومة بالباطل.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا) أي: مرء، وهم يعلمون أنه ليس بوارد

على الآية؛ لأنها لما لا يعقل، وهي قوله: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) [الأنبياء: ٩٨]. ثم هي خطاب لقريش، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يورده، فتعين أن مقاتلهم إنما كانت جدلاً منهم، ليسوا يعتقدون صحتها.



س: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية الكريمة: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا... ﴿٥٨﴾) في

موطن من المواطن. وضح هذا الموطن.

ج: أخرج الطبري وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً، حتى كأنما صبَّ على وجهه الخل، ثم قال رضي الله عنه: «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإنه ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل» ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨] ^(١).



س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا عِبَادُكُمْ عَلَيْهِمْ كَحَمَلُهُ مَثَلًا لِّبَنِي

إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ما المسيح عليه السلام إلا عبدٌ ليس بربٍّ ولا إلهٍ وليس بابنِ الله، تعالى الله عن كل ذلك علواً كبيراً، فما المسيح إلا عبد كسائر العباد لكننا مننا عليه بمنزلة عظيمة منها الإيمان والنبوة والنطق بالعبودية لله وتوحيده في المهد وسائر مننا التي مننا بها عليه كإحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله.. إلى غير ذلك،

(١) الطبري (٣٩٤٠).

وجعلناه مثلاً وبيئاً لبني إسرائيل، ودلالة على قدرتنا على خلق شخص بغير أب، فالحمد لله على كل شيء قدير.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) يقول تعالى ذكره: فما عيسى إلا عبد من عبادنا، أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان، وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل، يقول: وجعلناه آية لبني إسرائيل، وحجة لنا عليهم بإرسالناهم إليهم بالدعاء إلينا، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عن ذلك.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) أي: ما عيسى إلا عبد أنعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلاً لبني إسرائيل أي: آية وعبرة يستدل بها على قدرة الله تعالى فإن عيسى كان من غير أب، ثم جعل إليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه مع أن بني إسرائيل كانوا يومئذ خير الخلق وأحبه إلى الله ﷻ والناس دونهم ليس أحد عند الله ﷻ مثلهم وقيل: المراد بالعبد المنعم عليه محمد ﷺ والأول أظهر.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ

).

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدها: ولو نشاء لجعلنا بدلًا منكم يا بني آدم ملائكة تعبد الله ﷻ في الأرض، يخلف بعضهم بعضًا.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾) [إبراهيم: ١٩-٢٠].

وكذا قوله تعالى: (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾) [الأنعام: ١٣٣].

وكما قال: (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾) [النساء: ١٣٣].

الوجه الثاني: ولو نشاء لجعلنا من جنسكم يا بني آدم، أي: لجعلنا من الإنس ملائكة وإن لم تجر العادة بذلك، والله أعلم.

س: قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ الْإِسْمَاءَ) إشارة إلى ماذا؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن ذلك إشارة إلى عيسى ﷺ ونزوله من السماء، فنزوله من السماء علم على اقتراب الساعة وشرط من أشراتها الكبرى.

بينما ذهب فريق آخر إلى أن ذلك إشارة إلى القرآن ونزوله على رسول الله ﷺ.

والذي أراه صوابًا في هذا المقام هو القول الأول وهو قول الجمهور فالسياق يقتضيه، والله تعالى أعلم.



س: اذكر بعض الوارد في نزول عيسى ﷺ بين يدي الساعة.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الحرب^(٢)، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد^(٣)، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما

(١) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (حديث ١٥٥).

(٢) في بعض روايات «الصحيحين»: «ويضع الجزية»: قال النووي رحمه الله: الصواب في معناه: أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى.

وحكى القاضي عياض رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا، ثم قال: وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية، وهو ضربها على جميع الكفرة، فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها، وانقياد جميع الناس له؛ إما بالإسلام، وإما بالبقاء يد فيضع عليه الجزية ويضربها، وهذا كلام القاضي وليس بمقبول، والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام.

فعلى هذا قد يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله، ولا إكراهه على الإسلام، وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيّد

= بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدلّ على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ.

هذا وقد نقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤٩٢/٦) عن ابن بطال قوله: (وإنما قبلناها أي: الجزية - قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال، بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال، فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد، ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يُعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً والله أعلم).

(٣) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٣٧١/١): (معناه: أن المال يكثر وتنزل البركات،

فيها» (١).

ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].



س: هل صح لقوله تعالى: (﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ... ﴾) سبب نزول؟

ج: لا أعلم لها سبب نزول صحيح، وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق عاصم عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى ابن عقيل قال: قال ابن عباس: لقد علمت آية من القرآن ما سألتني عنها رجل قط، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها، ثم طفق يحدثنا، فلما قام تلاومنا ألا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غداً. فلما راح الغد قلت: يا ابن عباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها، فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها قال: نعم، إن رسول الله صلى

وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم وتقيء الأرض أفلاذ أكبادها كما جاء في الحديث الآخر، وتقل أيضاً الرغبات لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة، فإن عيسى عليه السلام علم من أعلام الساعة. والله أعلم).

(١) قال النووي رحمه الله: (وأما قوله: «حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»، فمعناه، والله أعلم: أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات، لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث. وقال القاضي عياض رحمه الله: معناه: أن أجرها خير لمصلحتها من صدقته بالدنيا وما فيها؛ لفيض المال حينئذ، وهوانه وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد. قال: و«السجدة» هي السجدة بعينها، أو تكون عبارة عن الصلاة. والله أعلم).

الله عليه وعلى آله وسلم قال لقريش: «يا معشر قريش! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير»، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد: ألسنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً، فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم كما تقول، قال: فأنزل الله ﷻ: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾) قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون. (وَأِنَّهُ لَعَلَّمُ لِلسَّاعَةِ) قال: هو خروج عيسى ابن مريم ﷺ قبل يوم القيامة (١).

قلت: وفي سننه أبو يحيى مولى ابن عقيل واسمه مصدع، لم أقف على توثيق معتبر له، وكذا في عاصم -وهو ابن بهدلة- بعض الكلام، وإن كان التعويل في التضعيف على ضعف أبي يحيى.

وفي الصحيحين (٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».

وفي صحيح مسلم (٣) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».

قال: «فينزل عيسى ابن مريم □ فيقول أميرهم: تعال صل لنا؟ فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة».

(١) أحمد (٣١٧/١).

(٢) البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (ص ١٣٦-١٣٧) ترتيب محمد فؤاد، ولمزيد من النظر في بعض الاختلاف على سند هذا الحديث، انظر كتابي: «الصحيح المسند من الفتن والملاحم وأشرط الساعة».

(٣) حديث (١٥٦).

وعند مسلم^(١) أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده؛ ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً، أو ليثتينهما».

وقوله: «ليثتينهما» أي: ليقرن بينهما. قال النووي: (وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان، وأما: «فج الروحاء» فبفتح الفاء وتشديد الجيم، قال الحافظ أبو بكر الحارثي: هو بين مكة والمدينة. قال: وكان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع).

وعند الإمام أحمد^(٢) بسند حسن عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات^(٣)، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران^(٤)،

(١) مسلم (١٢٥٢).

(٢) أحمد (٤٠٦/٢).

(٣) في رواية: «والأنبياء أولاد علات»: قال الحافظ في «الفتح»: (و«العلات» بفتح المهملة: الضرائر، وأصله: أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علّ منها، و«العلل»: الشرب بعد الشرب، و«أولاد العلات»: الإخوة من الأب وأمهم شتى، وقد بينه في رواية عبد الرحمن فقال: «أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، وهو من باب التفسير، كقوله تعالى: ﴿إِذَا لَئِن خُلِقَ مَلُوعًا﴾ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) [المعارج: ١٩-٢١]. ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزممتهم مختلفة.

(٤) قال الخطابي: (قال الشيخ: «الممصر من الثياب»: الملون بالصفرة، وليست صفوته بالمشبعة.

= وفي «اللسان» - نقلًا عن أبي عبيد - قال: الثياب الممصرة التي فيها شيء من صفرة ليست بالكثيرة. وقال شمر: «الممصر من الثياب»: ما كان مصبوغًا فغسل. وقال أبو سعيد:

كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمانة^(١) على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

وعند أحمد^(٢) بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ □

أنه قال: «إني لأرجو إن طال بي عُمر؛ أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام، فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام».

وعند مسلم أيضاً من حديث النّوّاس بن سميان^(٣) قال: ذكر رسول

الله ﷺ الدجال ذات غداة فحَقَّض فيه ورفع^(٤)، حتى ظنناه في طائفة

«التمصير في الصبغ»: أن يخرج المصبوغ مبقعاً لم يستحكم صبغه، و«التمصير في الثياب»: أن تتمشق ثخرًا من غير بلّ، وفي حديث عيسى عليه السلام: «ينزل بين مصرتين، الممصرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة»، ومنه الحديث: «أتى عليّ طلحة رضي الله عنهما وعليه ثوبان ممصران».

(١) الأمانة، أي: الأمان.

(٢) (٢٩٨/٢)، وقد روي من وجه آخر موقوفًا والمرفوع سنده صحيح أيضاً.

(٣) مسلم (٢١٣٧) ص ٢٢٥٠.

(٤) قوله: «فحَقَّض فيه ورفع»، قال النووي - رحمه الله -: (هو بتشديد الفاء فيهما، وفي معناه قولان: أحدهما: أن حَقَّض بمعنى: حَقَّر، وقوله: «رفع» أي: عَظَّمه وفخمه، فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره، منه قوله ﷺ: «هو أهون على الله من ذلك»؛ وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، و«أنه ما من نبي إلا وقد أنذر قومه».

والوجه الثاني: أنه حَقَّض من صوته من حال الكثرة فيما تكلم فيه، فخفض بعد طول الكلام

النخل، فلما رحنا عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟»، قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداةً فحَقَّضْتَ فيه ورفعتَ، حتى ظنناه في طائفة النخل؟ فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم^(١)»، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامروا حجيح نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين^(٢) الشام

والتَّعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد).

(١) نقل النووي - رحمه الله - عن شيخه الإمام أبي عبد الله بن مالك قوله: (وأما معنى الحديث: ففيه أوجه، أظهرها: أنه من أفعال التفضيل، وتقديره: «غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم» ثم حذف المضاف إلى الياء، ومنه: «أخوف ما أخاف على أمتي: الأئمة المضلون» معناه: أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون. والثاني: بأن يكون «أخوف من أخاف» بمعنى: خوف، ومعناه: غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم.

والثالث: أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة، كقولهم في الشعر الفصيح: «شعر شاعر»، و«خوف فلان أخوف من خوفك»، وتقديره: خوف غير الدجال أخوف خوفي عليكم، ثم حذف المضاف الأول ثم الثاني). هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله.

وقوله: «إنه شاب قطط»: أي: شديد جعودة الشعر، مباعدا للجعود المحبوبة.

(٢) قال النووي: (هكذا في نسخ بلادنا «خلة» بفتح الخاء المعجمة واللام وتثوين الهاء، وقال القاضي: المشهور في «حلة» بالحاء المهملة ونصب التاء، يعني: غير منوثة، قيل: معناه: سمت ذلك وقبالتة.

وفي كتاب «العين»: الحلة موضع حزن وصخور، قال: ورواه بعضهم: «حلة» بضم اللام وبهاء الضمير، أي: نزوله وحلوله.

قال: وكذا ذكره الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» قال: وذكره الهروي: «خلة» بالحاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحين، وفسَّره: بأنه ما بين البلدين. هذا آخر ما ذكره القاضي، وهذا الذي ذكره عن الهروي هو الموجود في نسخ بلادنا، وفي «الجمع بين الصحيحين» أيضاً

والعراق، فعاث^(١) يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعونًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره»^(٢)، قلنا: يا رسول الله؛ وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم طول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعًا، وأمدّه خواصر^(٣)، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم

ببلادنا، وهو الذي رجّحه صاحب «نهاية الغريب» وفسّره بالطريق بينهما».

(١) قال النووي: (الغيث: الفساد أو أشد الفساد، والإسراع فيه).

(٢) قال عياض: (هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا: ولولا هذا الحديث وولكلنا إلى اجتهدنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام).

ومعنى: «اقدروا له قدره»: أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها.

وأما الثاني الذي كالشهر والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كالיום الأول على ما ذكرناه، والله أعلم.

(٣) قوله: «تروح». معناه: «ترجع»، والسارحة: هي المشاية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعي.

وأما «الذرى»: فبضم الذال المعجمة، وهي: الأعالي، و«الأسنمة»: جمع ذروة بضم الذال وكسر ها.

وقوله: «وأسبغه» بالسین المهملة والغین المعجمة، أي: أطوله، لكثرة اللبن، وكذا «أمدّه

فيصبحون محملين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيحاسب النحل^(١)، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض^(٢)، ثم يدعوهم فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء - شرقي دمشق بين مهرودتين^(٣) - واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ^(٤)، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه^(٥)، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان^(٦) لأحدٍ بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله ياجوج

خواصر» لكثرة امتلائها من الشبع.

(١) قوله: «كيحاسب النحل»: هي ذكور النحل، هكذا فسّره ابن قتيبة وآخرون، قال القاضي: المراد: جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كئى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته، والله أعلم.

(٢) «جزلتين» أي: قطعتين، ومعنى: «رمية الغرض»: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته.

(٣) وأما «المهرودتان»: فروي بالبدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور، ومعناه: لابس مهرودتين، أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران. وقيل: هما شقتان، و«الشقة»: نصف الملاءة.

(٤) «الجمان» بضم الجيم وتخفيف الميم، هي: حبات من الفضة، تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسُمّي الماء جمائاً لشبهه في الصفاء.

(٥) أي: قد عصمهم الله من الدجال.

(٦) «اليدان» تشبيه يد، قال العلماء: معناه: لا قدرة ولا طاقة، يقال: «ما لي بهذا الأمر يد وما لي به

ومأجوج، وهم من كل حذب ينسلون، فيمر أوائهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماءً^(١). ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه^(٢) فيرسل الله عليهم النعف^(٣) في رقابهم، فيصبحون فرساً^(٤) كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى، وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتاجهم^(٥)، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر^(٦)، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة^(٧)، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ

يدان»؛ لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان بعجزه عن دفعه، ومعنى «حرزهم إلى الطور» أي: ضمهم واجعله لهم حرزاً.

(١) في رواية لمسلم بعد قوله: «ماء»: «... ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر - وهو جبل ببيت المقدس - فيقولون: قد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء - أي: بسهامهم - فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً».

قال النووي في شرح «جبل الخمر» قال: (والخمر هو الشجر الملفف الذي يستتر من فيه وقد فسره في الحديث: «بأنه جبل بيت المقدس»).

(٢) أي: يرغبون إلى الله، يدعون الله عز وجل.

(٣) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٤) «فرس»: أي قتلى.

(٥) «الزهم والنتن»: أي: الدسم والرائحة الكريهة.

(٦) أي: لا يمنع من نزول المطر بيت المدر، وهو الطين الصلب، و«ولا وبر»: وهو الخيام المصنوعة من وبر الأنعام.

(٧) قال النووي: (الزلفة: بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وروى «الزلفة» بفتح الزاي واللام

تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها^(١)، ويبارك الله في الرسل، حتى إن اللقحة^(٢) من الإبل لتكفي الفنام^(٣) من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ^(٤) من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر^(٥)، فعليهم تقوم الساعة». صحيح.

وعند مسلم^(٦) أيضاً من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق^(٧)، فيخرج إليهم جيش

وبالفاء، وقال القاضي: روي بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها وكلها صحيحة، قال في «المشارك»: والزاي مفتوحة، واختلفوا في معناه، فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: كالمرأة، وحكى صاحب «المشارك» هذا عن ابن عباس أيضاً شبهها بالمرأة في صفائها ونظافتها. وقيل: كمصانع الماء، أي: أن الماء يستتفع فيها، حتى يصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيد: معناه كالإجانة الخضراء، وقيل: كالصحفة، وقيل: كالروضة.

(١) القحفة: هي مقعر القشر شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل.

(٢) «اللقحة»: القرية العهد بالولادة، و«اللقوح»: ذات اللبن وجمعها لقاح.

(٣) «الفنام»: الجماعة الكثيرة من الناس.

(٤) «الفخذ»: هم الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة. نقله النووي عن أهل اللغة، ونقل عن عياض أنه قال: قال ابن فارس: الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال

إلا بإسكانها، بخلاف الفخذ التي هي العضو فإنها تكسر وتسكن.

(٥) «يتهارجون تهارج الحمر»: أي: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكثر ثون لذلك، و«الهرج» بإسكان الراء: الجماع، يقال: هرج زوجته أي: جامعها، يهرجها بفتح الراء وضمها وكسر ها.

(٦) مسلم (٢٨٩٧).

(٧) «الأعماق»، و«دابق»: موضعان بالشام بقرى حلب.

من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم.

فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي بينكم وبين إخواننا.

فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية^(١) فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون؛ وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لاذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته».

ولمزيد راجع تفسيرنا لقول الله تعالى: (وَأَن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) [النساء: ١٥٩]، وكذا كتابي الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراف الساعة.



س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَأَنَّهُ لَعَلَّ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) (٦١).**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن نزول عيسى عليه السلام لدليل على

(١) هي مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم.

اقتراب يوم القيامة فلا تشكوا في وقوعها فإنه آتٍ لا محالة، واتبعون فيما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم عنه، فهذا هو الطريق المستقيم الذي يوصلكم إلى جنتي ومرضاتي ألا وهو طاعتي واتباع رسلي.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (٦٢).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولا يصرفنكم الشيطان، ولا يبتعدن بكم عن طريقي وعن طاعتي واتباع رسلي، فإن الشيطان لكم عدوٌّ مظهرٌ لكم عن عداوته.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) ﴿٦٢﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما أمركم وأنهاكم، فتخالفوه إلى غيره، وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾) يقول: إن الشيطان لكم عدوٌّ يدعوكم إلى ما فيه هلاككم، ويصدكم عن قصد السبيل، ليوردكم المهالك، مبين قد أبان لكم عداوته، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم، وإدلائه بالغرور حتى أخرجهم من الجنة حسداً وبغياً.



س: كيف قيل: (وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ)، ولم يقل: كل الذي

تختلفون فيه؟

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بأجوبة:

أحدها: أنهم كانوا يختلفون في الأمور الدينية والدنيوية، فبين لهم ما اختلفوا فيه من أمر الدين، والله أعلم.

الثاني: أنه بيّن لهم بعض المسائل التي اختلفوا فيها وسألوا عنها، وسكت عن الأشياء التي لم يسألوا عنها - وأرى هذا بعيداً.

الثالث: أن ﴿بَعْضُ﴾ هنا بمعنى كل، وذلك كما في الآية الكريمة: (يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) [غافر: ٢٨].



س: اذكر بعض هذا الذي كانوا يختلفون فيه.

ج: من أعظم ذلك أن بعضهم بدّل ما في التوراة فتنازعوا بعده في وجوه الحق والصواب من التوراة، والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ

جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي) (١٧).

ج: المعنى، والله أعلم، ولما جاء عيسى عليه السلام كرسول من ربه ﷻ إلى بني إسرائيل بالحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات لبني إسرائيل، قال لهم: قد جئتكم بالنبوة فقد أرسلني الله إليكم، وكذا جئتكم بكل طيب وجميل، وكل ما يدفع إلى الجميل وينهى عن القبيح، وكذا جئتكم بالإنجيل، وجئتكم لأظهر لكم الصواب من وجوه الاختلافات فاتقوا الله ولا تشركوا

به شيئاً ولا تتركبوا ما حرّمه عليكم وأطيعوني فيما أمركم به.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: ولما جاء عيسى بنى إسرائيل بالبينات، يعني بالواضحات من الأدلة. وقيل: عني بالبينات: الإنجيل.

وقال أيضاً:

وقوله: (وَلَا يُؤَيِّنْ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) يقول: ولأبين لكم معشر بني إسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة.

وقال كذلك:

وقوله: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) يقول: فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته، وخافوه باجتناب معاصيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره، وقبول نصيحتي لكم.



س: وضح معنى قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ).

ج: المعنى، والله أعلم، إن الله هو ربي وربكم الذي يستحق أن يُعبد ولا يشرك به أحدٌ، فاعبدوه فهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه، الطريق الذي إذا سلكتموه أوصلكم إلى جنات الله ومرضاته. فعبادة الله وحده لا شريك له هي الطريق المستقيم وما سواه معوج لا يؤدي إلى خير.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ) يقول: إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له، ربي وربكم جميعاً، فاعبدوه وحده،

لا تشكروا معه في عبادته شيئاً، فإنه لا يصلح، ولا ينبغي أن يعبد شيء سواه.

وقوله: (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾) يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي، وإفراد الله بالألوهة، هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره.



س: اذكر بعض الآيات التي ذكر فيها عيسى عليه السلام عبوديته لله ﷻ.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله: (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾) [آل عمران: ٥١].

وقوله في المهد: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا

كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾) [مريم: ٣٠-٣١].

وقول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾) [المائدة: ١١٦-١١٧].

إلى غير ذلك من الآيات.

قال الله تعالى:

(فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ
الْيَمِّ ٦٥ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ٦٦ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا
الْمُتَّقِينَ ٦٧ يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ
٦٨ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ٦٩ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ
أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَكْوَابٍ فِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ٧١ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ٧٣)

[الزخرف: ٦٥-٦٥]

[٧٣]

وضح معنى ما يلي:

﴿الْأَحْزَابُ - مِنْ بَيْنِهِمْ^ط - ظَلَمُوا - أَلِيمٌ - يَنْظُرُونَ - السَّاعَةَ - بَغْتَةً -
الْأَخِلَاءُ - وَأَزْوَاجُهُمْ - تُحِبُّونَ - بِصِحَافٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(الْأَحْزَابُ)	اليهود والنصارى - أحزاب النصارى المختلفين في عيسى ﷺ
(مِنْ بَيْنِهِمْ ^ط)	فيما بينهم
(ظَلَمُوا)	أشركوا - زعموا أن عيسى هو ابن الله أو زعموا أنه الله أو قالوا: إن الله ثالث ثلاثة
(أَلِيمٌ)	مؤلم موجه
(يَنْظُرُونَ)	ينتظرون - يتوقعون
(السَّاعَةَ)	يوم القيامة
(بَغْتَةً)	فجأة
(الْأَخِلَاءُ)	الأصدقاء الذين بينهم صداقة شديدة عظيمة
(وَأَزْوَاجُهُمْ)	أمثالك - نظراؤكم
(تُحِبُّونَ)	تُتَعَمَّونَ - تَكْرُمُونَ - تُسَرُّونَ (من السرور)
(بِصِحَافٍ)	جمع صحفة، وهي القصعة



س : من الأحزاب الذين اختلفوا؟ وفي أي شيء اختلفوا؟

ج: أما الأحزاب ففيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى.

الثاني: أنهم المختلفون في شأن عيسى عليه السلام.

أما الذي اختلفوا فيه فمنه ما يلي:

- * اختلفهم في عيسى عليه السلام ، فقالت فرقة يُقال لها النسطورية: إنه ابن الله، وقالت فرقة يُقال لها اليعقوبية: هو الله، وقالت فرقة يُقال لها الملكية: إنه ثالث ثلاثة. ذكر ذلك عنهم القرطبي في تفسيره.
- * وكذا اختلفوا هل هو رسول من عند الله كما قال بذلك أهل الإيمان أم هو ليس برسول بل ساحر كما قالت اليهود.
- * واختلفوا في البيئات التي جاء بها عيسى عليه السلام ، فأقرت بها أقوام، وقال آخرون: إن هذا إلا سحرٌ مبين.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ

٦٥).

ج: أما الويل ففيه للعلماء قولان:

أحدهما: أنه وعيد بالعذاب الشديد.

الثاني: أنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار، وقد وردت بذلك

بعض الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما عن معنى الآية الكريمة: فالعذاب الشديد، والذي منه - وادٍ في

جهنم يسيل إليه صديد أهل النار - قد أعد للذين ظلموا أنفسهم بقولهم على

الله بغير علم وادعائهم أن عيسى عليه السلام ابن الله أو أنه الله أو أنه ثالث ثلاثة، وكذا الذين ظلموا أنفسهم بالافتراء على عيسى وتكذيبه ووصفه بأنه ساحر وكذاب، ويل لهؤلاء من عذاب مؤلم موجع يوم القيامة.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾) يقول تعالى ذكره فالوادي السائل من القبح والصدید في جهنم للذين كفروا بالله، الذين قالوا في عيسى ابن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه في هذه الآية (مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾) يقول: من عذاب يوم مؤلم، ووصف اليوم بالإيلام؛ إذ كان العذاب الذي يؤلمهم فيه، وذلك يوم القيامة.



س: وضح معنى قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ماذا ينتظر هؤلاء المعرضون عن توحيد الله القائلون في عيسى ابن مريم عليه السلام ما لم يقله الله، ماذا ينتظرون، هل ينتظرون إلا مجيء القيامة أن يحلّ لهم، فحلّوه مفاجئ ومجيئه مفاجئ يأتيهم فجأة وهم غير متنبهين ولا غير متفطنين له.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) يقول: هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى ابن مريم، القائلون فيه الباطل من القول، إلا الساعة التي فيها تقوم القيامة فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾) يقول: وهم

لا يعلمون بمجيئها.

MOSTAFAALADWY.COM

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يقول تعالى: هل ينتظر هؤلاء المشركون المذبذبون للرسول (إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾)؟ أي: فإنها كائنة لا محالة وواقعة، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين؛ فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها، فحينئذ يندمون كل الندم؛ حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والأصدقاء الذين تصادقوا في الدنيا على غير طاعة الله بل على معصيته هؤلاء يوم القيامة يتعادون ويتلاعنون إلا من تصادقوا على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فإنهم أخلاء وأصدقاء في الدنيا والآخرة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: المتخالون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا، بعضهم لبعض عدو، يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾) أي: كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله ﷻ فإنه دائم بدوامه. وهذا كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: (إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَنُ

بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَيْكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرٍ ﴿٢٥﴾ [العنكبوت: ٢٥].

س: وضع معنى قوله: (يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) ﴿٢٨﴾

ج: المعنى، والله أعلم، متعلق بما قبله.

فقوله: (إِلَّا الْمُتَّقِينَ) ﴿٢٧﴾ أي: إلا المتقين فلا يتعادون يوم القيامة بل يُقال

لهم: (يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) ﴿٢٨﴾ لا خوف عليكم مما هو آتٍ، ولا تحزنون على ما قد مرَّ وفات.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) ﴿٢٨﴾ وفي هذا الكلام

محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه. ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإنني قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها.



س: وضع معنى قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) ﴿٢٦﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن المتقين الذين لا يتعادون يوم القيامة لا

يُعَادِي بعضهم بعضًا هم الذين صدقوا بآيات الله ﷻ وأعلنوا عن هويتهم ووجهتهم، فاستسلموا لله ﷻ وشهدوا ألا إله إلا الله، فهو لاء يؤمنهم الله ﷻ.

هذا، ومن العلماء من ذهب إلى وجه آخر لتعلق الآية بما قبلها، فقال

ما حاصله: إن الله ﷻ لما قال: (يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ

﴿٢٨﴾) تطلعت كل النفوس لرحمة الله ﷻ وطمعت فيها يوم القيامة، فإذا قال

تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٦﴾) نُكْسِتَ رُؤُوسَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَأَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا) يقول تعالى ذكره: يا عبادي الذين آمنوا وهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله، وعملوا بما جاءتهم به رسلم، وكانوا مسلمين، يقول: وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم، وقبول منهم لما جاءتهم به رسلم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، حنفاء، لا يهود ولا نصارى، ولا أهل أوثان.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾).**

ج: المعنى، والله أعلم، ادخلوا يا أهل النقي يا من تخاللتم في الله واجتمعتم في الدنيا على طاعته وعلى طاعة رسوله ﷺ، ادخلوا يا هؤلاء الجنة التي أعدها الله لكم أنتم وأمثالكم ونظراؤكم تنعمون فيها بما تريدون.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا**

مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، يطوف على أهل الجنة وأزواجهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون، كما قال تعالى: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ (الطور: ٢٤)، يطوفون حاملي الصحف من ذهب، في تلك الصحف ما تشتهيه النفوس وتُسَرُّ به الأعين وتستلذ ويقال لهم كي يطمئنوا

وأنتم فيها خالدون: لا تتحولون عنها ولا تزولون، ولا تُبعدون عنها ولا تخرجون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته في الدنيا إذا دخلوا الجنة في الآخرة بصحاف من ذهب، وهي جمع للكثير من الصفحة، والصفحة: القصعة.

وقال أيضاً:

ومعنى الكلام: يطاف عليهم فيها بالطعام في صحاف من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب، فاستغنى بذكر الصحاف والأكواب من ذكر الطعام والشراب، الذي يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) يقول تعالى ذكره: لكم في الجنة ما تشتهي نفوسكم أيها المؤمنون، وتلذ أعينكم ﴿وَأَشْرَفَ فِيهَا خَلْدُوكَ﴾ (٧١) يقول: وأنتم فيها ماكنون، لا تخرجون منها أبداً.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ (٧٢)).

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: وهذه الجنة التي أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم في الدنيا تعملون من الخيرات. (لَكُمْ فِيهَا) يقول: لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع (مِنْهَا تَأْكُلُونَ) (٧٢) يقول: من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتم.



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (وَيْلَكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾)، وبين قوله □: «لا يدخل أحدكم عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن دخول الجنة أولاً برحمة الله ﷻ، ثم الترقي في الدرجات يتأتى بفضل الله، ثم بالأعمال.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قد قدمنا الكلام على هذه الآية الكريمة، ونحوها من الآيات الدالة على أن العمل سبب لدخول الجنة كقوله تعالى: (وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾) [الأعراف: ٤٣]، وقوله تعالى: (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾) [مريم: ٦٣]، وقوله تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾) [السجدة: ١٧].

وبينا أقرب أوجه الجمع بين هذه الآيات الكريمة وما بمعناها، مع قوله □: «لن يدخل أحدكم عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»^(١).

وذكرنا في ذلك أن العمل الذي بينت الآيات كونه سبب دخول الجنة هو العمل الذي تقبله الله برحمة منه وفضل، وأن العمل الذي لا يدخل الجنة هو الذي لم يتقبله الله.

والله يقول: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾) [المائدة: ٢٧].

(١) البخاري (٦٤٦٣)، (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٦)، (٢٨١٧)، (٢٨١٨)، وله عدة طرق وألفاظ صحيحة عن رسول الله ﷺ.



MOSTAFAALADWY.COM

قال الله تعالى:

(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَمْرُؤْنَا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

﴿٨٩﴾ [الزخرف: ٧٤-٨٩]

س: وضع معنى ما يلي:

(لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ - مُبْلِسُونَ - لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ - مَكَثُونَ - بِالْحَقِّ - أَتْرَمُوا - مُبْرِمُونَ - وَنَجَّوْنَهُمْ - وَرُسُلَنَا - سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - فَذَرَهُمْ - يَخُوضُوا - يُوعَدُونَ - إِلَهُ - وَتَبَارَكَ - عِلْمُ السَّاعَةِ - فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ - وَقِيلَهُ - فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ).

ج:

معناها	الكلمة
لا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ	(لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ)
أيسون من رحمة الله - آيسون من زوال عذاب الله	(مُبْلِسُونَ)
لِيُؤْتِنَا رَبُّكَ - لِيَتُوفَانَا رَبُّكَ - لِيَقْبِضَ أَرْوَاحَنَا	(لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ)
ماكثون في العذاب - لا تموتون	(مَكَثُونَ)
بالقرآن - بالنبى عليه الصلاة والسلام	(بِالْحَقِّ)
أحكموا أمراً - رتبوا أمراً - دبروا أمراً (يكيدون به أهل الإسلام)	(أَتْرَمُوا)
محكمون أموراً - مجمعون أموراً - مرتبون أموراً	(مُبْرِمُونَ)
ما يتحدثون به فيما بينهم سرّاً عن سائر الناس	(وَنَجَّوْنَهُمْ)
ملائكتنا - الكتبة الحفظة	(وَرُسُلَنَا)
تنزه رب السموات والأرض	(سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)
اتركهم - دعهم	(فَذَرَهُمْ)
يمضوا فيما هم فيه من الباطل	(يَخُوضُوا)

تفسير سورة الزخرف

٣٢٧

يُخْبِرُونَ بانه آتٍ	(يُوعَدُونَ)
معبود	(إِلَهُ)
تعظيم - تمجّد - تكاثر الخير الوارد لعباده منه وازدادت نعمائه	(وَبَارَكَ)
العلم بوقت قيام الساعة - العلم بيوم القيامة متى هو	(عَلَّمَ السَّاعَةَ)
من أي وجه يُصرفون عن الحق إلى الباطل	(فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)
قوله وشكواه	(وَقِيلِهِ)
فأعرض عنهم	(فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ)



س: **وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) (٧٤) لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦).**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الذين ارتكبوا جريمة الكفر بالله والشرك بالله في دنياهم وماتوا على ذلك، مصيرهم يوم القيامة إلى النار - إلى عذاب جهنم لا يتحولون عنه ولا يزولون ولا يخفف عنه ذلك بالعذاب، بل هم آيسون من رحمة ربهم، مستمرون في ما هم فيه من العذاب، ونحن ما ظلمناهم فإن الله ليس بظلام للعبيد، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم، وبخسوها حقها من الأمان بما اجترموه من الشرك والكفران.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ) وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر

بالله، فاجتروا به في الآخرة (فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾) يقول: هم فيه ماكثون.

لا يفتر عنهم، يقول: لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور: الضعف (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾) يقول: وهم في عذاب جهنم مبلسون، والهاء في فيه من ذكر العذاب. ويذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (وهم فيها مبلسون) والمعنى: وهم في جهنم مبلسون، والمبلس في هذا الموضع: هو الأيس من النجاة الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء.

وقال أيضاً:

وقوله: (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾) يقول تعالى ذكره: وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾) بعبادتهم في الدنيا غير من كان عليهم عبادته، وكفرهم بالله، وجحودهم توحيد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

لما ذكر حال السعداء، ثنى بذكر الأشقياء، فقال: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ) أي: ساعة واحدة (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾) أي: آيسون من كل خير، (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾) أي: بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجج عليهم وإرسال الرسل إليهم، فكذبوا وعصوا، فجوزوا بذلك جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾) لما ذكر أحوال أهل الجنة ذكر أحوال أهل النار أيضاً ليبين فضل المطيع على العاصي (لَا يُفْتَرُ

تفسير سورة الزخرف

عَنْهُمْ) أي: لا يخفف عنهم ذلك العذاب (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾) أي: آيسون من الرحمة وقيل: ساكتون سكوت يأس وقد مضى في الأنعام (وَمَا ظَلَمْتَهُمْ) بالعذاب (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾) أنفسهم بالشرك ويجوز (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾) بالرفع على الابتداء والخبر والجملة خبر كان.

س: من مالك الذي نادوه بقولهم: (يَمْلِكُ لِقَضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ).

ج: مالك هو خازن النار.



س: هل ثبت شيء في أن مالكًا خازن النار ما أجابهم إذا قالوا: (يَمْلِكُ)

لَيَقُضَ عَلَيْكَ بِقَوْلِهِ: (إِنْ كُنْتُمْ كُفْرًا فَهُوَ أَلْفٌ سَنَةٌ) إِلَّا بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ؟

ج: لم أقف في ذلك على نصٍّ صحيح عن رسول الله ﷺ، والله أعلم.

ثم إن الأقوال قد اختلفت في وقت إجابته لهم، وكم كان بين قوله: (إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ ﴿٧٧﴾) وطلبهم، والله أعلم.



س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَا يَمْلِكُ لَكُمْ لِيَفْضَ عَلَّانِيَّتُكَ قَالَ**

إِنَّكُمْ مَلِكُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرهُونَ ﴿٧٨﴾

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل النار من شدة ما هم فيه من

العذاب والنكال ینادون مالگًا خازن النار کی یستریحوا مما هم فیہ من

العذاب، فيقولون: يا مالِك اسأل ربك ﷺ أن يُميتنا فيجيبهم مالِك بقوله:

(إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ) أي: في العذاب لا تموتون، ثم يبين سبب ذلك بقوله: (لَقَدْ جِئْتَكُمْ

بِالْحَقِّ) أي: بالقرآن وبمحمد عليه الصلاة والسلام، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ

(٧٨) ومكذبون بهذا القرآن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال: (لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ) أي: بيناه لكم ووضحناه وفسرناه، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (٧٨) أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه، وتصعد عن الحق وتأباه، وتبغض أهله، فعودوا على أنفسكم بالملامة، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة.



س: ما سبب مكثهم في النار؟

ج: سببه رفضهم للحق كما أوضحته الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: (لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ) (٧٨).



س: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: (وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ) قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ (٧٧) في موطن من المواطن. وضحه.

ج: تلاها رسول الله ﷺ على المنبر ففي صحيح (١) البخاري من حديث صفوان بن يعلى عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر: (وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ).



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في شأن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ج: من ذلك ما يلي:

(١) البخاري (٤٨١٩).

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «...ورأيت مالكا خازن النار» ^(١) (يعني: «ليلة أسري به»).

وفي مسلم ^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ. وفي قصة الإسراء والمعراج -: «فلما فرغت من الصلاة قال قائل: هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام».

وعند البخاري ^(٣) من حديث سمرة بن جندب في الرؤيا المنامية التي رآها رسول الله ﷺ وفيها: «فانطلقنا فأتينا على رجل كرية المرآه كأكره ما أنت راء رجلاً مرآة، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها....» الحديث وفيه: «فإنه مالك خازن جهنم».



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَمِنْ أَمْراً مَّكْرُومٌ) (٧٦).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أم أبرم هؤلاء المشركون أمراً أي: أم دبروا أمراً يكيدون به الإسلام وأهله، ويكيدون به رسول الله ﷺ، فإننا مدبرون أموراً نكيدهم بها ونبطل بها سعيهم، كما قال تعالى: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا) ^(١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا ^(١٦) [الطارق: ١٥-١٦]، وقال تعالى: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ) ^(٢٠).

[الاحفال: ٣٠]

قال الطبري رحمه الله:

(١) البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥).

(٢) مسلم (١٧٣).

(٣) البخاري (٧٠٤٧).

يقول تعالى ذكره: أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمراً فأحكموه، يكيدون به الحق الذي جنأهم به، فإنما محكمون لهم ما يخزيهم، ويذلهم من النكال.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال تعالى: (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٦﴾) قال مجاهد: أرادوا كيد شرٍّ فكدناهم.

وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرَؤٌ مَكْرَؤٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ٥٠)، وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه، فكادهم الله، ورد وبال ذلك عليهم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: (أَمْ أَبْرَمُوا) أي: أبرم المكذبون بالحق المعاندون له (أَمْراً) أي: كادوا كيدا، ومكروا للحق ولمن جاء بالحق، ليحضوه، بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق، (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) أي: محكمون أمراً، ومدبرون تدبيراً يعلو تدبيرهم، وينقضه ويبطله، وهو ما قبيضه الله من الأسباب والأدلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال تعالى: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ) ﴿٥٠﴾.



س: هل صح لقوله تعالى: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) سبب

نزول؟

ج: لا أعلم لها سبب نزول صحيح.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا**

لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفيظن هؤلاء الذين يتآمرون للكيد للإسلام وأهله ويتربصون بالمؤمنين الدوائر، أفيظن هؤلاء أن الله ﷻ يغفل عن صنيعهم وعن مكرهم وعن كيدهم للإسلام وأهله، كلا، بل الله ﷻ عليم بأمورهم يعلم ما أضمره في نفوسهم، وما يتساررون به فيما بينهم، وكذا فالله ﷻ له ملائكة موجودون عند هؤلاء الكفار كشهود عليهم يكتبون أعمالهم أولاً بأول كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ وكما قال: (وَأَنَّ عَلَيْنَا لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾) [الأنفطار: ١٠-١١]، وكما قال: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾) [ق: ١٨].

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) يقول: أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقتهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا.

وقوله: (بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾) يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سر كلامهم، وحفظتنا لديهم - يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾)**.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

القول الأول: قل يا رسول الله لأهل الشرك ولغيرهم: لو فرض أن الرحمن ﷻ كان له ولدٌ - وهذا مستحيل - لكنت أنا أول العابدين.

وفي العابدين قولان:

أحدهما: العابدون لله، أي: أول العابدين لله على هذا الوصف بأن له ولدًا.

الثاني: العابدون لذلك الولد.

وهذا القول الأول هو اختيار الطبري رحمه الله، فقد قال بعد أن أورد عدة أقوال:

فبينة صحة ما تقول من أن معنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبدُه بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له.

وإذا وجه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحسن الخطاب، كما قال جلّ ثناؤه (وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾) [سجدة: ٢٤].

وقد علم أن الحق معه، وأن مخالفه في الضلال المبين.

قال السعدي رحمه الله في تيسير الكريم الرحمن:

أي: قل يا أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولدًا، وهو الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحد. (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾) لذلك الولد؛ لأنه جزء من والده، وأنا أول الخلق انقيادًا للأمور المحبوبة لله، ولكني أول المنكرين لذلك، وأشدّهم له نفياً، فعلم بذلك بطلانه، فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل،

وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير فهم أول الناس سبقًا إليه وتكميلًا له، وكل شر فهم أول الناس تركًا له وإنكارًا له وبعدًا منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، أفضل الرسل أول من عبده، ولم يسبقه إليه المشركون.

ويحتمل أن معنى الآية: لو كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين لله، ومن عبادتي لله، إثبات ما أثبتته، ونفي ما نفاه، فهذا من العبادة القولية الاعتقادية، ويلزم من هذا، لو كان حقًا، لكنت أول مثبت له، فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين وفسادها، عقلاً ونقلاً.

(سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْمَرْشَعَمَايَصْفُونَ ﴿٢٤﴾ من الشريك والظهير، والعوين، والولد، وغير ذلك، مما نسبه إليه المشركون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

وقيل: المعنى: قل: يا محمد إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد ولده ولكن يستحيل أن يكون له ولد وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت بالدليل فأنا أول من يعتقد هذه مبالغة في الاستبعاد أي: لا سبيل إلى اعتقاده وهذا ترقيق في الكلام كقوله: (وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾) [سبأ: ٢٤]، والمعنى على هذا: فأنا أول العابدين لذلك الولد لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: (قُلْ) يا محمد: (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوْلَى الْعَبِيدِ ﴿٢١﴾) أي: لو فرض هذا لعبدته على ذلك؛ لأنني عبد من عبيده، مطيع لجميع ما يأمرني

به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته، فلو فرض كان هذا، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً، كما قال تعالى: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾) [الزمر: ٤].

القول الثاني: حاصله أن (إن) بمعنى (ما) النافية، فيكون المعنى: قيل يا رسول الله هؤلاء المشركين ولغيرهم من الذين زعموا أن الله ﷻ له ولد ما كان للرحمن من ولد. ويكون هنا وقف تام، أي: أن المعنى قد تم، ثم ابتداء كلاماً آخر بقوله: (فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾) أي: فأنا أول من وُحِّد الله وعبدته، أي: في زمني.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾) اختلف في معناه فقال ابن عباس ^(١) والحسن والسدي: المعنى ما كان للرحمن ولد فـ(إن) بمعنى ما ويكون الكلام على هذا تاماً، ثم تبتدىء: (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾) أي: الموحدين من أهل مكة على أنه لا ولد له والوقف على (أَوَّلَ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾) تام.

القول الثالث:

مبني على تأويل العابدين بـ(الأنفين الممتنعين)، فيكون المعنى: قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول الأنفين الممتنعين عن عبادة شخص له ولد،

^(١) والسند الذي وقفت عليه عن ابن عباس فيه نظر، ولفظه عند الطبري أيضاً: ولم يكن للرحمن ولدٌ فأنا أول الشاهدين. أخرجه الطبري (٣١٠٠٧)، وفي سنده ضعف، والمنقول عن السدي: لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولداً ولكن لا ولد له. أخرجه الطبري (٣١٠١٢).

ولكن لا ولد لله ﷻ.

هذا، وهنالك أقوالٌ آخر، وأرجح الأقوال فيما أرى -والله أعلم- القول الأول لتمشيه مع ظاهر الآية الكريمة، ثم إن الله سبحانه وتعالى نزه نفسه عن ذلك إذ قال بعدها: (سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾)، والله أعلم.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا**

يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾).

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- تنزه ربنا رب السموات والأرض رب العرش العظيم عما يصفه به الواصفون المشركون الكاذبون والمنكرون الجاحدون -تعالى الله ﷻ عن أن يكون له ولد- وتنزه ربنا رب السموات والأرض رب العرش العظيم عن كل ما لا يليق به، ولا يليق به بحال أن يكون له ولد.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيهاً لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله، وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب، ويضيفون إليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف إليه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾) أي: تعالى وتقدس

وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد أحد صمد، لا نظير له ولا كفاء له، فلا ولد له.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي

يُوعَدُونَ ﴿٨٢﴾)

ج: المعنى، والله أعلم، فدعهم يا رسول الله في خوضهم وقولهم الباطل بغير علم يخوضون، ويلعبون في دنياهم فسوف يأتي يوم لا محالة يلقون فيه ربهم **﴿٨٢﴾**، يسألهم سبحانه عما تقولوه وافتروه، ويسألهم عن خوضهم الذي خاضوه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فذر يا محمد هؤلاء المفتريين على الله، الواصفية

بأن له ولداً يخوضون في باطلهم، ويلعبون في دنياهم (حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٢﴾) وذلك يوم يصليهم الله بفريتهم عليه جهنم، وهو يوم القيامة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا ﴿٨٢﴾) أي: في جهلهم وضلالهم (وَيَلْعَبُوا ﴿٨٢﴾) في دنياهم

(حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٢﴾) وهو يوم القيامة، أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم، ومآلهم، وحالهم في ذلك اليوم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا) يعني: كفار مكة حين كذبوا بعذاب

الآخرة أي: اتركهم يخوضون في باطلهم ويلعبون في دنياهم (حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٢﴾) إما العذاب في الدنيا أو في الآخرة وقيل: إن هذا

منسوخ بآية السيف وقيل : هو محكم وإنما أخرج مخرج التهديد.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ**

الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وهو الذي في السماء معبودٌ وكذا فهو معبودٌ يعبدونه أهل الأرض كما أن أهل السماء يعبدونه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ) يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهة في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته؛ يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئاً غيره.

وقوله: (وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾) يقول: وهو الحكيم في تدبير خلقه، وتسخيرهم لما يشاء، العليم بمصالحهم.

قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ) أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبداه أهلها، وكلهم خاضعون له، أذلاء بين يديه، (وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾).

وهذه الآية كقوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾) [الأنعام: ٣] أي: هو المدعو الله في السموات والأرض.

وقال القرطبي رحمه الله:

أي: هو المستحق للعبادة في السماء والأرض.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ) يخبر تعالى، أنه وحده المألوه المعبود في السماوات والأرض فأهل السماوات كلهم، والمؤمنون من أهل الأرض، يعبدونه، ويعظمونه، ويخضعون لجلاله، ويفتقرون لكماله.

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) [الإسراء:

٤٤]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألوه الخلائق كلهم، طائعين مختارين، وكارهين. وهذه كقوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) [الأنعام: ٣] أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وأما هو فإنه فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله، (وَهُوَ الْكَلِيمُ) الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئاً إلا لحكمة، وحكمه القدري والشرعي والجزائي مشتمل على الحكمة. (الْعَلِيمُ) ﴿٨٤﴾ بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ﴿٨٥﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وتعاضم وتعالى وتمجد، وكثر الخير الوارد منه إلى خلقه وازدادت نعمائه فهو الذي له ملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما كيف يشاء ليس له فيهما من شريك، وهو الذي يعلم متى تقوم الساعة، فعلم يوم القيامة موكل إليه، لا يعلمه أحدٌ سواه وإليه

ترجعون يا بني آدم فتبعثون وتخرجون من قبوركم ويحاسبكم على ما قدمتم فيجازي المحسن بإحسانه ويجازي العامل بعمله إلا أن يتغمد برحمته من يشاء ويعفو عن من يشاء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره، وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض، وما بينهما من الأشياء كلها، جارٍ على جميع ذلك حكمه، ماض فيهم قضاؤه. يقول: فكيف يكون له شريك من كان في سلطانه وحكمه فيه نافذ. (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب.

قوله: (وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ) ﴿٨٥﴾ يقول: وإليه أيها الناس تردون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما، بلا مدافعة ولا ممانعة، فسبحانه وتعالى عن الولد، وتبارك: أي: استقر له السلامة من العيوب والنقائص؛ لأنه الرب العلي العظيم، المالك للأشياء، الذي بيده أزمة الأمور نقضاً وإبراماً، (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) أي: لا يجليها لوقتها إلا هو، (وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ) ﴿٨٥﴾ أي: فيجازي كلًا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم المنان»:

(وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) تبارك بمعنى: تعالى وتعظم،

وكثير خير، واتسعت صفاته، وعظم ملكه. ولهذا ذكر سعة ملكه للسموات والأرض وما بينهما، وسعة علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى إنه تعالى، انفرد بعلم الغيوب، التي لم يطلع عليها أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولهذا قال: (وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴿٨٥﴾ قدم الظرف، ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو، ومن تمام ملكه وسعته، أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولا تملك هذه الأصنام والأوثان التي تُعبد من دون الله ﷻ الشفاعة لأحد، وكذا لا يملك هذه الشفاعة أحدٌ من الخلق كائنًا ما كان إلا إذا أذن الله له بذلك، كما قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة: ٢٥٥]، وكما قال: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) [الأنبياء: ٢٨]، وكما قال: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لِلَّهِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٨٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾) معناه، والله أعلم، لكم من شهد ألا إله إلا الله وأيقن قلبه بذلك، قد يشفعه الله ﷻ فيمن يشاء الله سبحانه وتعالى، كذا شهد أن محمدًا رسول الله، ويدخل في هؤلاء عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام.
فهؤلاء شهدوا الله ﷻ بالوحدانية وأيقنوا بها وتيقنوا منها، وهؤلاء يشفعون بإذن الله وفيمن ارتضاه الله ﷻ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال تعالى: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴿٨٦﴾ أَيْ: مَنْ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ ﴿الْشَّفَعَةَ﴾) أَيْ: لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الشَّفَاعَةِ لَهُمْ، (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾) هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، أَيْ: لَكِنْ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ، فَإِنَّهُ تَنْفَعُ شَفَاعَتُهُ عِنْدَهُ بِإِذْنِهِ لَهُ.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ تَمَامَ مُلْكِهِ وَسَعَتِهِ، أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الشَّفَاعَةِ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

(وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ ﴿٨٦﴾) أَيْ: كُلُّ مَنْ دَعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ، لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ، وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى، وَلِهَذَا قَالَ: (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴿٨٦﴾) أَيْ: نَطَقَ بِلِسَانِهِ، مَقْرَأًا بِقَلْبِهِ، عَالِمًا بِمَا شَهِدَ بِهِ، وَيَشْتَرِطُ أَنْ تَكُونَ شَهَادَتُهُ بِالْحَقِّ، وَهِيَ الشَّهَادَةُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَلِرُسُلِهِ بِالنَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَصَحَّةِ مَا جَاءُوا بِهِ، مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَحَقَائِقِهِ وَشَرَائِعِهِ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَنْفَعُ فِيهِمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، وَهَؤُلَاءِ النَّاجُونَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ، الْحَائِزُونَ لثَوَابِهِ.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ



ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولئن سألت هؤلاء المشركين من الذي خلقهم فسيكون جوابهم الله الذي خلقنا.
فمن أي وجه إذن يُصرفون عن عبادته - وقد خلقهم - إلى عبادة غيره.

أي: تقرون بأن الله خالقكم، ثم تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: (وَكَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾) أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره (مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿٨٧﴾) أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره، ممن لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل؛ ولهذا قال: (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾).

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: من خلقهم؟ ليقولن: الله خلقنا.
(فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾) فأى وجه يصرفون عن عبادة الذي خلقهم، ويحرمون إصابة الحق في عبادته.



س: في قوله تعالى: (وَقِيلَهُ) قراءتان. وضحها.

ج: القراءتان هما: (وقِيلَهُ) بفتح اللام.

والثانية: (وَقِيلَهُ) بكسر اللام.

حكاها الطبري وغيره. وسيأتي مزيد من القول في ذلك إن شاء الله.

س: **وضح معنى قوله: ﴿وَقِيلَ يَا رُبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨).** ومن

القائل: ﴿يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)؟

ج: أما القائل فهو رسول الله ﷺ. قال قتادة - كما صح ذلك عنه عند الطبري وغيره - هذا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام يشكو قومه إلى ربّه.

أما عن معنى الآية الكريمة: فعلى قراءة من قرأ بالفتح (وقيل) فالمعنى:

أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم، ويحسبون أننا لا نسمع قول رسولنا وشكوى رسولنا التي شكوا إلى ربّه قائلاً: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، فكأن الآية تحمل معنى المواساة، مواساة لرسول الله ﷺ حاصلها: لا تجزع يا رسول الله، فإننا نسمع شكواك التي اشتكيت وإننا منتصرون لك.

وكذا تحمل تهديداً لأهل الشرك بما حصله: أن الله ﷻ سمع شكوى نبيه

منكم وسيعاقبكم ربكم سبحانه وتعالى، والله أعلم.

هذا، ووجه من قرأ بالكسر ﴿وَقِيلَ﴾ فحاصل المعنى، وتبارك الذي

عنده علم الساعة، وكذا عنده العلم بقليله أي: عنده العلم بقول رسوله ﷺ إذ قال، وشكواهم إذ اشتكى قائلاً: يا رب إن هؤلاء قومٌ لا يؤمنون.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (﴿وَقِيلَ يَا رُبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)) اخلفت القراء في قراءة

قوله: (﴿وَقِيلَ﴾)، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة: (وقيل) (وقيل)

بالنصب. وإذا قرئ كذلك ذلك، كان له وجهان في التأويل: أحدهما العطف

على قوله: (﴿أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَأَنَسَمُعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾) ونسمع قيله يا رب. والثاني:

أن يضمر له ناصب، فيكون معناه حينئذٍ: وقال قوله: (يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾) وشكا محمد شكواه إلى ربه. وقرأته عامة قراء الكوفة: (وَقِيلَهُ) بالخفض على معنى: وعنده علم الساعة، وعلم قبيله.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار صحبتهما المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. فتأويل الكلام إذن: وقال محمد قبيله شاكيًا إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه، وما يلقى منهم: يا رب! إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم لدعائهم إليك، قوم لا يؤمنون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَقِيلَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾) أي: وقال: محمد: قبيله، أي: شكا إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه، فقال: يا رب! إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾) [الفرقان: ٣٠].



س: وضع معنى قوله تعالى: (فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، فأعرض يا رسول الله عن هؤلاء المشركين ولا تقابلهم بسفاهتهم وجهالتهم بل قل: سلام عليكم، كما في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

وكما قال تعالى: (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾) [الفرقان: ٦٣].

(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾) صدق ما أخبرتهم به.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأمر بالصفح عنهم منسوخ بآية السيف، وقد تقدم الخلاف في مثل ذلك في مواطن عديدة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) أي: المشركين، (وَقُلْ سَلَامٌ) أي: لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ، ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلاً وقولاً (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) ﴿٨٩﴾، هذا تهديد منه تعالى لهم؛ ولهذا أحلَّ بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في «أضواء البيان»:

وهذه الآية الكريمة تضمنت ثلاثة أمور:

الأول: أمره ﷺ بالصفح عن الكفار.

والثاني: أن يقول لهم: سلام.

والثالث: تهديد الكفار بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر وصحة ما يوعد به الكافر من عذاب النار.

وهذه الأمور الثلاثة جاءت موضحة في غير هذا الموضع:

كقوله تعالى في الأول: (وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) ﴿٨٥﴾ [الحجر:

٨٥]، وقوله تعالى: (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ) ﴿٤٨﴾ [الأحزاب:

٤٨]. والصفح الإعراض عن المؤاخذه بالذنب.

قال بعضهم: وهو أبلغ من العفو.

قالوا: لأن الصفح أصله مشتق من صفحة العنق، فكأنه يولي المذنب

بصفحة عنقه معرضاً عن عتابه فما فوقه.

وأما الأمر الثاني، فقد بين تعالى أنه هو شأن عباده الطيبين.

ومعلوم أنه □ سيدهم كما قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ

هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ **[الفرقان: ٦٣]**، وقال تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَهْلِينَ ﴿٥٥﴾ **[الفصص: ٥٥]**، وقال عن إبراهيم إنه قال له أبوه: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ **[مريم: ٤٦]**، قال له: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ **[مريم: ٤٧]**.

ومعنى السلام في الآيات المذكورة، إخبارهم بسلامة الكفار من أذاهم، ومن مجازاتهم لهم بالسوء، أي سلمتم منا لا نسافهكم، ولا نعاملكم بمثل ما تعاملوننا.

وأما الأمر الثالث الذي هو تهديد الكفار بأنهم سيعلمون الحقيقة قد جاء موضحاً في آيات كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ نَبَأُ بَعْدِجِيحٍ ﴿٨٨﴾ **[ص: ٨٨]**، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ **[الأنعام: ٦٧]**، وقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ **[النبا: ٤-٥]**، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ **[التكاثر: ٣-٤]**، وقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ **[التكاثر: ٦-٧]**، إلى غير ذلك من الآيات وكثير من أهل العلم يقول: إن قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ وما في معناه منسوخ بآيات السيف، وجماعات من المحققين يقولون: هو ليس بمنسوخ.

والقتال في المحل الذي يجب فيه القتال، والصفح عن الجهلة، والإعراض عنهم، وصف كريم، وأدب سماوي، لا يتعارض مع ذلك، والعلم عند الله تعالى.

(٣٤٩) أحر أسود

٣٤٩

تفسير سورة الزخرف



MOSTAFAALADWY.COM

سورة الدخان

قال الله تعالى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(حم) ١ وَالصَّكَّتِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا
كُنَّا مُنْذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا
مُرْسِلِينَ ٥ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦ رَبِّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوفَ مُّوقِنِينَ ٧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
يَلْعَبُونَ ٩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَغْشَى
النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢
أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ
١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ
الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ١٦) [الدخان: ١-١٦]

تفسير سورة الدخان

٣٥١

س: وضع معنى ما يلي:

(مُبْرَكَةً - مُنْذِرِينَ - يُفَرِّقُ - حَكِيمٍ - مُوقِنِينَ - سَكِّ - فَارْتَقِبْ - يَغْشَى النَّاسَ -
 أَكْشِفَ عَنَّا - أَنَّى هُمْ الذِّكْرَى - تَوَلَّوْا عَنْهُ - مُعَلِّمٌ - كَاشِفُوا الْعَذَابِ).

ج:

معناها	الكلمة
كثيرٌ خيرها - خيرها متواصل وكثير	(مُبْرَكَةً)
مخوفين - مُحذِرِينَ - مُعَلِّمِينَ النَّاسَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ	(مُنْذِرِينَ)
يُفَصِّلُ (أَيَّ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لِلْمَلَانِكَةِ الْكُتُبَةِ)	(يُفَرِّقُ)
مُحْكَمٌ - ذُو شَأْنٍ	(حَكِيمٍ)
مُتَحَقِّقِينَ - مُتَأَكِّدِينَ - مُصَدِّقِينَ بِقُلُوبِكُمْ - مُصَدِّقِينَ مُتَبَيِّنِينَ	(مُوقِنِينَ)
رَيْبٌ - تَكْذِيبٌ - عَدَمُ تَصْدِيقٍ - عَدَمُ يَقِينٍ	(سَكِّ)
فَانْتَظِرْ	(فَارْتَقِبْ)
يَغْشَى النَّاسَ - يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ	(يَغْشَى النَّاسَ)
أَصْرَفَ عَنَّا - أَذْهَبَ عَنَّا	(أَكْشِفَ عَنَّا)
مَنْ أَيْ وَجْهٌ يَتَعَطَّوْنَ - كَيْفَ يَتَعَبَّرُونَ وَالذِّكْرَى الْإِتْعَازُ	(أَنَّى هُمْ الذِّكْرَى)
أَعْرَضُوا عَنْهُ	(تَوَلَّوْا عَنْهُ)
عَلَّمَهُ آخَرُونَ	(مُعَلِّمٌ)
كَاشَفُوا الضَّرَّ - رَافَعُوا الْبَلَاءَ	(كَاشِفُوا الْعَذَابِ)



س: هل ورد حديث صحيح في فضل سورة الدخان؟

ج: لا أعلم حديثاً صحيحاً في فضل سورة الدخان. والله أعلم.



س: ما المراد بالكتاب المبين؟

ج: هو القرآن الكريم الموضح للحلال والحرام المظهر لكل شيء يريد الله من العباد. والله أعلم.



س: ما المراد بهذه الليلة المباركة؟

ج: هي ليلة القدر، وذلك لقوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾) [القدر: ١]، ولقوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) [البقرة: ١٨٥]، وهذا قول جماهير العلماء، وإن كان من العلماء من ذهب إلى أنها ليلة النصف من شعبان لكن لا يثبت بذلك - فيما علمت - خبرٌ عن النبي ﷺ.



س: وضح معنى الآية الكريمة: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) ﴿٤﴾.

ج: معنى (يُفْرَقُ) يُفصل، والأمر الحكيم: الأمر الذي أحكمه الله ﷻ وقدّر حصوله ووقوعه.

أما عن المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) ﴿٤﴾ أي: أنه في هذه الليلة المباركة ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ إلى الملائكة الكتب ما يكون من الأمر في هذه السنة، فالمقدّر الذي قدّره الله ﷻ أن يكون في هذه

السنة يُخبر به الله ﷻ ملائكته. وذلك كالأخبار بمن يموت هذه السنة ومن يُعزَّر ومن يُذل، ومن يمرض ومن يُعافى ومن يتزوج ومن يُطَلَّق ومن يحج ومن يسافر، ومن يُبتلى ومن يسلمه الله ويحفظه، ومن يرزق ويربح، ومن يحرم الرزق ويخسر، ومن يؤمن ومن يكفر، ومن يبقى على السلامة ومن يرتد... إلى غير ذلك من الأمور.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) ﴿٤﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

والهاء في قوله: (فِيهَا) من ذكر الليلة المباركة.

وعني بقوله: (فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) ﴿٤﴾ في هذه الليلة المباركة يقضى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى، ووضع حكيم موضع محكم، كما قال: (الْمَرَّةُ) ﴿١﴾ تِلْكَ لَيْلَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ [القمان: ١-٢] يعني: المحكم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في «أضواء البيان»:

معنى قوله: (يُفَرَّقُ)، أي يفصل ويبين، ويكتب في الليلة المباركة، التي هي ليلة القدر، (كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) ﴿٤﴾، أي ذي حكمة بالغة؛ لأن كل ما يفعله الله، مشتمل على أنواع الحكم الباهرة.

وقال بعضهم: (حَكِيمٍ) ﴿٤﴾، أي محكم، ولا تغيير فيه، ولا تبديل.

وكلا الأمرين حق؛ لأن ما سبق في علم الله، لا يتغير ولا يتبدل، ولأن جميع أفعاله في غاية الحكمة. وهي في الاصطلاح وضع الأمور في مواضعها وإيقاعها في مواقعها.

وإيضاح معنى الآية أن الله تبارك وتعالى في كل ليلة قدر من السنة يبين للملائكة ويكتب لهم، بالتفصيل والإيضاح جميع ما يقع في تلك السنة إلى ليلة القدر من السنة الجديدة. فتبين في ذلك الأجل والأرزاق والفقر والغنى، والخصب والجذب والصحة والمرض، والحروب والزلزلات، وجميع ما يقع في تلك السنة كائنًا ما كان.



س: وضح معنى قوله تعالى: (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ).

ج: هنا وجوه ذكرها أهل العلم:

أحدها: أن قوله: (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) متعلق بقوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ) فيكون المعنى: إنا أنزلنا عليك القرآن يا رسول الله رحمة من ربك ﷻ بك وعباده.

الثاني: أن قوله تعالى: (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) متعلق بقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ والمعنى: إنا كنا مرسلين رسلاً رحمة من ربك ﷻ بك وعباده.

أو إنا كنا مرسلين رسولنا محمداً ﷺ رحمة بالعباد كما قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (١٠٧) [الأنبياء: ١٠٧].

قال الطبري رحمه الله:

تفسير سورة الدخان

٣٥٥

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا كنا مرسلين رسولنا محمد ﷺ إلى عبادنا رحمة من ربك يا محمد (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يقول: إن الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا، وأرسلنا من رسلنا إليهم، وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم، وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا) أي: جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أي: إلى الناس رسولاً يتلو عليهم آيات الله مبينات، فإن الحاجة كانت ماسة إليه؛ ولهذا قال: ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

الوجه الثالث: أن قوله: (رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ) متعلق بالذي قضاه الله وقدره في تلك الليلة المباركة والله أعلم.

قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله (فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكََةٍ) أي: كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام لينذر به قومًا عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره ويقتبسوا من هداه ويسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والخير الآخروي؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾.

فِيهَا) أَي: فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا الْقُرْآنُ (يُفَرِّقُ كُلَّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَي: يَفْصِلُ وَيُمَيِّزُ وَيَكْتُبُ كُلَّ أَمْرٍ قَدْرِي وَشَرْعِي حَكَمَ اللَّهُ بِهِ، وَهَذِهِ الْكِتَابَةُ وَالْفَرْقَانِ، الَّذِي يَكُونُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَحَدَ الْكِتَابَاتِ الَّتِي تَكْتُبُ وَتُمَيِّزُ فَتُطَابِقُ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ بِهِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ وَأَجَالَهِمْ وَأَرْزَاقَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَكَّلَ مَلَائِكَةً تَكْتُبُ مَا سَيَجْرِي عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، ثُمَّ وَكَّلَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الدُّنْيَا وَكُلِّ بِهِ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَكْتُبُونَ وَيَحْفَظُونَ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى يَقْدِرُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ، وَكُلِّ هَذَا مِنْ تَمَامِ عِلْمِهِ وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ وَإِتْقَانِ حِفْظِهِ وَاعْتِنَائِهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ.

(أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا) ﴿٥﴾ أَي: هَذَا الْأَمْرُ الْحَكِيمُ أَمْرٌ صَادِرٌ مِنْ عِنْدِنَا. ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٥﴾ لِلرَّسْلِ وَمَنْزِلِينَ لِلْكِتَابِ وَالرَّسْلُ تَبْلُغُ أَوْ أَمْرُ الْمَرْسَلِ وَتَخْبِرُ بِأَقْدَارِهِ.



س: وَضَحْ مَعْنَى قَوْلِهِ: (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ) ﴿٧﴾.

ج: الْمَعْنَى، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ وَالَّذِي قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ وَقَضَى الْأُمُورَ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ بِذَلِكَ مُصَدِّقِينَ مُتَحَقِّقِينَ، أَي: هُوَ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَالِكُهَا وَمَا بَيْنَهُمَا وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا وَفِيهَا بَيْنَهُمَا.

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ الَّذِي

أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك، وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك، مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها.

وقوله: (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾) يقول: إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم رب السموات والأرض، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته، وأن هذا القرآن تنزيله، ومحمدًا ﷺ رسوله حق يقين، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره.

قال السعدي رحمه الله:

(رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: خالق ذلك ومدبره والمتصرف فيه بما شاء. (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾) أي: عالمين بذلك علمًا مفيدًا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق؛ ولهذا قال: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي: لا معبود إلا وجهه، (يُحْيِي وَيُمِيتُ) أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة وسيجمعكم بعد موتكم فيجزئكم بعملكم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) ﴿٨﴾ أي: رب الأولين والآخرين مربيهم بالنعم؛ الدافع عنهم النقم.



س: وضع معنى قوله: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ)



ج: المعنى، والله أعلم، أن مُنزل القرآن هو رب السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما، وهو الذي يُعبد وحده ولا يُعبد أحدٌ سواه، وهو الذي يحيي ويميت وهو مالككم ومربيكم بنعمه، وكذا مالك آبائكم

الأولين، فهم له عبيد يقضي فيهم وفيكم بما يشاء. والأولون هنا هم الذين مضوا وسلفوا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول: لا معبود لكم أيها الناس غير رب السموات والأرض وما بينهما، فلا تعبدوا غيره، فإنه لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، يحيي ويميت، يقول: هو الذي يحيي ما يشاء، ويميت ما يشاء مما كان حيًّا.

وقوله: (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) يقول: هو مالكم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأولين، يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الرب فاعبدوه دون الهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: الذي أنزل هذا القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما، (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) أي: إن كنتم متحققين.

ثم قال: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) وهذه الآية كقوله تعالى: (قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ) الآية [الأعراف: ١٥٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ) (١).

ج: قيل فيه ما يلي:

الأول: بل هؤلاء المشركون متشككون في القرآن، ويخوضون في الحديث عنه بالباطل.

الثاني: في شك من بعثة النبي ﷺ ورسالته ويخوضون في عرضه ساخرين مستهزئين.

الثالث: في شك بأن الله خالقهم، وإنما أقروا بالذي أقروا به تقليدًا للأباء والأجداد.

وتم أقوال آخر:

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿١﴾) يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار، يعني بذلك مشركي قريش، ولكنهم في شك منه، فهم يلعبون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون، أي: قد جاءهم الحق اليقين، وهم يشكون فيه ويمترون، ولا يصدقون به.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿١﴾) أي ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار في قولهم إن الله خالقهم وإنما يقولونه لتقليد آبائهم من غير علم فهم في شك وإن توهموا أنهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم بما يعن لهم من غير حجة، وقيل: (يَلْعَبُونَ ﴿١﴾) يضيفون إلى النبي ﷺ الافتراء استهزاء ويقال لمن أعرض عن المواعظ: لاعب وهو

كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري عاقبته.



س: ما المراد بالدخان في قوله تعالى: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ

مُبينٍ ١٠)؟

ج: لأهل العلم قولان مشهوران في هذا، وإن كانت هناك أقوال أخرى مهجورة.

أما القول الأول: فهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وحاصله أن هذا الدخان قد مضى، وكان هذا زمن النبي ﷺ فلما استعصت عليه قريش وتمردوا عليه وآذوه دعا عليهم بسنوات شدة كالتي مرّت بالناس زمن نبي الله يوسف عليه السلام فحدث قحط شديد وجوع شديد وقد شق عليهم ما هم فيه حتى إن أحدهم - من شدة الجوع - كان ينظر إلى السماء فلا يرى إلا الدخان من ضعف البصر وشدة الجوع، فأتوا النبي ﷺ كي يدعو لهم فدعا لهم فكشف الله سبحانه ما بهم.

فعليه فالدخان هنا هو الدخان الذي رآه المشركون من شدة الجوع وكان ذلك زمن النبي ﷺ.

وقد ورد في هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم ^(١) من طريق مسروق قال: دخلت على عبد الله فقال إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم ، إن الله قال لنبيه ﷺ: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦) [ص: ٨٦] إن قريشًا لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه قال «اللهم أغنى عنهم بسبع كسبع يوسف». فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من

(١) البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٨٩)، واللفظ له.

الجهد ، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع . قالوا: ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢) فقيل له إن كشفنا عنهم عبادوا . فدعا ربه فكشف عنهم ، فعادوا ، فانتقم الله منهم يوم بدر ، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ (١٠) إلى قوله جلّ ذكره: ﴿ إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴾ (١٦) .

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم أيضاً عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ (١١) قال فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسقى الله لمضر ، فإنها قد هلكت ، قال: «لمضر إنك لجرىء» ، فاستسقى لهم فسقوا . فنزلت: ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ (١٥) فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴾ (١٦) قال: يعنى يوم بدر .

والقول الثاني: أن الدخان دخان يأتي قبل يوم القيامة وكشرط من أشرط الساعة وعلامة من علاماتها، وقد وردت بذلك عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ، منها حديث حذيفة بن أسيد^(١) الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال:

(١) مسلم (حديث ٢٩٠١).

«إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات»، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي بعض الروايات عند مسلم: «وإن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من فجرة عدن تزحل الناس»^(١).

وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت.

قلت (مصطفى): ولا مانع من أن يكون دخانٌ قد حدث زمن النبي ﷺ على ما ورد في رواية ابن مسعود، وأيضًا يأتي دخان آخر كشرط من أشراط الساعة وعلامة من علاماتها بين يدي يوم القيامة.

وإلى هذا جنح الطبري رحمته الله فقد قال:

وقوله: (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾) اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان

(١) مسلم في طرق حديث (٢٩٠١).

مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذٍ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهينة الدخان.

وذكر من قالوا بذلك.

ثم قال:

وقال آخرون: الدخان آية من آيات الله مرسله على عباده قبل مجيء الساعة، فيدخل في أسماع أهل الكفر به، ويعتري أهل الإيمان به كهينة الزكام، قالوا: ولم يأت بعد، وهو آتٍ. وذكر من قالوا بذلك أيضاً، ثم قال مختاراً قول ابن مسعود ومبيهاً حجه في ذلك:

وإنما قلت: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية؛ لأن الله جلّ ثناؤه توعد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه محمد ﷺ: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾) في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾ ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾) أمراً منه له بالصبر إلى أن يأتيتهم بأسه وتهديداً للمشركين، فهو بأن يكون إذ كان وعيداً لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون آخره عنهم لغيرهم.

ثم قال الطبري رحمه الله:

وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلًا فيما يستأنف بعد بآخرين دخائًا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين روي عن رسول الله ﷺ صحيح.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد ذهب إلى أن المراد بالدخان الدخان الذي يكون بين يدي الساعة وشرط من أشراتها (أي: علامة من علاماتها)، وجنح إلى قول ابن عباس **رحمه الله**.

فقال ابن كثير رحمه الله:

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن.

قال الله تعالى: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠) أي: بين واضح يراه كل أحد. وعلى ما فسر به ابن مسعود، **رحمه الله**: إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. وهكذا قوله: (يَغْشَى النَّاسَ) أي: يتغشاهم ويغمرهم، ولو كان أمرا خياليًا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾.

قال السعدي رحمه الله:

(فَارْتَقِبْ) أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب، وأن أوانه (يَوْمَ تَأْتِي)

السَّمَاءِ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ) أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾).

واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، ف قيل: إنه الدخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم. ويؤيد هذا المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعده الكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم.

ويؤيده أيضاً أنه قال في هذه الآية: (أَتَى لَهُمُ الذِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾) وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

وقيل: إن المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف» فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان وليس به، وذلك من شدة الجوع.

فيكون - على هذا - قوله: (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ ﴿١٣﴾) أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة.

ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله ﷺ وسألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: (إِنَّا

كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ إخبار بأن الله سيصرفه عنهم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبار بوقوعه فوقهم وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، قالوا: وهي وقعة بدر وفي هذا القول نظر ظاهر.

وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾) أن هذا كله يوم القيامة.

وأن قوله تعالى: (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾) أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك. بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾).

ج: هذا فيه وجهان من وجوه التأويل بُنِيَ على تفسير الدخان - على ما سبق بيانه - فالذين ذهبوا إلى أن الدخان قد مضى في زمن رسول الله ﷺ

تفسير سورة الدخان

٣٦٧

لهم تأويل حاصله أن هذا الدخان قد غشى الناس وعمهم بسبب الجوع الذي حلَّ بهم بدعاء النبي ﷺ عليهم، فقالوا: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾)، وذهبوا إلى رسول الله ﷺ كي يدعو لهم فدعا لهم رسول الله ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾ أي من أي وجه يأتيهم الاتعاظ وقد جاءهم الرسول المبين فأعرضوا عنه ووصفوه بأنه مجنون قد تعلَّم هذا القرآن من غيره، ثم قال تعالى: (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا) أي: سرفع عنهم العذاب قليلاً ونرزقهم ونكشف عنهم الضرَّ، وأخبر تعالى أنهم أيضًا سيعودون إلى ضلالهم وكفرهم وتكذيبهم، وسيعود عليكم العذاب ثانية ويتكرر يوم نبطش بكم البطشة الكبرى، وذلك يوم بدر، فهذه وجهة العلماء القائلين بأن الدخان هو الذي حلَّ بالمشركون يوم بدر، وقد صاغه الطبري بقوله:

وإن كان تأويل الآية في هذا الموضع ما قلنا، فإذا كان الذي قلنا في ذلك أولى التأويلين، فبين أن معناه: فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان. (يَغْشَى النَّاسَ) : يقول: يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم. (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾) يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد: هذا عذاب أليم. وهو الموجه، وترك من الكلام «يقولون» استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها.

وقوله: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ) يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسألتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود سواك، كما أخبر عنهم

جَلَّ ثَنَاؤُهُ (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾).

ثم قال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَنُكْفِيهُمْ الدِّكْرَ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه، لا يتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظمهم به من حججنا، ويقولون: إنما هو مجنون عُلِّمَ هذا الكلام.

وقال أيضاً:

وقوله: (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحال بهم من الجهد، وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن كشف العذاب عنهم آمنوا (إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ) يعني الضر النازل بهم بالخصب الذي نحدثه لهم (قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾) يقول: إنكم أيها المشركون إذا كشفت عنكم ما بكم من ضر لم تقوا بما تعدون وتعهدون عليه ربكم من الإيمان، ولكنكم تعودون في ضلالكم وغيكم، وما كنتم قبل أن يكشف عنكم.

ثم قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم، والضر الحال بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم، انتقمتم منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم، وكشف الله عنهم، فعادوا، فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا، فأهلكهم قتلًا بالسيف.

وقد اختلف أهل التأويل في البطشة الكبرى، فقال بعضهم: هي بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر. وأورد القول الآخر وحاصله أن البطشة الكبرى يوم القيامة. أما العلماء القائلون بأن الدخان هو ما يكون بين يدي الساعة كالحافظ ابن كثير وغيره.

فقد فسر الحافظ ابن كثير الآيات على الوجه الذي اختاره، فقال:

وقوله: (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾) أي: يقال لهم ذلك تقريرًا وتوبيخًا، كقوله تعالى: (يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾) [الطور: ١٣، ١٤]، أو يقول بعضهم لبعض ذلك.

وقوله: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾) أي: يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم، كقوله: (وَلَوْ رَحِمْنَاهُ لَذُقْنَا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾) [الأنعام: ٢٧]. وكذا قوله: (وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّحِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَّلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾)

[إبراهيم: ٤٤] ، وهكذا قال هاهنا: (أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾) .

يقول: كيف لهم بالتذكر، وقد أرسلنا إليهم رسولا بين الرسالة والندارة، ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه، بل كذبوه وقالوا: معلم مجنون. وهذا كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَذَّكَّرُ الْأَنسَنُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤] ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُوتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ءَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاسُتُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سبا: ٥١-٥٤] .

وقوله: (إِنَّا كَاشَفُوكُمُ الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾) يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه يقوله تعالى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا، لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المؤمنون: ٧٥] ، وكقوله: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨] .

والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخروا العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يَمُوتُ لَمَّا آمَنُوا﴾ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨] ، ولم يكن العذاب باشرهم، واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم، ولا يلزم أيضا أن يكونوا قد أفلحوا عن كفرهم ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخباراً عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي

مَلَيْنَا قَالِ أَوْلُو كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا [الأعراف: ٨٨، ٨٩]، وشعيب لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم.
وقال قتادة: (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾) إلى عذاب الله.



س: ما المراد بالبطشة الكبرى؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان سبقت الإشارة إليهما:

أحدهما: أن ذلك يوم بدر يوم أن بُطش بأهل الشرك فقتل منهم من قتل وأسر منهم من أسر.

والقول الثاني: أن البطشة الكبرى يوم القيامة.

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة.
قال ابن كثير رحمه الله: والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضاً.



س: هل يجوز الدعاء للمشركين بكشف العذاب عنهم؟ وهل يدعى لهم عموماً؟

ج: إذا كان في ذلك مصلحة لأهل الإسلام جاز ذلك - والله أعلم.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قول قوم موسى عليه السلام له: (يَتَأَيُّهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا

لَمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ [الزخرف: ٤٩-٥٠].

ففيه دليل على أنه دعا لهم.

وكذا دعاء الرسول ﷺ لكشف البلاء عن أهل مكة لما حلَّ بهم من جراء دعوته عليهم ما حلَّ ورأوا الدخان من شدة الجوع، على ما أورده في قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٠﴾.

هذا، ويجوز الدعاء لهم بالهداية أيضًا.

قال □ لما قيل له: إن دوسًا قد عصت وأبت فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال: «اللهم اهد دوسًا وائت بهم» ^(١).
وكذا دعاء النبي ﷺ لأُم أبي هريرة، وكانت مشركة: «اللهم اهد أم أبي هريرة» ^(٢).

ولكن لا يجوز الدعاء لهم بالمغفرة، قال تعالى: (مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ هُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].
وقال □: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي» ^(٣).



(١) البخاري (مع الفتح ١٩٦/١١)، ومسلم (مع النووي ٧٧/١٦).

(٢) مسلم (٥١/١٦ مع النووي).

(٣) مسلم مع النووي (٤٥/٧).

س: من أقبل على طاعة الله يسر الله له سبلها، ومن أعرض عن الطاعة وكذب وتولى لن تنفعه الذكرى، ولن تجدي معه الموعظة. دُلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك في هذا المقام، قوله تعالى: (أَنَّهُ لَهِمُّ الذِّكْرِ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾)، فلما أعرضوا عن رسول الله ووصفوه بأنه معلم مجنون استبعدت هدايتهم واستبعدت جدوى الموعظة فيهم.

وفي التنزيل: (سَاءَ صَرِفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) [الأعراف: ١٤٦]، وكذا في التنزيل: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾) [الليل: ٥-١٠].

وكذا قوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف: ٥].



س: هل صح لقوله تعالى: (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ) سبب نزول؟

ج: أخرج البخاري ومسلم ^(١) من طريق مسروق قال: قال عبد الله إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا

(١) البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٩٨).

العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان
من الجهد ، فأنزل الله تعالى: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾
يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾) قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم فقيل: يا رسول الله استسقى الله لمضر ، فإنها قد هلكت .
قال: «لمضر إنك لجرىء» . فاستسقى فسقوا، فنزلت (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾)
فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية . فأنزل الله
﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ قال: يعنى يوم بدر.



MOSTAFAALADWI.COM

قال الله تعالى:

(﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّ لَوْ أَنَّ هَتُولَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢١﴾ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَتْرَكُوا الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٣﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٤﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٦﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٧﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا لِنِي اسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٩﴾ مَنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَءَايَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾) [الدخان: ١٧-٣٣]

س: وضع معنى ما يلي:

(فَتَنًا - أَدُّوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ - لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ - سُلْطَنٍ مُبِينٍ - عُدْتُ - تَرْجُمُونَ - فَأَعَزَّلُونِ -
فَأَسْرَ بِعِبَادِي - مُتَّبِعُونَ - رَهْوًَا - جَنَّتِ - وَعُيُونٍ - وَمَقَامٍ كَرِيمٍ - فَكَيْهِنَ - مُنْظَرِينَ -
الْمُهَيْنَ - الْمُسْرِفِينَ).

ج:

معناها	الكلمات
ابتلينا - اخترنا	(فَتَنًا)
ادفعوا إلي بني إسرائيل	(أَدُّوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ)
لا تستكبروا عن طاعته وعبادته - لا تقفروا على الله	(لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ)
بجعة واضحة بيّنة تدل على صدقي ورسالتي	(سُلْطَنٍ مُبِينٍ)
التجأت واستجدت واستجرت	(عُدْتُ)
ترجموني بالحجارة - تذفوني وتشتمونني وتصفونني بما ليس فيّ	(تَرْجُمُونَ)
لا تتعرضوا لي بأذى ولا مكروه	(فَأَعَزَّلُونِ)
فاخرج بهم ليلاً (اخرج ببني إسرائيل) ليلاً	(فَأَسْرَ بِعِبَادِي)
سيتبعكم عدوكم	(مُتَّبِعُونَ)
ساكنًا - سهلاً - على حالته وهينته	(رَهْوًَا)
حدائق وبساتين	(جَنَّتِ)
منايع للماء	(وَعُيُونٍ)
مقامات الملوك والأمراء، والمناير - وصدور المجالس - المساكن الأنيفة والأماكن الحسنة	(وَمَقَامٍ كَرِيمٍ)

تفسير سورة الدخان

٣٧٧

مُنْعَمِينَ - مُتَفَكِّهِينَ - نَاعِمِينَ	(فَتَكْفِهِنَّ)
مُؤَخَّرِينَ - مُؤَخَّرِينَ عَنِ الْعِقَابَةِ	(مُنْظَرِينَ)
الْمُذَلِّ الْمُخْزِي	(الْمُهِنِينَ)
الْمُتَجَاوِزِينَ لِلْحَدِّ فِي الْعَصْيَانِ	(الْمُسْرِفِينَ)



س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (١٧) أَن أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٨).**

ج: **المعنى، والله أعلم، ولقد ابتلينا واختبرنا قبل مشركي قريش قوم فرعون وجاءهم رسول كريم من عندنا وهو نبي الله موسى ﷺ، فقال لهم: ادفعوا إلي بني إسرائيل الذين هم عشيرتي وقبيلتي الذين يعبدون الله ﷻ، ادفعوهم إلينا يا آل فرعون واخلوا بيني وبينهم حتى أنصرف بهم وأترك لكم بلادكم كما في الآية الأخرى: ﴿أَن أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (١٧) [الشعراء: ١٧]، فالمراد بـ(عِبَادَ اللَّهِ) بنو إسرائيل، ثم قال لهم موسى ﷺ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٨) رسول من عند الله أمين فيما أنقله لكم عن الله ﷻ.**

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني تعالى ذكره: ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركي قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) (١٧) يقول: وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم، وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه.

وقال أيضاً:

وقوله: (أَنْ أَدُؤًا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ ﷻ) يقول تعالى ذكره: وجاء قوم فرعون رسول من الله كريم عليه بأن ادفعوا إلي، ومعنى (أَدُؤًا) ﷻ: ادفعوا إلي فأرسلوا معي واتبعون، وهو نحو قوله: (أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﷻ) [الشعراء: ١١٧]، فـ(أَنْ) ﷻ في قوله: (أَنْ أَدُؤًا إِلَىٰ ﷻ) نصب، وعباد الله نصب بقوله: (أَدُؤًا) ﷻ وقد تأوله قوم: أن أدوا إلي يا عباد الله، فعلى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ولقد اخترنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وهم قبط مصر، ﷻ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﷻ يعني: موسى كليمه ﷻ. (أَنْ أَدُؤًا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ ﷻ)، كقوله: (فَأَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﷻ) [طه: ١٤٧]. **وقوله:** (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﷻ) أي: مأمون على ما أبلغكموه.



س: وضع معنى قوله: (وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ﷻ إِنِّي أَنَا رَبُّكُمْ بَلَّغْتُ ﷻ) ﷻ.

ج: المعنى، والله أعلم، وكان مما جاءهم به موسى ﷻ طلبه منهم ألا يتعالوا على الله ولا يستكبروا عن طاعته وعبادته، فهذا قوله: (وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ﷻ)، أما قوله: (إِنِّي أَنَا رَبُّكُمْ بَلَّغْتُ ﷻ) ﷻ، أي: قد جئتكم بحجة قاطعة تشهد أنني رسول من عند الله ﷻ، وهي الآيات التي أيد الله بها موسى ﷻ كالعصا التي تتحول إلى حية تسعى واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء...

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وجاءهم رسول كريم، أن أدوا إلي عباد الله، وبأن

لا تعلوا على الله.

وعني بقوله: (وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) أن لا تطغوا وتبغوا على ربكم، فتكفروا به وتعصوه، فتخالفوا أمره (إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾) يقول: إني آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه، وبرهان على صحته، مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) أي: لا تستكبروا عن اتباع آياته، والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه، كقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾) [غافر: ٦٠].

(إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾) أي: بحجة ظاهرة واضحة، وهي ما أرسله الله به من الآيات البينات والأدلة القاطعات.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) بالاستكبار عن عبادته والعلو على عباد الله، (إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾) أي: بحجة بينة ظاهرة وهو ما أتى به من المعجزات الباهرات والأدلة القاهرات.



س: وضع معنى قوله: (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن موسى عليه السلام قال لقومه: وإني استنجدت بربي خالقي وخالقكم ولجأت إليه مستجيراً به كي لا ترجموني

بالحجارة، وكى لا ترجموني قذفًا وسبابًا وشتماً.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ) قال ابن عباس، وأبو صالح: هو الرجم باللسان وهو الشتم.

وقال قتادة: الرجم بالحجارة.

أي: أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم أن تصلوا إليّ بسوء من قول أو فعل.

وذكر معانٍ آخر للرجم منها الرجم بالحجارة، ومنها القتل.

وقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما دلَّ عليه ظاهر الكلام، وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يجرمه فرعون وقومه، والرجم قد يكون قولاً باللسان، وفعلًا باليد. والصواب أن يقال: استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم الذي يصل منه إلى المرجوم أذى ومكروه، شتمًا كان ذلك باللسان، أو رجمًا بالحجارة باليد.



س: وضع معنى قوله: (وَإِن لَّكُمْ تُؤْمِنُوا إِلَى فَاَعَزُّونَ) (٣١).

ج: المعنى، والله أعلم، وإن لم تصدقوني بأني رسول من عند الله عز وجل فلا تؤذونني وتتعرضوا لي.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَإِن لَّكُمْ تُؤْمِنُوا إِلَى فَاَعَزُّونَ) (٣١)، أي: فلا تتعرضوا لي ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلى أن يقضي الله بيننا.

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِي ﴿١١﴾) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه: وإن أنتم أيها القوم لم تصدقوني على ما جئتمكم به من عند ربي، فاعتزلون: يقول: فخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان ولا باليد.

قال السعدي رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِي ﴿١١﴾) أي: لكم ثلاث مراتب: الإيمان بي وهو مقصودي منكم فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة فاعتزلوني لا علي ولا لي، فاكفوني شركم. فلم تحصل منهم المرتبة الأولى ولا الثانية بل لم يزلوا متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى عليه السلام غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل.



س: وضع معنى قوله: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾) فَأَسْرَ بَعَادَى لِيلاً

إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿١٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن موسى عليه السلام لما قال لقومه أدنوا إلي عباد الله، وقال لهم: (وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ)، وقال لهم: (وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِي ﴿١١﴾)، رفضوا كل هذا، وعاندوا غاية العناد وتمادوا غاية التماذي في الغي والضلال والتكذيب والأذى، فدعا عليهم قائلاً: رب إن هؤلاء قوم مجرمون، مجرمون للآثام والجنايات فضلاً عن الكفر والتكذيب والتعالي على الله عز وجل، فأوحى الله إليه أن أسر بعبادي ليلاً، أي: اخرج أنت ومن معك من بني إسرائيل من بلاد

مصر- ليلاً فإن فرعون وجنده يعدون العدة لكم وسيتبعونكم لقتلكم ولتشريدكم، فإذا وصلت أنت ومن معك إلى البحر فاضربه بعصاك فسينفلق ويكون بعده طريق فاسلكه وامش فيه، فإذا جاوزته فاتركه ساكناً على الحالة التي دخلت عليه فيها، فإن الله ﷻ سيغرق فرعون وجنده.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

فلما طال مقامه بين أظهرهم، وأقام حجج الله عليهم، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم، كما قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) ٨٨ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴿٨٩﴾. وهكذا قال هاهنا: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ) ٩٢ فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج ببني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه؛ ولهذا قال: (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مَّتَّبِعُونَ) ٩٣ كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكَا وَلَا تَخْشَى﴾ ٩٧. **إطره: ١٧٧.**

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه إذ كذبه ولم يؤمنوا به، ولم يؤد إليه عباد الله، وهموا بقتله بأن هؤلاء -يعني فرعون- وقومه (قَوْمٌ مُجْرِمُونَ) ٩٢ يعني: أنهم مشركون بالله كافرون.

وقوله: (فَأَسْرِ بِعِبَادِي) وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأجابه ربه بأن قال له: فأسر إذ كان الأمر كذلك بعبادي، وهم بنو إسرائيل، وإنما معنى الكلام: فأسر بعبادي الذين صدقوك وآمنوا بك،

واتبعوك دون الذين كذبوك منهم، وأبوا قبول ما جئتهم به من النصيحة منك، وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذ بني إسرائيل. وقال: (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا) لأن معنى ذلك: سر بهم ليل قبل الصباح.

وقوله: (إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾) يقول: إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم في أثاركم.

س: ووضح معنى قوله تعالى: (وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإذا جاوزت يا نبي الله أنت ومن معك البحر فاتركوه على حالته حين مررتم عليه يابسًا فإن فرعون ومن معه قد حكم الله عليهم بالغرق وقضى به عليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا) يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك، فاتركه ساكنًا على حاله التي كان عليها حين دخلته. وقيل: إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل فإذا كان ذلك كذلك، ففي الكلام محذوف، وهو: فسرى موسى بعبادي ليلًا وقطع بهم البحر، فقلنا له بعد ما قطعه، وأراد رد البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه: أتركه رهوًّا.

وأورد بإسناد يصح عن قتادة قوله: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٣﴾).

حتى بلغ (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾) قال: لما خرج آخر بني إسرائيل أراد نبي الله ﷺ أن يضرب البحر بعصاه، حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم، فقيل له: (وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله هاهنا: (وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾) وذلك أن موسى، **عليه السلام**، لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلا بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم. فأمره الله أن يتركه على حاله ساكناً، وبشره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف درگا ولا يخشى.

قال ابن عباس: (وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًّا) كهيئته وامضيه. وقال مجاهد: (رَهَوًّا) طريقاً يبساً كهيئته، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يرجع آخرهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، كم خلف هؤلاء الأقوام الذين أغرقهم الله **ﷻ**، وهم فرعون وقومه - كم خلفوا بعدهم من حدائق وبساتين، وعيون تنفجر منها الأنهار، وكذا كم تركوا من الزروع والثمار وكريم المنازل والمجالس، ونعم عظيمة كانوا منعمين فيها، فهكذا أنعمنا عليهم، وهكذا أورثناها قوماً بعدهم وهم بنو إسرائيل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار، وهي الجنات، وعيون، يعني: ومنابع ما كان ينفجر في جناتهم وزروع قائمة في مزارعهم (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾) يقول: وموضع كانوا يقومونه شريف كريم.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم، فقال

بعضهم: وصفه بذلك لشرفه، وذلك أنه مقام الملوك والأمراء، قالوا: وإنما أريد به المنابر.

وقال: وقال آخرون: وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته.

وقال: وقوله (وَنِعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَهَيْنَ ﴿٢٧﴾) يقول تعالى ذكره: وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين.

وقوله: (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾) يقول تعالى ذكره: هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا بهؤلاء الذين ذكرت لكم أمرهم، الذين كذبوا رسولنا موسى ﷺ.

وقوله: (وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾) يقول تعالى ذكره: وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم وما كانوا فيه من النعمة عنهم قوماً آخرين بعد مهلكهم، وقيل: عني بالقوم الآخرين بنو إسرائيل.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ) وهي البساتين (وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ) والمراد بها الأنهار والآبار، (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾) وهي المساكن الكريمة الأنيفة والأماكن الحسنة.

وقال: (وَنِعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَهَيْنَ ﴿٢٧﴾) أي: عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاءوا ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد، فسلموا ذلك جميعه في صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٩]، وقال في موضع آخر: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ

كَانُوا يُسْتَزْعَمُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقال هاهنا: (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾) وهم بنو إسرائيل، كما تقدم.



س: في الآيات بيان لأصل من أصول التفسير. وضحه.

ج: الأصل هو تفسير القرآن بالقرآن.

وإيضاحه: أن الله قال: (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾)، وقال في آية أخرى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٩]، قال قوم الآخرون هم بنو إسرائيل.



س: هل تبكي السماء والأرض على أحد؟

ج: نعم تبكي بدليل المفهوم المخالف من قوله: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴿١﴾)، وقد أخرج الطبري بسند صحيح إلى سعيد بن جبير قال: أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾) فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه؛ وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم

خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض.

وقال الطبري رحمه الله:

وقيل: إنما قيل: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) لأن المؤمنين إذا مات، بكث عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، ولم تبكي على فرعون وقومه؛ لأنه لم يكن لهم عمل يصعد إلى الله صالح فتبكي عليهم السماء، ولا مسجد في الأرض فتبكي عليهم الأرض.

وأورد ابن كثير رحمه الله أثراً أخرجه ابن أبي حاتم بسنده إلى علي رضي الله عنه قال، وقد سأله رجل هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال له: لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك، إنه ليس عبد إلا له مصلى في الأرض، ومصعد عمله من السماء. وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض، ولا عمل يصعد في السماء، ثم قرأ علي رضي الله عنه: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) ﴿١٩﴾.



س: هل من علامة يُعرف بها أن السموات قد بكث على شخص أو لم

تبك؟

ج: ليست هناك علامة ظاهرة على ذلك، وقد ذكر بعض العلماء أن بكاء السماء هو احمرارها وليس على ذلك دليل.

وأحب أن أورد هنا قول الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد قال:

وذكروا أيضاً في مقتل الحسين أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط، وأنه كسفت الشمس، واحمر الأفق، وسقطت حجارة. وفي كل

ذلك نظر، والظاهر أنه من سُخِّف الشيعة وكذبهم، ليعظموا الأمر -ولا شك أنه عظيم- ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ما هو أعظم من -قتل الحسين عليه السلام- ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب، وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع ذلك، وعثمان بن عفان قتل محصوراً مظلوماً، ولم يكن شيء من ذلك. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قتل في المحراب في صلاة الصبح، وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك، ولم يكن شيء من ذلك. وهذا رسول الله ﷺ وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه. ويوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ خسفت الشمس فقال الناس: خسفت لموت إبراهيم، فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الكسوف، وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ^(١).



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيِ إِسْرَءِيلَ مِنَ الْمَذَابِ الْمُهِينِ ٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله سبحانه وتعالى يظهر فضله الذي تفضل به على بني إسرائيل بإنجائهم من العذاب المذل المخزي الذي كان يمارسه معهم فرعون وقومه، فقد كان يذبح الأبناء ويستحيي النساء، ولقد كان متجاوزاً للحد في الظلم والطغيان.

قال الطبري رحمته الله:

وقوله: (مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ٣١) يقول تعالى ذكره:

(١) البخاري (١٠٤٣)، ومسلم (٩١٥).

ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب من فرعون، فقوله: (مِنْ فِرْعَوْنَ) مكررة على قوله: (مِنْ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) (٣٠) مبدلة من الأولى. ويعني بقوله: (إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ) (٣١) إنه كان جباراً مستعليّاً مستكبراً على ربه، (مِنْ الْمُسْرِفِينَ) (٣١) يعني: من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه. وإنما يعني جلّ ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره، واستكبار على ربه جلّ ثناؤه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَلَقَدْ جَعَلْنَا بِنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) يمتن عليهم تعالى بذلك، حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة.

وقوله: (مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا) أي: مستكبراً جباراً عنيداً، وكقوله: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ) [القصص: ٤٠].

وقوله: (فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) (٤١) [المؤمنون: ٤٦]، سرفاً في أمره، سخياف الرأي على نفسه.



س: هل بنو إسرائيل فضلوا على أمة محمد ﷺ؟

ج: لا، بل أمة محمد ﷺ أفضل لقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ). [آل عمران: ١١٠]



س: إذن كيف يوجّه قوله تعالى: (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ

؟) (٣٢)

ج: المراد، والله أعلم، على العالمين في زمانهم.

وبهذا قال جماهير العلماء.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا بهم على عالمي أهل زمانهم يومئذ، وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه. وأورد عن قتادة بإسناد صحيح قال: اختيروا على أهل زمانهم ذلك، ولكل زمان عالم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾) قال مجاهد: (اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾) على من هم بين ظهريه. وقال قتادة: اختيروا على أهل زمانهم ذلك. وكان يقال: إن لكل زمان عالما. وهذه كقوله تعالى: (قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴿١٤٤﴾) أي: أهل زمانه، وكقوله لمريم: (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾) [آل عمران: ٤٢] أي: في زمانها؛ فإن خديجة أفضل منها، وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، أو مساوية لها في الفضل، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ) يعني بني إسرائيل (عَلَى عِلْمٍ) أي على علم منا بهم لكثرة الأنبياء منهم (عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾) أي عالمي زمانهم بدليل قوله لهذه الأمة ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾﴾، وهذا قول قتادة وغيره وقيل: على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء وهذا

خاصة لهم وليس لغيرهم حكاية ابن عيسى و الزمخشري وغيرهما ويكون قوله : (كُتِّمَ خَيْرٌ أُمَّةٍ) أي بعد بني إسرائيل والله أعلم : وقيل : يرجع هذا الاختيار إلى تخلصهم من الغرق وإيراثهم الأرض بعد فرعون.



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَأَيِّنَّاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْؤًا مُّبِينٌ**

٣٣).

ج: **المعنى، والله أعلم، وآتيناهم بني إسرائيل من الحجج والبراهين وكذا معه تصريف الأمور ما بين رخاء وشدة، وعسر ويسر، فضلاً عن سائر المعجزات التي أمدَّ الله بها نبيهم ما فيه اختبار عظيم لهم، فإن الشخص قد يبتلى بالسراء كما يبتلى بالضراء إذ الله قال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥).**

[الأنبياء: ٣٥]

قال الطبري رحمه الله:

قوله: ﴿وَأَيِّنَّاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْؤًا مُّبِينٌ﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره: وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به.

واختلف أهل التأويل في ذلك البلاء، فقال بعضهم: ابتلاهم بنعمه

عندهم.

وقال: وقال آخرون: بل ابتلاهم بالرّخاء والشدة.

ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى

بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدة، ولم يضع لنا دليلاً من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعاً. وجائز أن يكون عنى اختبارهم إياهم بهما، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جل ثناؤه إنه اختبرهم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّبْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ﴾ أي: من المعجزات لموسى (مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ) ﴿٣٢﴾ قال قتادة: الآيات إنجاؤهم من فرعون وقلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم وإنزال المن والسلوى ويكون هذا الخطاب متوجهاً إلى بني إسرائيل وقيل: إنها العصا واليد ويشبه أن يكون قول الفراء: ويكون الخطاب متوجهاً إلى قوم فرعون وقول ثالث: إنه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي أمرهم به قاله عبد الرحمن بن زيد، ويكون الخطاب متوجهاً إلى الفريقين معاً من قوم فرعون وبني إسرائيل وفي قوله: (بَلَاءٌ مُّبِينٌ) ﴿٣٢﴾ أربعة أوجه نعمة ظاهرة؛ قاله الحسن وقتادة. كما قال الله تعالى: (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا) [الأنفال: ١٧]، وقال زهير:

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلى

الثاني: عذاب شديد، قاله الفراء.

الثالث: اختبار يتميز به المؤمن من الكافر؛ قاله عبد الرحمن بن زيد. وعنه أيضاً: ابتلاؤهم بالرخاء والشدة ثم قرأ: (وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) ﴿

[الأنبياء: ٣٥].

(٣٩٣) أحر أسود

٣٩٣

تفسير سورة الدخان



MOSTAFAALADWY.COM

قال الله تعالى:

(إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾
فَاتُوا بِآيَاتِنَا إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
لَعِينٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾
إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ
﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاَعْلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمَتُّونَ ﴿٥٠﴾)

[الدخان: ٣٤ -

س: وضع معنى ما يلي:

(بُئِشْرِينَ - يَوْمَ الْفَصْلِ - مِيقَتُهُمْ - مَوْلَى عَنْ مَوْلَى - يُنْصَرُونَ - شَجَرَتِ الزُّقُومِ -
الْأَثِيمِ - كَالْمُهْلِ - الْحَمِيمِ - فَأَعْتَلُوهُ - سَوَاءَ الْجَحِيمِ - تَمْتَرُونَ).

ج:

معناها	الكلمات
بمبعوثين - بخارجين من القبور	(بُئِشْرِينَ)
يوم القيامة (يفصل الله فيه بين العباد)	(يَوْمَ الْفَصْلِ)
وقت اجتماعهم بعد بعثهم من قبورهم	(مِيقَتُهُمْ)
قريب عن قريب، ابن عم عن ابن عمه، صديق عن	(مَوْلَى عَنْ مَوْلَى)
لا ينصر بعضهم بعضاً	(يُنْصَرُونَ)
شجرة تنبت في وسط النار (وصفت في آيات أخر)	(شَجَرَتِ الزُّقُومِ)
الفاجر - مرتكب الآثام العظيمة	(الْأَثِيمِ)
كدردي الزيت - الزيت المغلي - الرصاص المنصهر أو الفضة والذهب إذا صُهرًا وتحولاً إلى سائل	(كَالْمُهْلِ)
الماء الذي سخّن فبلغ أعلى درجات غليانه	(الْحَمِيمِ)
فادفعوه وسوقوه بشدة وبفوة	(فَأَعْتَلُوهُ)
وسط الجحيم - وسط النار	(سَوَاءَ الْجَحِيمِ)
تشتكون	(تَمْتَرُونَ)



س: وضع معنى قوله: (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، إن هؤلاء المشركين من أهل مكة ومن حولها، ومن هو على شاكلتهم ليقولون - إذا ذكّرتهم بالبعث - ما هي إلا الموتة التي سنموتها ولن نبعث بعدها فلسنا بخارجين من قبورنا، فإن كنتم يا أهل الإسلام صادقين في أننا سنبعث فابعثوا لنا الآباء الذين سلفوا ومضوا وماتوا، ابعثوهم لنا من قبورهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبل مشركي قريش لنبي الله ﷺ: إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد ﴿٣٤﴾ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ التي نموتها، وهي الموتة الأولى (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾) بعد مماتنا، ولا بمبعوثين تكذيباً منهم بالبعث والثواب والعقاب.

وقوله: (فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾) يقول تعالى ذكره: قالوا لمحمد عليه الصلاة والسلام: فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين، أن الله باعثننا من بعد بلانا في قبورنا، ومحيينا من بعد مماتنا، وخوطب ﷺ هو وحده خطاب الجميع، كما قيل: (يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ السَّاءَ ﴿١﴾) [الطلاق: ١]، وكما قال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا، ولا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور. ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقًا

تفسير سورة الدخان

٣٩٧

(فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾) وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في هذه الدار، بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقًا جديدًا، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودًا، يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٦﴾) يعني كفار قريش.

(إِنَّ هِيَ إِلَّا مَرَاتِنَا الْأُولَى ﴿٣٦﴾) ابتداء خبر مثل: (إِنَّ هِيَ إِلَّا فَنَنَّاكَ ﴿٣٥﴾) [الأعراف:

١٥٥] (إِنَّ هِيَ إِلَّا حِكَايَاتُنَا الدُّنْيَا ﴿٣٦﴾) [المؤمنون: ٣٧] (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشِرِينَ ﴿٣٥﴾) أي بمبعوثين ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾) أنشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم والمنشورون المبعوثون قيل: إن قائل هذا من كفار قريش أبو جهل قال: يا محمد إن كنت صادقًا في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا: أحدهما قصي بن كلاب فإنه كان رجلًا صادقًا لنسأله عما يكون بعد الموت وهذا القول من أبي جهل من أضعف الشبهات لأن الإعادة إنما هي للجزاء لا للتكليف فكأنه قال: إن كنت صادقًا في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف وهو كقول قائل: لو قال إن كان ينشأ بعدنا قوم من الأبناء فلم لا يرجع من مضى من الآباء حكاه الماوردي ثم قيل: (فَأَتُوا بِآبَائِنَا) مخاطبة للنبي ﷺ وحده كقوله: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩] قاله الفراء وقيل: مخاطبة له ولأتباعه.



س: وضع معنى قوله: (أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ٣٧). ومن تبع؟ وهل هو نبي أم لا؟

ج: المعنى، والله أعلم، أهؤلاء المشركون خير أم قوم تبع الحميري
اليمني الذين أهلكهم الله ﷻ وأفناهم فقد كانوا أهل إجرام، والعياذ بالله.
أما عن تبع فلم أقف في شأنه على خبر ثابتٍ عن رسول الله ﷺ، وقال
بعض العلماء: إنه كان رجلًا صالحًا، فالله أعلم.
قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير، أم قوم تبع، يعني تبعًا الحميري.

وقوله: (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره: أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبع والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها، يقول:
فليس هؤلاء بخير من أولئك، فنصفح عنهم، ولا نهلكهم، وهم بالله
كافرون، كما كان الذين أهلكناهم من الأمم من قبلهم كفارًا.

وقوله: (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ٣٧) يقول: إن قوم تبع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكناهم إنما أهلكناهم لإجرامهم، وكفرهم بربهم. وقيل: إنهم كانوا مجرمين، فكسرت ألف «إن» على وجه الابتداء، وفيها معنى الشرط استغناء بدلالة الكلام على معناها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ) ذكر لنا أن تبعًا كان رجلًا من حمير، سار بالجيش حتى حير الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها. وذكر لنا أنه كان إذا كتب كتب باسم الذي تسمى وملك برًا وبحرًا وصحًا وريحًا. وذكر لنا أن كعبًا كان يقول: نعت نعت الرجل الصالح ذم

الله قومه ولم يذمه. وكانت عائشة تقول^(١): لا تسبوا تبعًا، فإنه كان رجلًا صالحًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال تعالى متهددًا لهم، ومتوعدًا ومنذرًا لهم بأسه الذي لا يرد، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين والمنكرين للبعث وكقوم تبع -وهم سبأ- حيث أهلكهم الله وخرَّب بلادهم، وشردهم في البلاد، وفرقهم شذر مذر، كما تقدم ذلك في سورة سبأ، وهي مُصدِّرة بإنكار المشركين للمعاد. وكذلك هاهنا شبههم بأولئك، وقد كانوا عربًا من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان، وقد كانت حمير -وهم سبأ- كلما ملك فيهم رجل سموه ثُبَّعًا، كما يقال: كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافرين، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وغير ذلك من أعلام الأجناس. ولكن اتفق أن بعض تبايعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند، واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه، واتسعت مملكته وبلاده، وكثرت رعاياه وهو الذي مَصَّرَ الحيرة فاتفق أنه مرَّ بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار، وجعلوا يَقْرُونَهُ بالليل، فاستحيا منهم وكف عنهم، واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة؛ فإنها مُهاجِرُ نبي يكون في آخر الزمان، فرجع عنها وأخذهما معه إلى بلاد اليمن، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه

(١) هذا لا يثبت من هذا الوجه عن عائشة رضي الله عنها ففتادة لا تُعرف له رواية صحيحة عن عائشة رضي الله عنها.

أيضاً، وأخبراه بعظمة هذا البيت، وأنه من بناية إبراهيم الخليل وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان، فعظمها وطاف بها، وكساها الملاء والوصائل والحبير. ثم كر راجعاً إلى اليمن ودعا أهلها إلى التهود معه، وكان إذ ذاك دين موسى ، فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح ، فتهود معه عامة أهل اليمن. وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه «السيرة».

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ

ۚ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝۳۸)

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات عبثاً ولا لعباً ولا لهواً ولا باطلاً وإنما خلقناهما لحكم أردناها ولحق قررناه أي لإقامة الحق وإظهاره من توحيد الله والتزام طاعته خلقنا الإنس والجن لعبادة الله، ثم امتحانهم بالسمع والطاعة والأمر والنهي، ثم بعد نجازي المحسن المطيع بإحسانه وطاعته، ونعاقب العاصي المتمرد بعصيانته وتمرده.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ

الْخَلْقِ لَعِبًا. وَقَوْلُهُ: (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) يقول: ما خلقنا السموات والأرض إلا بالحق الذي لا يصلح التدبير إلا به.

وإنما يعني بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة، يقول تعالى ذكره: لم نخلق الخلق عبثاً بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا، ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهي، وغير مجازاة المطيع

تفسير سورة الدخان

٤٠١

على طاعته، والعاصي على المعصية، ولكن خلقنا ذلك لنبتلي من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الأمر والنهي (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (النجم: ٣١).

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثواباً لتكذيبهم بالمعاد.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبراً عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص: ٢٧)، وقال: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (١١٥) فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون) (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢).

ج: المعنى، والله أعلم، إن يوم القيامة هو وقت اجتماعهم جميعاً، أولهم وآخرهم، مسلمهم وكافرهم، ويومها يُفصل بين العباد ولا ينفع قريب قريبه بشيء، لا ينفع ابن العم ابن عمه، ولا الصاحب صاحبه، ولا

ينصر واحدٌ منهم غيره، ولا يستطيعون نصر أنفسهم ولا ينصرهم غيرهم.

أما قوله: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) فمن العلماء من قال: إلا من رحم الله من أهل الإيمان وجعله شفيعاً فإنه يشفع فيمن رحمهم الله أيضاً وأراد بهم الخير (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) الذي لا يغلب، (الرَّحِيمُ) بعباده وبكل شيء يريد أن يرحمه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى لكره: إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا في دنياهم من خير أو شر يجزي به المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة (مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول: مِيقَاتِ اجْتِمَاعِهِمْ أَجْمَعِينَ.

وقوله: (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا) يقول: لا يدفع ابن عم عن ابن عمه، ولا صاحب عن صاحبه شيئاً من عقوبة الله التي حلت بهم من الله (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يقول: ولا ينصر بعضهم بعضاً، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا.

وقوله: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) اختلف أهل العربية في موضع (مَنْ) في قوله: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) فقال بعض نحويي البصرة: إلا من رحم الله، فجعله بدلاً من الاسم المضمر في ينصرون، وإن شئت جعلته مبتدأً وأضمرت خبره، يريد به: إلا من رحم الله فيغني عنه. وقال بعض نحويي الكوفة قوله: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) قال: المؤمنون يشفع بعضهم في بعض، فإن شئت فاجعل (مَنْ) في موضع رفع، كأنك قلت: لا يقوم أحد إلا فلان، وإن شئت جعلته نصبا على الاستثناء والانقطاع عن أول الكلام، يريد: اللهم إلا من رحم الله.

تفسير سورة الدخان

٤٠٣

وقال آخرون منهم: معناه لا يغني مولى عن مولى شيئاً، إلا من أذن الله له أن يشفع؛ قال: لا يكون بدلاً مما في ينصرون، لأن إلا محقق، والأول منفي، والبدل لا يكون إلا بمعنى الأول. قال: وكذلك لا يجوز أن يكون مستأنفاً، لأنه لا يستأنف بالاستثناء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون في موضع رفع بمعنى: يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً إلا من رحم الله منهم، فإنه يغني عنه بأن يشفع له عند ربه.

وقوله: (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾) يقول جلّ ثناؤه واصفاً نفسه: إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه، وأهل طاعته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) وهو يوم القيامة، يفصل الله فيه بين الخلائق، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين.

وقوله: (مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾) أي: يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم.

(يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا) أي: لا ينفع قريب قريباً، كقوله: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾) [المؤمنون: ١٠١]، وكقوله: (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾) [المعارج: ١٠، ١١] أي: لا يسأل أخاه عن حاله وهو يراه عياناً.

وقوله: (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾) أي: لا ينصر القريب قريبه، ولا يأتيه نصره من الخارج.

ثم قال: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) أي: لا ينفع يومئذ إلا من رحمه الله، رَحِمَهُ اللهُ،

لخلقه (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾) أي: هو عزيز ذو رحمة واسعة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

(يَوْمَ الْفَصْلِ) هو يوم القيامة وسمي بذلك لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه دليله قوله تعالى: (لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ) [المتحنة: ٣] ونظيره قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَنْفَرُقُونَ ﴿١٤﴾) [الروم: ١٤]، فد (يَوْمَ الْفَصْلِ) ميقات الكل كما قال تعالى: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿٧﴾) [النبا: ١٧] أي الوقت المجهول لتمييز المسيء من المحسن والفصل بينهما فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا غاية في التحذير والوعيد.



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذَوُهُ فَأَخْتَلَوْهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صَبُؤْا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هذه الشجرة شجرة الزقوم التي وصفت بقوله تعالى: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾) [الصفات: ٦٤-٦٥] هي الطعام الذي يأكله الفاجر الكافر مرتكب الآثام، كما قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأَصْلَافُ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كُؤُنَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَأَلْتُونَهَا مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾) [الواقعة: ٥١-٥٣]، وتأثير هذا الطعام في بطونهم كتأثير الزيت المغلي الذي يغلي في البطون كالماء الحار الشديد الذي يغلي، ثم يقول الله ﷻ ملائكته خذوه فادفعوه بشدة إلى وسط الجحيم وليس فقط يدفع في وسط النار بل صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم.

تفسير سورة الدخان

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾) التي أخبر أنها تنبت في أصل الجحيم، التي جعلها طعاماً لأهل الجحيم، ثمها في الجحيم طعام الآثم في الدنيا بربه، والآثم: ذو الإثم، والإثم من أثم يأثم فهو أثيم. وعنى به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام.

وقال:

وقوله: (كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾) يقول تعالى ذكره: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يذاب في النار إذا أذيب بها، فتناهت حرارته، وشدت حميته في شدة السواد.

وقال أيضاً:

(كَغَلِيٍّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾) يقول: يغلي ذلك في بطون هؤلاء الأشقياء كغلي الماء المحموم، وهو المسخن الذي قد أوقد عليه حتى تناهت شدة حره، وقيل: حميم وهو محموم، لأنه مصروف من مفعول إلى فاعيل، كما يقال: قتل من مقتول.

وقال أيضاً:

يقول تعالى ذكره: (خُذُوهُ) يعني هذا الأثيم بربه، الذي أخبر جل ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام (فَاعْتَلَوْهُ) يقول تعالى ذكره: فادفعوه وسوقوه، يقال منه: عتله يعتله عتلاً إذا ساقه بالدفع والجذب؛ ومنه قول الفرزدق:

ليس الكرام بنا حليك أباهم حتى ترد إلى عطية تعتل

أي تساق دفعًا وسحبًا.

وقال:

وقوله: (إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾) : إلى وسط الجحيم. ومعنى الكلام: يقال يوم القيامة: خذوا هذا الأثيم فسوقوه دفعًا في ظهره، وسحبًا إلى وسط النار.

وقال:

وقوله: (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾) يقول تعالى ذكره: ثم صبوا على رأس هذا الأثيم من عذاب الحميم، يعني: من الماء المسخن الذي وصفنا صفته، وهو الماء الذي قال الله: (يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾) [الحج: ٢٠]، وقد بينت صفته هناك.



س: كيف قيل: (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿٣٦﴾ طَعَامُ الْإِثْمِ ﴿٤٤﴾) [الدخان: ٤٣]، [٤٤]، وقد قال تعالى في آية أخرى: (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾) [الغاشية: ٦]، **وقال:** (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٣٦﴾) [الحاقة: ٣٦]، فكيف الجمع؟

ج: وجه الجمع أن يقال: إن هناك فئة من أهل النار تقتصر في طعامها على الزقوم، وطائفة أخرى يقتصر طعامها على الضريع، وفئة ثالثة طعامها من غسلين.

أو يقال: إنهم يمكنون زمناً لا يأكلون فيه إلا الزقوم، ويمكنون زمناً آخر لا يأكلون فيه إلا الضريع، وزمناً طعامهم من غسلين، والله أعلم.



س: كيف قيل له: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾) وهو يُهان ويدفع

بشدة إلى النار؟

ج: المراد، والله أعلم، ذُقْ يا من كان يزعم في الدنيا أنه عزيز كريم،
ويا من كان يُنادى في الدنيا بالعزيز الكريم.

قال الطبري رحمه الله:

فإن قال قائل: وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله، ويذل
بالعتل إلى سواء الجحيم: إنك أنت العزيز الكريم؟ قيل: إن قوله: (إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾) غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم، ولكنه
تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه
الحكاية، لأنه كان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم، ف قيل له في
الآخرة، إذ عذب بما عذب به في النار: ذُقْ هذا الهوان اليوم، فإنك كنت
تزعم أنك أنت العزيز الكريم، وإنك أنت الذليل المهين، فأين الذي كنت
تقول وتدعي من العز والكرم، هلا تمتنع من العذاب بعزتك.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾) أي: قولوا له ذلك على وجه
التهكم والتوبيخ.



س: وضع معنى قوله: (إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، إن هذا العذاب هو الذي كنتم تتشككون فيه في

الدنيا وتتكرون وقوعه فيها هو قد حلّ بكم ونزل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾) يقول تعالى ذكره: يقال له: إن هذا العذاب الذي تعذب به اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تشكون، فتختصمون فيه، ولا توقنون به فقد لقيتموه، فذوقوه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾)، كقوله: (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصُورَ ﴿١٥﴾) [الطور: ١٣-١٥]. ولهذا قال هاهنا: (إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

أي: يقول لك الملك ذق إنك أنت العزيز الكريم بزعمك وقيل: هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص أي قال له: إنك أنت الذليل المهان وهو كما قال قوم شعيب لشعيب: (إِنَّكَ لَأَنْتَ أَلْحِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾) [هود: ٨٧] يعنون السفیه الجاهل في أحد التأويلات على ما تقدم وهذا قول سعيد بن جبیر. (إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾) أي تقول لهم الملائكة: إن هذا ما كنتم تشكون فيه في الدنيا.



قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ
سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ
﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِنَ
رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٩]

س: وضع معنى ما يلي:

(مَقَامِ أَمِينٍ - سُنْدُسٍ - إِسْتَبْرَقٍ - مُتَقَدِّلِينَ - يَدْعُونَ فِيهَا - ءَامِنِينَ - يَسْرَنَّهُ بِلسَانِكَ - يَتَذَكَّرُونَ - فَأَرْتَقِبْ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَقَامِ أَمِينٍ)	مجلس ومكان يجلسون فيه ويقيمون فيه آمنين فيه من الخوف والحزن وغير ذلك من الأوصاف والهموم وخشية الشرور
(سُنْدُسٍ)	الحرير الرقيق
(إِسْتَبْرَقٍ)	الحرير الغليظ
(مُتَقَدِّلِينَ)	يقابل بعضهم بعضاً، وجوههم متقابلة
(يَدْعُونَ فِيهَا)	يطلبون في الجنة ما يريدون (فيتحقق لهم طلبهم)
(ءَامِنِينَ)	آمنين من الانقطاع، لا يخشون عدم إجابة طلبهم
(يَسْرَنَّهُ بِلسَانِكَ)	سهلناه - سهلنا عليك قراءته
(يَتَذَكَّرُونَ)	يتعظون - يعتبرون
(فَأَرْتَقِبْ)	فانتظر



س: وضع معنى قوله: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾)

يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَدِّلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن المتقين الذين اتقوا الشرك، وكذا

اتقوا الكبائر، مقامهم يوم القيامة مقام أمين، يأمنون فيه على أنفسهم من الشرور والمصائب والعذاب وسائر الأوصاب.

إنهم في حدائق وبساتين، وكذا عيون متفجرة.

إنهم يلبسون الحرير ما رقّ منه (وهو السندس)، وما غلظ (وهو الإستبرق).

كذا وجوههم متقابلة لا ينظر أحدهم إلى قفا الآخر بل إلى وجهه.

وإضافة إلى ما ذكر، فقد زوجناهم بحور عين، النسوة الحسنات ذوات العين الحوراء شديدة البياض في شدة سواد وحسن اتساع.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه في موضع إقامة، آمنين في ذلك الموضع مما كان يخاف منه في مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان.

وقال أيضاً:

وقوله: (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾) الجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين، والمقام الأمين: هو الجنات والعيون، والجنات: البساتين، والعيون: عيون الماء المطرد في أصول أشجار الجنات.

وقوله: (يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ ﴿٥٣﴾) يقول: يلبس هؤلاء المتقون في هذه الجنات من سندس، وهو ما رق من الديباج وإستبرق: وهو ما غلظ من الديباج.

وقال:

وقوله: (مُتَقَلِّبِينَ ﴿٥٣﴾) يعني أنهم في الجنة يقابل بعضهم بعضًا بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض.
وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته.

وقال:

يقول تعالى ذكره: كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالناهم الجنات، وإلباسناهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم أيضا فيها حورا من النساء، وهن النقيات البيضاء، واحدتهن: حوراء.

وقال ابن كثير رحمه الله:

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء -ولهذا سُمِّي القرآن مثاني- فقال: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٣﴾) أي: الله في الدنيا (فِي مَقَامٍ آمِنٍ ﴿٥٤﴾) أي: في الآخرة وهو الجنة، قد آمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكبده، وسائر الآفات والمصائب.

(فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٥﴾) وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجر الزقوم، وشرب الحميم.

وقوله تعالى: (يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ) وهو: رفيع الحرير، كالقمصان ونحوها (وَالِإِسْتَبْرَقِ) وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش، وما يلبس على أعالي القماش، (مُتَقَلِّبِينَ ﴿٥٣﴾) أي: على السرر لا يجلس أحد منهم

تفسير سورة الدخان

٤١٣

وظهره إلى غيره.

وقوله: (كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾) أي: هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي (لَمْ يَطْمِثْنِ إِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾) **[الرحمن: ٥٦]** (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾) **[الرحمن: ٥٨]** (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾) **[الرحمن: ٦٠]**.

قال ابن القيم رحمه الله في «التفسير القيم»:

قوله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾).

والمقام: موضع الإقامة والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد والبلد الأمين الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم.

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾) وفي قوله تعالى: (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ ﴿٥٥﴾) فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً.

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾).

جمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضاً وتمام اللذة بالهور العين ودعائهم لجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضررتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتاً.

«والهور» جمع حوراء. وهي المرأة الشابة الحسنة، الجميلة، البيضاء شديدة سواد العين. وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف. و«عين» حسان الأعين. وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين، شديدة سواد العين.

واختلف في اشتقاق هذه اللفظة، فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة: الحور البيض. وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه. وقال مجاهد: الحور العين: التي يحار فيهن الطرف، بادياً مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كالمرأة من رقة الجلد وصفاء اللون، وهذا من الاتفاق. وليست اللفظة مشتقة من الحيرة. وأصل الحور: البياض، والتحويل التبييض. والصحيح: أن الحور مأخوذ من الحور في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها. فهو يتضمن الأمرين. وفي الصحاح للجوهري «الحور» شدة بياض العين في شدة سوادها وامرأة حوراء بينة الحور. وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين لأنهن شبيهن بالظباء والبقر، وقال الأصمعي: ما أدري

ما الحور في العين؟

قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد والحور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، ويقال: عين حوراء إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد.

و«العين» جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخ العين وامرأة عيناء والجمع عين والصحيح أن العين هن اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة قال مقاتل العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول و ضيق العين في المرأة من العيوب ^(١).

(وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾) قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين وقال يونس: قربناهم بهن وليس من عقد التزويج قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها وإنما تقول: تزوجتها قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا) [الأحزاب: ٣٧]، ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها وقال ابن سلام: تميم تقول: تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاه الكسائي أيضا وقال الأزهري: تقول العرب: زوجته امرأة

(١) حادي الأرواح ج ١ ص ٣٤٤-٣٤٦.

وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة.

قوله تعالى: (وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾) أي قرناهم وقال الفراء: هي لغة في أزدشنوة قال الواحدي وقول أبي عبيدة في هذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجا لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال كان فردا فزوجته بآخر كما يقال: شققته بآخر وإنما تمنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج.

قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معًا فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ ﴿٥٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، يسألون في الجنة ويطلبون كل ما أرادوا فيأتيهم ما أرادوا وهم آمنون من انقطاعه، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (يَدْعُونَ فِيهَا) ... الآية، يقول: يدعو هؤلاء المتقون في الجنة بكل نوع من فواكه الجنة اشتوهه، آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفاده وفنائهم، ومن غائلة أذاه ومكروهه، يقول: ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التي نأكلها، وهم يخافون مكروه عاقبتها، وغب أذاها مع نفادها من عندهم، وعدمها في بعض الأزمنة والأوقات.

وقال ابن كثير رحمه الله:

تفسير سورة الدخان

٤١٧

وقوله: (يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾)، أي: مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر لهم كلما أرادوا.



س: وضح معنى قوله تعالى: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ).

ج: المعنى، والله أعلم، أنهم لا يموتون في الجنة بل يحيون فيها أبدًا.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ) يقول تعالى ذكره لا يذوقون هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ) هذا الاستثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»^(١).

وأورد كذلك حديث: أبي سعيد وأبي هريرة، رضي الله عنهما، قالوا: قال رسول الله

ﷺ: «يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩، ٢٨٥٠) بنحوه.



تعيشوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وإن لكم أن
تشبوا فلا تهرموا أبداً»^(١).

**س: وضح معنى قوله: (وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾).**

ج: المعنى، والله أعلم، وصرف الله عن هؤلاء المتقين عذاب النار
وسلمهم منه ونجاهم تفضلاً منه ورحمة، ذلك هو الربح العظيم ثم إن الله
وقاهم وصرف عنهم عذاب النار.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره:
ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار تفضلاً يا محمد من ربك
عليهم، وإحساناً منه إليهم بذلك، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا،
ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من
ذلك، لم يقهم عذاب الجحيم، ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكروهه.

وقوله: (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾) يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطينا
هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة التي وصفت في هذه الآيات، هو
الفوز العظيم: يقول: هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه في
الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم، واتقائهم إياه، فيما امتحنهم به من
الطاعات والفرائض، واجتناب المحارم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(١) مسلم (٢٨٣٧).

تفسير سورة الدخان

٤١٩

وقوله: (وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾) أي: مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم، وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب، ونجاهم من المرهوب؛ ولهذا قال: (فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾) أي: إنما كان هذا بفضلهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحدًا لن يدخله عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»^(١).



س: وضع معنى قوله تعالى: (فَأَنَّمَا يُسْرِنُ لِسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾) **فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾).**

ج: المعنى، والله أعلم، وإنما أنزلنا عليك هذا القرآن بلسانك العربي وسهلناه عليك وسهلنا عليك قراءته حتى يفهموا عنك المراد، ومن ثم تتأتى لهم الذكرى ويجدي فيهم الوعظ إذا أراد الله ذلك لهم ولكن ومع كل هذا، فإنهم يكذبونك ويعارضونك فانتظر حلول العذاب بهم وانتقام الله منهم، وانتظر يومًا يقضى فيه بين العباد وهو يوم القيامة إنهم منتظرون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فَأَنَّمَا يُسْرِنُ لِسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك، ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبره وحججه، ويتعظوا بعظاته، ويتفكروا في آياته إذا أنت تتلوه

(١) البخاري (٦٤٦٣) وفي غير موضع، وقد تقدم، وهو عند مسلم كذلك (٢٨١٦) وله عدة طرق.

عليهم، فينبوا إلى طاعة ربهم، ويذعنوا للحق عند تبينهموه.

وقال أيضاً:

وقوله: (فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □ :
فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك، والنصر على هؤلاء المشركين بالله
من قومك من قريش، إنهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبتك بصددهم
عما أتيتهم به من الحق من أراد قبوله واتباعك عليه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾) أي: إنما يسرنا هذا
القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيئاً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات
وأجلاها وأحلاها وأعلاها (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾) أي: يتفهمون ويعملون.
ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وخالف وعاند، قال
الله تعالى لرسوله مسلماً له وواعداً له بالنصر، ومتوعداً لمن كذبه بالعطب
والهلاك: (فَأَرْتَقِبْ) أي: انتظر ﴿ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴾ (٥٩) أي: فسيعلمون لمن يكون
النصر والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد وإخوانك
من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين، كما قال تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ
لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾) [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ
رُسُلَنَا الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾) يوم لا ينفع الظالمين
مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾) [غافر: ٥١، ٥٢] .

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ) يعني القرآن أي سهلناه بلغتك عليك
وعلى من يقرؤه: (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾) أي يتعظون وينزجرون

تفسير سورة الدخان

٤٢١

ونظيره (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾) [القمر : ١٧] فختم السورة بالحث على اتباع القرآن وإن لم يكن مذكورا كما قال في مفتتح السورة : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾) [القدر : ١] على ما تقدم.

(فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾) أي: انتظر ما وعدتك من النصر عليهم إنهم ينتظرون لك الموت حكاة النقاش وقيل : انتظر الفتح من ربك إنهم ينتظرون بزعمهم قهرك وقيل : انتظر أن يحكم الله بينك وبينهم فإنهم ينتظرون بك ريب الحدثان والمعنى متقارب وقيل : ارتقب ما وعدتك من الثواب فإنهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب وقيل : ارتقب يوم القيامة فإنه يوم الفصل وإن لم يعتقدوا وقوع القيامة جعلوا كالمرتقبين لأن عاقبتهم ذلك، والله تعالى أعلم.



MOSTAFAALADIN.COM

سورة الجاثية

قال الله تعالى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(حَمْدٌ ۝١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤
وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧
يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝٩
مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَذَا هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ
عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١) [الجاثية: ١-١١]

س: اذكر معنى ما يلي:

(يَبْتُ - يُوقِنُونَ - وَ بَرِيْفَ الرِّيحِ - أَفَاكِ - أَثِيرٍ - أَخَذَهَا هُزُواً - مُهِينٌ - رَجَزَ أَلِيمٌ) .
ج:

الكلمة	معناها
(يَبْتُ)	ينشر - يُفَرِّق
(يُوقِنُونَ)	يصدقون
(بَرِيْفَ الرِّيحِ)	تنويع الرياح (باردة - حارة - رحمة - عذاب - شمالية - جنوبية - تنزل في أرض وتترك أخرى...)
(أَفَاكِ)	كذاب
(أَثِيرٍ)	مرتكب للآثام
(أَخَذَهَا هُزُواً)	سخر منها واستهزأ بها
(مُهِينٌ)	مذلٌ مخزي
(رَجَزَ أَلِيمٌ)	عذابٌ مؤلم موجه



س: وضح معنى قوله تعالى: (حَمَّ ١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ (إلى قوله: وَتَصْرِيفِ

الرِّيحِ ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥).

ج: أما قوله: (حَمَّ ١) فقد تقدم الكلام عليها بما حاصله أنها حروف

مقطعة أمرها موكلٌ إلى الله.

وقوله: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢) فمعناه هذا القرآن تنزيل أنزله الله

عَلِيكَ العزيز الذي لا يُغلب بل هو غالبٌ على أمره منتقم من أعدائه. (الْحَكِيمِ ٢)

في كل شيء كتدبير أمر الخلق، وفيما شرع من الشرع، وفي كل شيء.

ثم إن الله سبحانه وتعالى يوجّه الأنظار إلى آياته الدالة على قدرته ووحدانيته في السماء والأرض فيقول سبحانه: (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾) أي: لدلالات وحجج على وحدانية الله ﷻ، تلك الآيات التي منها الشمس والقمر والنجوم السيارة والتي منها نزول الغيث والسحاب المسخر، والتي منها الجبال الرواسي والنباتات ذات الألوان البهيجة وعموم ما فيها من الآيات والحجج.

وكذا يوجه النظر إلى خلق الإنسان وما فيه من وجوه الإعجاز فيقول تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ وكذا في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما وكون هذا يطول أحياناً ويقصر أحياناً، وهذا بظلمته، وذاك بضياءه في كل ذلك آيات، ودلالات على قدرة الله ووحدانيته وكذا في المطر النازل من السماء وإحياء الأرض به بعد موتها وما يخرج بسببه من النباتات، وتنويع الرياح مرة حارة، وأخرى باردة، ومرة ترسل رحمة، ومرة تُرسل عذاباً، ومرة تأتي شمالية، ومرة جنوبية إلى غير ذلك، كل ذلك فيه آيات ودلالات على وحدانيتنا وقدرتنا، ولكن لمن تعقلها وتدبرها وتأملها، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ) فإن معناه: هذا تنزيل القرآن من عند الله ﴿الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في تدبيره أمر خلقه.

وقوله: (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾) يقول تعالى ذكره: إن في السموات السبع اللاتي منهن نزول الغيث، والأرض التي منها خروج الخلق أيها الناس ﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: لأدلة وحججاً للمصدقين

بالحجج إذا تبيينوها ورأوها.

وقال أيضاً:

في تأويل قوله تعالى : (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾) .

يقول تعالى ذكره: وفي خلق الله إياكم أيها الناس، وخلق ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها من غير جنسكم (آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾) يعني: حججاً وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء، فيقرون بها، ويعلمون صحتها.

وقال أيضاً:

في تأويل قوله تعالى : (وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾) .

يقول تبارك وتعالى : (وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أيها الناس، وتعاقبهما عليكم، هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه (وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم، وإحيائه الأرض بعد موتها: يقول: فأثبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض، حتى اهتزت بالنبات والزرع من بعد موتها، يعني: من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع.

وقوله: (وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ) يقول: وفي تصريفه الرياح لكم شمالاً مرة،

وجنوباً أخرى، وصبا أحياناً، ودبوراً أخرى لمنافعكم.

وقد قيل: عنى بتصريفها بالرحمة مرة، وبالعذاب أخرى.

وقال أيضاً:

وقوله: (آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾) يقول تعالى ذكره: في ذلك أدلة وحجج لله

على خلقه، لقوم يعقلون عن الله حججه، ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يُرشد تعالى خلقه إلى التفكير في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات الأرض، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه وهذا بضياءه، وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقاً؛ لأن به يحصل الرزق، (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أي: بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء.

وقوله: (وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ) أي: جنوباً وشمالاً، ودبوراً وصباً، بحرية وبرية، ليلية ونهارية. ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها ما هو غذاء للأرواح، ومنها ما هو عقيم.

وقال أولاً: (لَا يَدْرِي لِمُؤْمِنِينَ) ٣، ثم (يُؤْتُونَ) ٤، ثم (يَعْقِلُونَ) ٥، وهو تَرْقُّ من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى. وهذه الآيات شبيهة بآية «البقرة» وهي قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤).



تفسير سورة الجاثية

٤٢٧

س: **وضح معنى قوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَابَتِهِ يُؤْمِنُونَ) (٦).**

ج: المعنى، والله أعلم، تلك الآيات والحجج التي تتلى عليك هي آيات الله ﷻ وحججه نقصها عليك يا رسول الله ونخبرك بها بالحق والصدق، لا باطل فيها ولا كذب، وكذا نخبرك بها متضمنة الحق، فبأي حديث بعد حديث الله يؤمنون، وبأي حجج بعد حجج الله يؤمنون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحق: يقول: نخبرك عنها بالحق لا بالباطل، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل، أنها تقر بهم إلى الله زلفى، فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون: يقول تعالى ذكره للمشركين به: فبأي حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم، وبعد حججه عليكم وأدلته التي دلكم بها على وحدانيته من أنه لا رب لكم سواه، تصدقون، إن كنتم كذبتم لحديثه وآياته. وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين، وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين.

وأما على قراءة من قرأه: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالياء، فإن معناه: فبأي حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك وآياته هذه التي نبيه هؤلاء المشركين عليها، وذكرهم بها، يؤمن هؤلاء المشركون، وهي قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة، ولكلتا القراءتين وجه صحيح، وتأويل مفهوم،

فبأية القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب عندنا، وإن كنت أميل إلى قراءته بالياء إذ كانت في سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر، وذلك قوله: (لَقَوْمٍ يُوقَتُونَ ﴿٤﴾) و(لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: هذه آيات الله - يعني القرآن بما فيه من الحجج والبيانات - (تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ)، أي: منضمنة الحق من الحق، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها؛ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟!



س: التذكير ينبغي أن يكون تذكيراً بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، فهذا الذي ينبغي أن يُغلب، دُلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَأَعْيُنُهُ يَوْمُونَ ﴿٦﴾) **[الجاثية: ٦].**

وقوله تعالى: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾) **[ق: ٤٥].**

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾) **[القمر: ٤].**



س: تضمنت مطالع هذه السورة الكريمة عدداً من براهين البعث، وضح ذلك.

ج: أورد ذلك الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ، فقال:

والأول من البراهين المذكورة هو خلق السماوات والأرض المذكور هنا في سورة الجاثية هذه: (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾) لأن خلقه جلّ وعلا للسماوات والأرض، من أعظم البراهين على بعث الناس بعد

تفسير سورة العنكبوت

٤٢٩

الموت لأن من خلق الأعظم الأكبر، لا شك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر.

والآيات الدالة على هذا كثيرة كقوله تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) [غافر: ٥٧]، أي ومن قدر على خلق الأكبر فلا شك أنه قادر على خلق الأصغر، وقوله تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) ﴿٨١﴾ [يس: ٨١]، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَمْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ﴿٣٣﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) [الاسراء: ٩٠]، وقوله تعالى: (إِنَّكُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ بَنَاهَا) ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْفُسِكُمْ ﴿٣٣﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

ونظير آية النازعات هذه قوله تعالى في أول الصافات: (فَأَسْفَفْنَاهُمْ أَهْمَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) [الصافات: ١١]، لأن قوله: (أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) يشير به إلى خلق السماوات والأرض، وما ذكر معهما المذكور في قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ) ﴿٥﴾ إلى قوله: (فَأَتَّبَعُهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) ﴿١٠﴾).

[الصافات: ١٠-٥]

وأما الثاني من البراهين المذكورة: فهو خلقه تعالى للناس المرة الأولى، لأن من ابتدع خلقهم على غير مثال سابق، لا شك في قدرته على إعادة خلقهم، مرة أخرى كما لا يخفى.

والاستدلال بهذا البرهان على البعث كثير جدًا في كتاب الله كقوله

تعالى: (يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ) [الحج: ٥]، إلى آخر الآيات، وقوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩) [يس: ٧٨-٧٩]، وقوله تعالى: (وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَذَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۝٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ) [مريم: ٦٦-٦٨]، وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الروم: ٢٧]، وقوله تعالى: (فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الإسراء: ٥١]، وقوله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۝١٠٤) [الأنبياء: ١٠٤]، وقوله تعالى: (أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥) [ق: ١٥]، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢) [الواقعة: ٦٢]، وقوله تعالى: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَن عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَىٰ ۝٤٧) [النجم: ٤٥-٤٧]، وقوله تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُنْعَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَمَا يَسْوَىٰ ۝٣٨ فَعَمِلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۝٤٠) [القيامة: ٣٦-٤٠]، وقوله تعالى: (وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤) إلى قوله: (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧) [التين: ١-٧]، يعني أي شيء يحملك على التكذيب بالدين أي بالبعث والجزاء، وقد علمت أني خلقتك الخلق الأول في أحسن تقويم، وأنت تعلم أنه لا يخفى على عاقل أن من ابتدع الإيجاد الأول لا شك في قدرته، على إعادته مرة أخرى إلى غير ذلك من الآيات.

وأما البرهان الثالث منها: وهو إحياء الأرض بعد موتها المذكور في

تفسير سورة الجاثية

٤٣١

قوله تعالى في سورة الجاثية هذه: (وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) [الجاثية: ٥]، فإنه يكثر الاستدلال به أيضا على البعث في القرآن العظيم، لأن من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم، لأن الجميع أحياء بعد موت.

فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾) [فصلت: ٣٩]، وقوله تعالى: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِعَتْ مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ بِهَيْجٍ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ أَنْ يُولِئَ الْمُوتِ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧٠﴾) [الحج: ٥٠-٧٠]، وقوله تعالى: (فَانْظُرْ إِلَى ثَأْنِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾) [الروم: ٥٠]، وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِبَيْتِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفْلَحَ سَحَابًا ثَقَالًا سُقْنَتْهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾) [الأعراف: ٥٧].

فقوله تعالى: (كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتِ) أي نبعثهم من قبورهم أحياء كما أخرجنا تلك الثمرات بعد عدمها، وأحيينا بإخراجها ذلك البلد الميت، وقوله تعالى: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ) [الروم: ١٩]، يعني تخرجون من قبوركم أحياء بعد الموت، وقوله تعالى: (وَأَحْيَيْنَاهُ بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْخُرُوجِ ﴿١١﴾) [إق: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضع معنى الآيات الكريمات: (وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾... ﴿١١﴾ إلى قوله: (رَجَزَ أَلِيمٌ ﴿١١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، عذاب شديد ووعيد أكيد، ووادٍ في جهنم يسيل إلى صديد أهل النار لكل كذاب يكذب على الله، ويكذب بآيات الله، ومرتكب للآثام والمحرمات، ذاك الذي شأنه أنه إذا سمع آيات الله، وإذا ثلّيت عليه وذُكر بها يرفضها ويكذب بها ويصر على كفره بها وجوده لها وإنكاره ويمر بها وكأنها لم تتل عليه، فبشر هذا الأفَّاك الأثيم بعذاب مؤلم موجه يناله يوم القيامة، وإذا بلغته آية أو جاءه العلم بها سخر منها واستهزأ بها واتخذها مجالاً للسخرية والجحود والإنكار، فله على هذا الاستهزاء وعلى تلك السخرية من الآيات يوم القيامة عذاب مُذلّ مهين مخزي، تنتظره جهنم (فكلمة: (مِنْ رَأْيِهِمْ) قال البعض: معناه أمامهم وتنتظرهم)، ولن تغني عنهم أصنامهم التي عبدوها من دون الله ولن تغني عنهم أموالهم التي اكتسبوها ولا أولادهم الذين هم كسبٌ لهم، لن يغني عنهم كل هذا عند الله ﷻ بشيء، بل وقد أعدّ لهم يوم القيامة العذاب العظيم. ثمّ يثني ربنا سبحانه وتعالى ويمدح كتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ، وجديرٌ به أن يُمدح وجدير به أن يُثنى عليه، فيقول تعالى: (هَذَا الْقُرْآنُ هُدًى) هدايات إلى طريق الله ﷻ وإلى جنته ومرضاه فمن اتبعه اهتدى، ومن حاد عنه وكفر به وجحده له عذاب أليم مؤلم موجه يوم القيامة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الوادي السائل من صديد أهل جهنم، لكل كذاب ذي إثم بربه، مفتر عليه (يَسْمَعُ أَيْتَ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ) يقول: يسمع آيات كتاب الله تقرأ

تفسير سورة الجاثية

٤٣٣

عليه (ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه، ولا راجع عنه (مُسْتَكْبِرًا) على ربه أن يذعن لأمره ونهيه (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) يقول: كأن لم يسمع ما تلي عليه من آيات الله بإصراره على كفره (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾) يقول: فبشر يا محمد هذا الأفاك الأثيم الذي هذه صفته بعذاب من الله له. (أَلِيمٍ ﴿٨﴾): يعني: موجه في نار جهنم يوم القيامة.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (وَيَلِكُلْ أَفَاكِ أَيْمٍ ﴿٧﴾) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾).

يقول تعالى ذكره: يقول تعالى ذكره: (وَإِذَا عَلِمَ) هذا الأفاك الأثيم (مِنْ) آيات الله (شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) يقول: اتخذ تلك الآيات التي علمها هزوءًا، يسخر منها، وذلك كفعل أبي جهل حين نزلت (إِن شَجَرَتِ الرَّقُومُ ﴿٤٤﴾) طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿٤٤﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤] إذ دعا بتمر وزيد فقال: ترقموا من هذا، ما يعدكم محمد إلا شهدًا، وما أشبه ذلك من أفعالهم.

وقوله: (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل، وهم الذين يسمعون آيات الله تتلى عليهم ثم يصرون على كفرهم استكبارًا، ويتخذون آيات الله التي علموها هزوءًا، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم في نار جهنم، بما كانوا في الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته، وإنما قال تعالى ذكره (أُولَئِكَ) فجمع. وقد جرى الكلام قبل ذلك ردًا للكلام إلى معنى الكل في قوله: (وَيَلِكُلْ أَفَاكِ أَيْمٍ ﴿٧﴾).

وقال في تأويل قوله تعالى : (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا

أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾).

يقول تعالى ذكره: ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله، يعني: من

بين أيديهم. وقد بينا العلة التي من أجلها قيل لما أمامك، هو وراءك، فيما مضى بما أغنى عن إعادته؛ يقول: من بين أيديهم نار جهنم هم واردها، ولا يغنيهم ما كسبوا شيئاً؛ يقول: ولا يغني عنهم من عذاب جهنم إذا هم عذبوا به ما كسبوا في الدنيا من مال وولد شيئاً.

وقوله: (وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) يقول: ولا آلهتهم التي عبدوها من

دون الله، ورؤساؤهم، وهم الذين أطاعوهم في الكفر بالله، واتخذوهم نصراء في الدنيا، تغني عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئاً. (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ﴿١٠﴾ يقول: ولهم من الله يومئذ عذاب في جهنم عظيم.

وقال في تأويل قوله تعالى : (هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ

أَلِيمٌ ﴿١١﴾).

يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد هدى؛ يقول:

بيان ودليل على الحق، يهدي إلى صراط مستقيم، من اتبعه وعمل بما فيه، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) ﴿١١﴾ يقول: والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق، ولم يصدقوا بها، ويعملوا بها، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: (وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾) أي: أفاك في قوله كذاب، حلاف مهين

أثيم في فعله وقيله كافر بآيات الله؛ ولهذا قال: (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ) أي:

تفسير سورة الجاثية

٤٣٥

تقرأ عليه (ثُمَّ يُصْرُ) أي: على كفره وجحوده استكباراً وعناداً (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا) أي: كأنه ما سمعها، (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾) أي: فأخبره أن له عند الله يوم القيامة عذاباً أليماً موجعاً.

(وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَ هُزُوءًا) أي: إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به واتخذهُ سخرياً وهزواً، (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾) أي: في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به؛ ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.

ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال: (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) أي: كل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة، (وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا) أي: لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، (وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أي: ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دُونِ اللَّهِ شيئاً، (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾). **ثم قال تعالى:** (هَذَا هُدًى) يعني: القرآن، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَلَتَّبِعُ لَهُمْ جَهَنَّمُ) رَجَزٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ وهو المؤلم الموجع.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أَضْوَاءِ الْبَيَانِ»:

قوله تعالى: (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) قد قدمنا الآيات الموضحة له مع الشواهد العربية في سورة إبراهيم في الكلام على قوله تعالى: (وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ) [إبراهيم: ١٥-١٦]، وبيننا هناك أن أصح الوجهين أن وراء بمعنى: أمام.

فمعنى (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) أي: أمامه جهنم يصلها يوم القيامة كما قال

تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف: ٧٩)، أي: أمامهم ملك.



MOSTAFAALADWY.COM

قال الله تعالى:

(﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيُنَبِّئُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَدَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا يَلْتَهُمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أُجْرَتْهُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَجْعَلَهُمُ اللَّهُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ١٢-٢٢]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿الْفُلُكُ - لِيَبْتَغُوا-يَغْفِرُوا-أَيَّامَ اللَّهِ-بَنَى إِسْرَءِيلَ-الْكِتَابَ-وَالْحُكْمَ-يَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ-بَغِيًّا يَنْهَمُ-يَقْضَى-شَرِيعَةً مِنَ الْأَمْرِ-بَصِيرٌ-أَجْرَحُوا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(الْفُلُكُ)	السفن العظيمة
(لِيَبْتَغُوا)	لتلتمسوا - لتطلبوا رزقه
(يَغْفِرُوا)	يصفحوا ويتجاوزوا
(أَيَّامَ اللَّهِ)	الأيام التي أنزل فيها بأسه بعباده - أيام النقم التي ينتقم الله فيها من الظالمين
(بَنَى إِسْرَءِيلَ)	أولاد يعقوب ﷺ وذريته من بعدهم
(الْكِتَابَ)	التوراة والإنجيل والزبور
(الْحُكْمَ)	جعلنا الحكم فيهم فكانت تسوسهم أنبياءهم، وقيل: الحكم الفهم في الدين
(يَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ)	حجج واضحات يستدلون بها على وحدانية الله وعلى صدق المرسلين
(بَغِيًّا يَنْهَمُ)	حسدًا وظلمًا من بعضهم لبعض
(يَقْضَى)	يحكم
(شَرِيعَةً مِنَ الْأَمْرِ)	طريقة وسنة ومنهاجًا
(بَصِيرٌ)	جمع بصيرة، يبصرون بها الحق من الباطل
(أَجْرَحُوا)	اكتسبوا - ما فعلوا

تفسير سورة الجاثية

٤٣٩

س: **وضح معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرىَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْنِىَوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٣).**

ج: يُذَكِّرُ الله ﷻ عباده بمننه عليهم وتسخيره البحر لهم، تسير فيه سفنهم العظيمة بتيسير الله لهم، وذلك كي تنقلهم من بلدة إلى بلدة يلتمسون فيه رزق الله ﷻ، وذلك كي يقدم العباد شكرًا لله ﷻ على ما منَّ به عليهم وأنعم، وكذا سخر لهم ما في السموات من شمس وقمر ونجوم سيارة، وكذا السحب، وكذا سخر لهم ما في الأرض من جبال وأنهار وبحار وعموم ما ينتفع به فيها، إن في ذلك لدلالات على وحدانية الله ﷻ لقوم يتفكرون في وحدانية الله وقدرته ﷻ.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (اللَّهُ) أيها القوم، (الَّذِي) لا تتبغى الألوهة إلا له، الذي أنعم عليكم هذه النعم، التي بينها لكم في هذه الآيات، وهو أنه (سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرىَ) السفن (فِيهِ بِأَمْرِهِ) لمعايشكم وتصرفكم في البلاد لطلب فضله فيها، ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه.

وقال رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ) من شمس وقمر ونجوم (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جَمِيعًا مِّنْهُ). يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم، فإياه فاحمدوا

لا غيره؛ لأنه لم يشركه في إناعم هذه النعم عليكم شريك، بل تفرد بإنعامها عليكم وجميعها منه، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكاً بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهية، فإنه لا إله لكم سواه.

وقال:

وقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾) يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم في هاتين الآيتين (الآيتين) يقول: لعلامات ودلالات على أنه لا إله لكم غيره، الذي أنعم عليكم هذه النعم، وسخر لكم هذه الأشياء التي لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلتها، فيعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها، وفكروا فيها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يذكر تعالى نعمه على عبده فيما سخر لهم من البحر (يَجْرِي الْفُلُكُ) ، وهي السفن فيه بأمره تعالى، فإنه هو الذي أمر البحر أن يحملها (وَلْيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) أي: في المتاجر والمكاسب، (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾) أي: على حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق الفاصية.

ثم قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي: من الكواكب والجبال، والبحار والأنهار، وجميع ما تنتفعون به، أي: الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه؛ ولهذا قال: (جَمِيعًا مِّنْهُ) أي: من عنده وحده لا شريك له في ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَكُ مِنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَلِإِيَّاهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

وروى ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: (وَسَخَّرَ

تفسير سورة الجاثية

٤٤١

لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ (كل شيء هو من الله، وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه، فذلك جميعاً منه، ولا يمتاز فيه المناز عون، واستيقن أنه كذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (١٤).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لمن اتبعوك وصدقوك يتجاوزوا ويصفحوا عن أهل الكفر الذين لا يبالون بعذاب الله ولا يتعظون بما حلّ بأسلافهم ولا يخشون الأيام التي ينزل الله فيها بأسه بالظالمين، قل لأهل العلم يتجاوزوا عنهم ويصفحوا، فإن الله مجازيهم بما كسبوه وما اقتترفوه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك، يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه (لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (١٤) يقول: ليجزى الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة، فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم، ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: (قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) أي: يصفحوا عنهم ويحملوا الأذى منهم. وهذا كان في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم

لما أصرّوا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاذ والجهاد. هكذا روي عن ابن عباس، وقتادة.

وقال مجاهد: (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) لا ينالون نعم الله.

وقوله: (لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾) أي: إذا صفحوا عنهم في الدنيا، فإن الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة؛ ولهذا قال: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾) أي: تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم فيجزىكم بأعمالكم خيرها وشرها.

س: هل هذه الآية: (قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)

منسوخة؟

ج: ذهب كثير من أهل العلم إلى أنها منسوخة.

أخرج الطبري بسند حسن عن قتادة في قوله: (قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) قال: نسختها ما في الأنفال (فَأَمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾) [الأنفال: ٥٧]، وفي براءة: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقَاتِلُوكُمْ كَافَّةً) [التوبة: ٣٦] أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.



س: وضع معنى قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا ثُمَّ

إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، من عمل أعمالًا صالحةً فذلك عائدٌ على نفسه ولن ينتفع الله منه بشيء، ومن أساء في عمله فإثم ذلك عائدٌ عليه ثم

إن الله عَلَّمَ المرجع والمآب.

وهذا كما في الحديث القدسي (١): «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً».

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى تكملة: من عمل من عباد الله بطاعته فأنتهى إلى أمره، وانزجر لنهييه، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، وطلب خلاصها من عذاب الله، أطاع ربه لا لغير ذلك، لأنه لا ينفع ذلك غيره، والله عن عمل كل عامل غني (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا) يقول: ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه، وخلافه فيها أمره ونهييه، فعلى نفسه جنى، لأنه أوبقها بذلك، وأكسبها به سخطه، ولم يضر أحداً سوى نفسه (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾) يقول: ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم، فيجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، فمن ورد عليه منكم بعمل صالح، جوزي من الثواب صالحاً، ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزي من الثواب سيئاً.



س: كيف فضل بني إسرائيل على العالمين، وقد قال تعالى في شأن

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

أمة محمد ﷺ: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران: ١١٠]؟

ج: لأهل العلم جوابان على ذلك:

أحدهما: أنهم فضّلوا على العالمين في زمانهم.

الثاني: أنهم فضلوا على العالمين كلهم بكثرة الأنبياء فيهم وكثرة المعجزات التي رأوها، والله أعلم.



س: وضح معنى الآيات الكريمات: (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ) إلى قوله: (يَخْلِفُوكَ) (١٧).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد مننا على بني إسرائيل بإنزال كتب على أنبيائهم كالتوراة التي نزلت على موسى ﷺ، وكذا الزبور الذي آتاه الله داود ﷺ، وكذا الإنجيل الذي آتاه الله عيسى ﷺ، وكذا مننا عليهم بالفهم وأيضاً سياسة الناس وقيادتهم، فقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبيأؤهم، وكذا مننا عليهم بكثرة الأنبياء فيهم، ورزقناهم من الطيبات كالمن والسلوى وغير ذلك، وفضلناهم على العالمين في زمانهم، وآتيناهم حججاً وأدلة وبراهين للاستدلال بها على وحدانية الخالق سبحانه وصدق المرسلين، فلما جاءهم الحق، والعلم، دبّ بينهم الاختلاف، وما كان ينبغي أن يحدث العلم اختلافاً، ولكن حملهم على هذا الخلاف حسد بعضهم لبعض من أجل الرياسات، وظلم بعضهم لبعض طمعاً فيما في يديه.

ثم إن الله ﷻ توعدهم بقوله: (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْلِفُوكَ) (١٧).

قال الطبري رحمه الله:

تفسير سورة الجاثية

٤٤٥

يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدْ آتَيْنَا) يا محمد (بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ) يعني: التوراة والإنجيل، (وَالْحُكْمَ) يعني: الفهم بالكتاب، والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب، (وَالنُّبُوَّةَ) يقول: وجعلنا منهم أنبياءً ورسلاً إلى الخلق، (وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول: وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا، وذلك ما أطعمهم من المن والسلوى (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾) يقول: وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشام.

وقال في تاويل قوله تعالى: (وَأَتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾).

يقول تعالى ذكره: وأعطينا بني إسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا إليهم التوراة فيها تفصيل كل شيء (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) طلباً للرياسات، وتركاً منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيله.

وقوله: (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بغياً بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون بعد العلم الذي آتاهم، والبيان الذي جاءهم منه، فيفلج المحق حينئذٍ على المبطل بفصل الحكم بينهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم، وجعله الملك فيهم؛ ولهذا قال: (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) أي: من المأكَل والمشارب، (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾) أي: في زمانهم.

(وَعَايَنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ) أي: حججاً وبراهين وأدلة قاطعات، فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة، وإنما كان ذلك بغياً منهم على بعضهم بعضاً، (إِنَّ رَبَّكَ) يا محمد (يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) ﴿١٧﴾ أي: سيفصل بينهم بحكمه العدل. وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) ﴿١٩﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ثم جعلناك يا رسول الله من بعد ما آتينا بني إسرائيل الذي آتيناهم، جعلناك يا رسول الله على سنة ومنهاج وفرائض وحدود وأوامر ونواهي، فالزم تلك الشريعة التي شرعناها لك ولا تتبع أهواء أهل الجهل الذين لا يقرون الله بالوحدانية، بل ويعبدون معه آلهة أخرى، فإن هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإن الظالمين بعضهم أنصار لبعض وأولياء لبعض في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً.

أما أهل التقى، فالله ﷻ يتولاهم ويحفظهم وينصرهم ويسددهم.

قال الطبري رحمه الله:

تفسير سورة الجاثية

٤٤٧

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) يا محمد من بعد الذي أتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم (عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ) يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا (فَاتَّبِعَهَا) يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به.

وقوله: (إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الجاهلين ببرهم، الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهوائهم، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم، وخالفتم شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئاً، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك، وينقذك منه.

وقوله: (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يقول: وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض، وأعوانهم على الإيمان بالله وأهل طاعته (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره: والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بكفايته، ودفاع من أراده بسوء، يقول جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه ولي من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثرت عددهم، لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك وناصرك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعَهَا) أي: اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو، وأعرض عن المشركين، وقال هاهنا: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) أي:

وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً، فإنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً، (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾)، وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات.



س: ووضح معنى قوله تعالى: (هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ﴿١٩﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، هذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا رسول الله بصائر يبصر بها أهل الإيمان الحق من الباطل، والغى من الرشاد، والصواب من الخطأ، والصدق من الكذب، فمن فقد هذا القرآن فقد تلك البصائر وفقد التمييز.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقال تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾) [المائدة: ١٥-١٦].
وكذا فهذا القرآن هداية يهتدي بها أهل اليقين ومن أراد الله أن يرحمهم، أولئك الموقنون المصدقون.

أورد الطبري أثراً عن ابن زيد بسند صحيح عنه في قوله: (هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ) قال: القرآن. قال: هذا كله إنما هو في القلب. قال: والسمع والبصر في القلب. وقرأ: (فَاتَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي

الضُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج: ٤٦]، وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها.

وقال:

وقوله: (وَهْدَى) يقول: ورشاد (وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ﴿٢٠﴾ بحقيقة صحة هذا القرآن، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. وخص جل ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة؛ لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليه عى وله حزناً.



س: الهداية بهذا الكتاب العزيز إنما هي لأهل الإيمان، فهم المنتفعون بها. دَلِّلْ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) ﴿٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) [فصلت: ٤٤].

وقوله تعالى: (هَٰذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ﴿٢٠﴾.

[الجاثية: ٢٠]

وقوله تعالى: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ ءِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أفضن أهل الشرك والذين فعلوا السوء واستمروا على العصيان أن نسوي بينهم وبين أهل الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والآخرة، ساء ما ظنوا بنا؛ بل سنجازي المحسن بإحسانه ونجازي المسيء بما عمل إن شئنا.

قال تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾) [السجدة: ١٨].
وقال سبحانه: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾) [ص: ٢٨].

وقال تعالى: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾) [القلم: ٣٥] ... إلى غير ذلك من
الآيات التي أفادت أن الله ﷻ لا يسوي بين المسلم والكافر والطائع والعاصي، والله أعلم.

قال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: لا يستوي المؤمنون والكافرون، كما قال: (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾) [الحشر: ٢٠]، وقال هاهنا: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) أي: عملوها وكسبوها (أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) أي: نساوليهم بهم في الدنيا والآخرة! (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾) أي: ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساولي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار.

تفسير سورة الجاثية

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) يقول تعالى ذكره: أم ظن الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ... ﴿٤٥١﴾ الآية، لعمرى لقد تفرق القوم في الدنيا، وتفرقوا عند الموت، فتباينوا في المصير.

وقال في قوله: (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤٥١﴾) يقول تعالى ذكره: بس الحكم الذي حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء محياهم ومماتهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَاجْزَىٰ كُلِّ

نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾).

ج: تكلم الطبري عليها فأجاد إذ قال:

يقول تعالى ذكره: (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) للعدل والحق، لا

لما حسب هؤلاء الجاهلون بالله، من أنه يجعل من اجترح السيئات، فعصاه وخالف أمره، كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، في المحيا والممات، إذ

كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف، يقول جلّ ثناؤه: فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور، ولكننا خلقناهما للحق والعدل. ومن الحق أن نخالف بين حكم المسيء والمحسن، في العاجل والآجل.

وقوله: (وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يقول تعالى ذكره: وليثيب الله كل عامل بما عمل من عمل خلق السموات والأرض، المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جرم غيره، فنعاقبه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه، ولكن لنجزى كلا بما كسبت يده، وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم.



قال الله تعالى:

(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَشْنَوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدُ بِخَسِرٍ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَذَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُخْرَجُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِيفِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَّلَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُ مَا كُنَّا نَفِيسَتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾).

[الجاهلية: ٢٣-٣٧]

س: وضع معنى ما يلي:

(إِلَهَهُ - هَوْنُهُ - غَشَوَهُ - الدَّهْرُ - حُجَّتَهُمْ - لَارِيْبَ فِيهِ - الْمُبْطِلُونَ - جَائِيَةٌ - كِنْدِيهَا - نَسْتَسِيخُ - بِمُسْتَيْقِنِينَ - وَبَدَاهُمْ - سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا - جَاقَ بِهِمْ - نَسْنَكُمُ - هُزُوا - غَرَّكُمُ - يُسْعَبُونَ - الْكِبَرِيَاءُ).

ج:

معناها	الكلمات
معبوده	(إِلَهَهُ)
ما تهواه نفسه، وما تحبه وتشتهيه	(هَوْنُهُ)
غطاء	(غَشَوَهُ)
الأيام والليالي والسنون وطول العمر - الزمان	(الدَّهْرُ)
رُدُّهم - مستندهم	(حُجَّتَهُمْ)
لا شك في وقوعه	(لَارِيْبَ فِيهِ)
أصحاب القول الباطل الذين زعموا أن الله ﷻ شريكاً، والذين زعموا أنه لا بعث، والمكذبون بآيات الله	(الْمُبْطِلُونَ)
باركة على ركبها	(جَائِيَةٌ)
كتاب أعمالها الذي كتبه الملائكة الحفظة	(كِنْدِيهَا)
نكتب (نأمر ملائكتنا بكتابة أعمالكم)	(نَسْتَسِيخُ)
بمتحققين - بمتأكدين	(بِمُسْتَيْقِنِينَ)
ظهر لهم وتبين	(وَبَدَاهُمْ)
الأعمال السيئة التي عملوها	(سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا)

تفسير سورة الجاثية

٤٥٥

نزل بهم وحلاً	(جَاقَ بِهِمْ)
نترككم في العذاب - نعاملكم معاملة من نسيكم	(نَسَنَكُمُ)
سخرية واستهزاء	(هَزَوْا)
خدعتكم - غرتكم - شغلتكم	(غَرَّتْكُمْ)
يسترضون - يُعَاتِبُونَ - يُطْلَبُ مِنْهُمْ أَنْ يَدَافِعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ - يَرُدُّونَ إِلَى الدُّنْيَا	(يُسْتَعْتَبُونَ)
السلطان والمجد والعظمة والعزة	(الْكِبَرِيَاءُ)



س: **وضح معنى قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ).**

ج: المعنى، والله أعلم، أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبدده هو الهوى الذي تهواه نفسه وتشتهيه؟! فعبد كل ما تهواه نفسه، فإذا وجد حجراً أبيضاً واشتهته نفسه عبده، وإن وجد شجرة هي أحسن عبدها، وإذا هوى صنماً عبده، فالحاصل أنه يعبد ما يريد وما يحب وما يشتهي، هذا قول فريق من أهل العلم.

وقال آخرون: المعنى أفرأيت من اتخذ دينه بهواه فيحلل لنفسه ما يحل ويحرم ما يريد، فيأتمر بأمر نفسه.

وقد ذكر الطبري رَحِمَهُ اللهُ الْقَوْلِينَ فَقَالَ:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) فقال

بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحل ما حل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به.

قال: وقال آخرون: بل معنى ذلك أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسه من شيء.

ثم قال:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هو من شيء دون إله الحق الذي له الألوهية من كل شيء؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) أي: إنما يَأْتَمِرُ بهواه فمهما رآه حسناً فعله، ومهما رآه قبيحاً تركه.



س: هل كل ما تهواه النفوس يكون حراماً؟

ج: لا، بل ما هوته النفس وكان موافقاً لكتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ فهو حسن، وقد قالت عائشة لرسول الله ﷺ: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ^(١).



س: ما معنى قوله: (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ).

ج: المعنى، والله أعلم، وأضله الله على علم من الله ﷻ أنه لا يستحق الهداية، وأنه لن يهتدي. هذا المعنى الأول.

والمعنى الثاني: وأضله الله بعد أن بلغته الأدلة وأقيمت عليه الحجة.

(١) البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤).

تفسير سورة الجاثية

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عَمْرٍ) يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءت كل آية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عَمْرٍ) يحتمل قولين: **أحدها:** وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك. والآخر: وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه، والثاني يستلزم الأول، ولا ينعكس.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَحَكَّمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً).

ج: المعنى، والله أعلم، وطبع على سمعه وقلبه بطابع فلا يصل إلى سمعه شيء من الحق الذي يُهتدى به ولا يعقل قلبه ما ينتفع به، وكذلك جعل على بصره غشاوة تحول بينه وبين رؤية الحق وتمييزه من الباطل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَحَكَّمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) يقول تعالى ذكره: وطبع على سمعه أن يسمع مواظ الله وأي كتابه، فيعتبر بها ويتدبرها، ويتفكر فيها، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى.

وقوله: (وَقَلْبِهِ) يقول: وطبع أيضاً على قلبه، فلا يعقل به شيئاً، ولا يعي به حقاً.

وقوله: (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً) يقول: وجعل على بصره غشاوة أن

يبصر به حجج الله، فيستدل بها على وحدانيته، ويعلم بها أن لا إله غيره.

MOSTAFAALADWY.COM

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

(وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً) أي: فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئاً يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها؛ ولهذا قال: (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ﴿٢٣﴾ كقوله: (مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) ﴿١٨٦﴾.

[الأعراف: ١٨٦]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «التفسير القيم»:

قول الله تعالى ذكره: (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً).

الغشاوة هي الغطاء وهذا الغطاء سرى إليها من غطاء القلب فإن ما في القلب من الخير والشر يظهر على العين فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه وأنت إذا أبغضت رجلاً بغضاً شديداً أبغضت كلامه ومجالسته تجد على عينك غشاوة عند رؤيته ومخالطته فتلك أثر البغض والإعراض عنه، وغلظت الغشاوة على الكفار عقوبة لهم على إعراضهم ونفورهم عن الرسول وجعل الغشاوة عليها يشعر بالإحاطة على ما تحته كالغمامة، ولما عشوا عن ذكره الذي أنزله صار ذلك الغشاء غشاوة على أعينهم فلا تبصر مواقع الهدى.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ﴿٢٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فمن الذي يهدي هذا الذي أضله الله، كما قال

تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقوله: (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ﴿٢٣﴾

أي: أفلا تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره: فمن يوفقه لإصابة الحق، وإبصار محجة الرشد بعد إضلال الله إياه (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾) أيها الناس، فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا، فلن يهتدي أبدًا، ولن يجد لنفسه وليًّا مرشدًا.



س: كيف قالوا: (نُؤْتُ وَنَحْيَا) وهم لا يقرون بالبعث؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: نموت نحن ونحيا أبناؤنا.

الثاني: أن الآية فيها تقديم وتأخير، والمعنى: نحيا ونموت.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (نُؤْتُ وَنَحْيَا) نموت نحن ونحيا أبناؤنا بعدنا، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم؛ لأنهم منهم وبعضهم، فكأنهم بحياتهم أحياء، وذلك نظير قول الناس: ما مات من خلف ابنًا مثل فلان؛ لأنه بحياة ذكره به كأنه حي غير ميت، وقد يحتمل وجهًا آخر، وهو أن يكون معناه: نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات، كما يقال: قمت وقعدت، بمعنى: قعدت وقمت؛ والعرب تفعل ذلك في الواو خاصة إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر، تقدم المتأخر حدوثًا على المتقدم حدوثه منهما أحيانًا، فهذا من ذلك، لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون الحياة قبل الممات، فقدم ذكر الممات قبل ذكر الحياة، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرة أحياء وأخرى

أمواتاً.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل سنة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا (وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا لَدَهْرٌ) قال الله تعالى: (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) أي: يتوهمون ويتخيلون.

**س: وضع معنى قولهم: (وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا لَدَهْرٌ).**

ج: معناه، والله أعلم، ما يهلكنا ويميتنا إلا الأيام والسنون، والتقدم في الأعمال.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: (وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا لَدَهْرٌ) يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَقَالُوا) -أي: منكرو البعث- (مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس ومن مات فليس برافع إلى الله ولا مجازى بعمله.

وقولهم هذا صادر عن غير علم (إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾) فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان.

إن هي إلا ظنون واستبعادات خالية عن الحقيقة ولهذا قال تعالى: (وَإِذَا نُنَادِيهِمْ ءَاتَيْنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَتْ مِنْهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا اتَّبَوْنَا أَتَابِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾) وهذا جراءة منهم على الله حيث اقترحوا هذا الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بأبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق.



س: اذكر بعض الأدلة على إنكار الكفار للبعث.

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من إنكار الكفار للبعث بعد الموت، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى عنهم: (وَمَا نَحْنُ بِمُشْرِكِينَ ﴿٣٥﴾)

[السدخان: ٣٥]، وقوله: (أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾)

﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (

[المؤمنون: ٣٥-٣٧]، وقوله تعالى عنهم: (أَوَدَّ آمَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) **[ق: ٣]**،

وقوله تعالى عنهم: (أَوَدَّ لَمْ رُدُّوْا فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٠﴾) أَوَدَّ كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾) **[النازعات: ١٠-١٢]**، وقوله تعالى: (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ

تفسير سورة الجاثية

٤٦٣

رَمِيْمٌ ﴿٧٨﴾ [يس: ٧٨]، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

أما معناه فقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله، عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر. فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله فكأنهم إنما سبوا الله ﷻ؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نُهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه، ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذًا من هذا الحديث.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وما لهؤلاء القائلين بأنهم لا تفنيهم إلا الأيام والليالي والسنون من علم بذلك ولا من يقين به إلا يتقولون بما لا علم لهم به ويتبعون ظنونًا بلا براهين ولا بينات.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

(وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾) يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، بما يقولون من ذلك من علم: يعني من يقين علم، لأنهم يقولون ذلك تخرصًا بغير خبر أتاهم من الله، ولا برهان عندهم بحقيقته (إِنْ هُمْ إِلَّا

يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ يقول جلّ ثناؤه: ما هم إلا في ظن من ذلك، وشك يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بالسنتهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا يَتَّبِعْتِ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعْنَا مَا يَفْعَلُ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وإذا تتلى على أهل الشرك آيات الله المنزلة في كتابه على لسان رسوله ﷺ والتي فيها الإخبار بأن الناس سيبعثون ويخرجون من قبورهم للحساب أنكروا ذلك وما كان لهم من حجة ولا من دليل على هذا الإنكار إلا قولهم للمرسلين: اتتوا بآبائنا الذين ماتوا، فأحيوهم لنا إن كنتم صادقين في قولكم: إنا سنبعث.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا، بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم، فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب ﴿يَتَّبِعْتِ﴾ يعني: واضحات جليات، تنفي الشك عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك (مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعْنَا مَا يَفْعَلُ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾) يقول تعالى ذكره: لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له: اتتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء، وانشرهم لنا إن كنت صادقاً فيما تتلو علينا وتخبرنا، حتى نصدق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا، ومحيينا من بعد فنائنا.



تفسير سورة الجاثية

٤٦٥

س: ما صحة الحديث القدسي الذي فيه: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر..»؟ وما مثله؟ وما معناه؟

ج: أما الحديث فهو ثابت صحيح، ومن ألفاظه - حيث أن له ألفاظًا متقاربة - ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ^(١) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار».

ومن ألفاظه في الصحيح أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم، يقول: يا خيبة الدهر! فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر! فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما».

وقال ابن كثير رحمته الله:

وقوله تعالى: (وَإِذَا نُنَاجِيهِمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَسْتِ) أي: إذا استدل عليهم وبين لهم الحق، وأن الله قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها، (مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعُوا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ^(٢٥) أي: أحيوهم إن كان ما تقولونه حقًا.



س: وضع معنى قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ^(٢٦).

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث المكذبين بالآيات: الله ﷻ يحييكم في هذه الحياة الدنيا إلى ما يشاء ثم يميتكم عند الأجل الذي أجلكم إليه ثم يجمعكم يوم القيامة - أولكم وآخركم،

(١) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

في ذلك اليوم الذي لا شك ولا ريب في وقوعه، ولكن أكثر الناس قلَّ علمهم بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث، القائلين لك: ائتنا بأبائنا إن كنت صادقاً: الله أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم في الدنيا، ثم يميتكم فيها إذا شاء، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعاً أولكم وآخركم، وصغيركم وكبيركم (إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ) يقول: ليوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعاً أحياء ليوم القيامة (لَارِبِّ فِيهِ) يقول: لا شك فيه، يقول: فلا تشكوا في ذلك، فإن الأمر كما وصفت لكم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يقول: ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث، لا يعلمون حقيقة ذلك، وأن الله محييهم من بعد مماتهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

قال الله تعالى: (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ) أي: كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود، (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) [البقرة: ٢٨] أي: الذي قدر على البداء قادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى.. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، (ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَارِبِّ فِيهِ) أي: إنما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا: (أَتُؤَايَا أَبَايَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ) [التغابن: ٩]، (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ) [الأنعام: ١٢] (لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ) [المرسلات: ١٢، ١٣]، (وَمَا تَوْخِذُ بِهِ إِلَّا لَاجَلٍ مَّعْدُودٍ) [هود: ١٠٤]، وقال هاهنا: (ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَارِبِّ فِيهِ) أي: لا

شك فيه، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾) أي: فلهذا ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد، قال الله تعالى: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦٦﴾ وَزَرَّهُ قَرِيبًا ﴿٦٧﴾) [المعارج: ٦ ، ٧] أي: يرون وقوعه بعيدًا، والمؤمنون يرون ذلك سهلًا قريبًا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَإِذَا نُنَادِيهِمْ عَلَيْهِمْ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَسْتَأْذِنُ) أي وإذا تقرأ على هؤلاء المشركين آياتنا المنزلة في جواز البعث لم يكن ثم دفع (مَا كَانَ حُجَّتْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤَيِّدُ بآيَاتِنَا) خبر كان والاسم (إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤَيِّدُ بآيَاتِنَا) الموتى نسألهم عن صدق ما تقولون فرد الله عليهم بقوله: (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ) يعني بعد كونكم نطفًا أمواتًا (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) كما أحياكم في الدنيا (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾) أن الله يعيدهم كما بدأهم.

الزمخشري: فإن قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة؟ قلت: لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لأنه في حسابهم وتقديرهم حجة أو لأنه في أسلوب قوله:

تحية بينهم ضرب وجيع

كأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة والمراد نفي أن تكون لهم حجة ألينة. فإن قلت: كيف وقع قوله: (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ) جواب (أَتُؤَيِّدُ بآيَاتِنَا) كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٥﴾ قلت: لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت ألزموا ما هم مقررون به من أن الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به أن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق وهو جمعهم يوم القيامة ومن كان قادرًا

تفسير سورة الجاثية

٤٦٩

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خلقًا وملكا (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِيزُ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾) (وَيَوْمَ ﴿٢٧﴾) الأول منصوب بـ (يَخْسِرُ) و (يَوْمِيزُ) تكرر للتأكيد أو بدل وقيل: إن التقدير وله الملك يوم تقوم الساعة والعامل في (يَوْمِيزُ) (يَخْسِرُ) ومفعول (يَخْسِرُ) محذوف والمعنى يخسرون منازلهم في الجنة.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾) هذا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وترى يا رسول الله يوم القيامة كل أهل ملة من الملل جثاة على ركبهم كلٌ ينادى عليه لاستلام كتاب أعماله الذي كتبه الملائكة الحفظة، ويقال لهم: اليوم تجازون على أعمالكم التي عملتموها في دنياكم، فهذا الكتاب الذي أمرنا ملائكتنا بكتابته وأودعت فيه أعمالكم ها هو ينطق عليكم بالحق، يخبركم بالذي عملتموه كما قال تعالى: (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٦﴾) [المؤمنون: ٦٢].

أما قوله تعالى: (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾) فمعناه: إنا كنا نأمر ملائكتنا بكتابة أعمالكم التي عملتموها في دنياكم، وكذا بكتابة أقوالكم كما قال تعالى: (بَلَّغْ وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾) [الزخرف: ٨٠]، وكما قال: (وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ ﴿٨١﴾) [النساء: ٨١]، وكما قال: (وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُبَيِّنُ لَنَا مَالِ هَذَا

أَلَكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

﴿الكهف: ٤٩﴾

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يقول: كل أهل ملة ودين تدعى إلى كتابها الذي أملت على حفظتها.

وقوله: (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٨﴾) يقول تعالى ذكره: كل أمة تدعى إلى كتابها، يقال لها: اليوم تجزون: أي تثابون وتعطون أجور ما كنتم في الدنيا من جزاء الأعمال تعملون بالإحسان والإساءة جزاءها.

MOSTAFAALADWIN.COM

وقال الطبري أيضاً:

يقول تعالى ذكره: لكل أمة دعيت في القيامة إلى كتابها الذي أملت على حفظتها في الدنيا (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾) فلا تجز عوا من ثوابناكم على ذلك، فإنكم ينطق عليكم إن أنكرتموه بالحق فاقروه (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾) يقول: إنا كنا نستكتب حفظنا أعمالكم، فنثبتها في الكتب وتكتبها.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) أي: على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، حتى إبراهيم الخليل، ويقول: نفسي، نفسي، نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى أن عيسى ليقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتنني.

وقوله: (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) يعني: كتاب أعمالها، كقوله: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) [الزمر: ٦٩]؛ ولهذا قال: (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾) أي: تجازون بأعمالكم خيرها وشرها، كقوله تعالى: (يَبْنِيهِ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ ﴿١٣﴾) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِرَهُ ﴿١٥﴾ [القيامة: ١٣-١٥].

ثم قال: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) أي: يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص، كقوله تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾) [الكهف: ٤٩].

وقوله: (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾) أي: إنا كنا نأمر الحفظة أن

تكتب أعمالكم عليكم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تيسير الكريم الرحمن»:

(كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) أي: إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله، وهل قاموا بها فيحصل لهم الثواب والنجاة؟ أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى وأمة عيسى كذلك وأمة محمد كذلك، وهكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به، هذا أحد الاحتمالات في الآية وهو معنى صحيح في نفسه غير مشكوك فيه، ويحتمل أن المراد بقوله: (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) أي: إلى كتاب أعمالها وما سطر عليها من خير وشر وأن كل أحد يجازي بما عمله بنفسه كقوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) [الجمعة: ١٥].

ويحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية ويدل على هذا قوله: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل.



س: ما المراد بقوله: (فِي رَحْمَتِهِ)؟

ج: قال عددٌ من أهل العلم: (في جنته)، ويشهد له الحديث القدسي الذي فيه أنه ﷺ قال للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشياء» - والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ... ﴿١٠﴾) الآيات.

ج: في الآيات بيان لحال المؤمنين الذين استقاموا على الشريعة وعملوا بأوامر الله واجتنبوا مناهيه ومساخطه، وعبدوه وحده لا شريك له، فهؤلاء يدخلهم ربهم في جنته ذلك هو الفوز المبين الذي أبان وأظهر أن أصحابه قد فازوا.

وأما أهل الكفر فيقال لهم - إذا اعتذروا - : أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن الإيمان بها ولم تصدقوها وكنتم أهل إجرام؟

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ)؛ يقول تعالى ذكره: فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه، ولم يشركوا به شيئاً، وعملوا الصالحات: يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) يعني في جنته برحمته.

وقوله: (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) ﴿٣٠﴾ يقول: دخولهم في رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه، وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له، المبين غايتهم فيها، أنه هو الفوز.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة، قال: (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أي: آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحات، وهي الخالصة الموافقة للشرع. (فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ)، وهي الجنة. كما ثبت في الصحيح أن الله قال للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من شاء».

(ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) ﴿٣٠﴾ أي: البين الواضح، ثم قال: (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ

تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) أي: يقال لهم ذلك تقرعًا وتوبيخًا: أما قرئت عليكم آيات الرحمن فاستكبرتم عن اتباعها، وأعرضتم عند سماعها؟ (وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾) أي: في أفعالكم، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) أي: الجنة، (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ) أي: فيقال لهم ذلك وهو استفهام توبيخ (فَاسْتَكْبَرْتُمْ) عن قبولها (وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾) أي مشركين تكسبون المعاصي يقال: فلان جريمة أهله إذا كان كاسبهم فالمجرم من أكسب نفسه المعاصي وقد قال الله تعالى: (أَفَنَجْعَلُ الْاُنْسِيْنَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾) [القلم: ٣٥] فالمجرم ضد المسلم فهو المذنب بالكفر إذا.



س: وضع معنى قوله: (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنْظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴿٣٢﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وإذا قيل للكفار المنكرين للبعث آمنوا، فإن وعد الله حق وآت لا محالة، وكذا الساعة آتية لا محالة، أنكرتم ذلك وقتلتم ما ندرى عن يوم القيامة الذي تحدثونا بوقوعه شيئًا، وما نحن بمتحققين من وقوعه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: ويقال لهم حينئذ: (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) الذي وعد عباده، أنه محييهم من بعد مماتهم، وباعثهم من قبورهم (حَقٌّ وَالسَّاعَةُ) التي أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة،

تفسير سورة الجاثية

٤٧٥

والعقاب على المعصية، آتية (لَارِيَبَ فِيهَا) يقول: لا شك فيها، يعني في الساعة، والهاء في قوله: (فِيهَا) من ذكر الساعة. ومعنى الكلام: والساعة لا ريب في قيامها، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها (قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ) تكذيباً منكم بوعده الله جلّ ثناؤه، وردّاً لخبره، وإنكاراً لقدرته على إحيائكم من بعد مماتكم.

وقوله: (إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) يقول: وقلتم: ما نظن أن الساعة آتية إلا ظناً (وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ) ﴿٣٢﴾ أنها جاثية، ولا أنها كائنة.

قال ابن كثير رحمه الله:

(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا) أي: إذا قال لكم المؤمنون ذلك، (قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ) أي: لا نعرفها، (إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) أي: إن نتوهم وقوعها إلا توهمًا، أي مرجوحًا؛ ولهذا قالوا: (وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ) ﴿٣٢﴾ أي: بمتحققين.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَبَدَأْتُمْ كَيْفًا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) ﴿٣٢﴾

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٢﴾

ج: المعنى، والله أعلم، وظهر وتبين العصيان والكذب سيئ أعمالهم أي الأعمال السيئة التي عملوها قد رأوها في أخراهم في صحائف أعمالهم، ونزل بهم وأحلّ وأحاط به جزاء استهزائهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله

سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال، يقول: ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرءوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾) يقول: وحق بهم من عذاب الله حينئذ ما كانوا به يستهزون إذ قيل لهم: إن الله محله بمن كذب به على سيئات ما في الدنيا عملوا من الأعمال.

قال ابن كثير رحمه الله:

قال الله تعالى: (وَبَدَّلْتُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) أي: وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة، (وَحَاقَ بِهِمْ) أي: أحاط بهم (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾) أي: من العذاب والنكال.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَبَدَّلْتُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) أي ظهر لهم جزاء سيئات ما عملوا (وَحَاقَ بِهِمْ) أي نزل بهم وأحاط (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾) من عذاب الله.



س: وضع معنى قوله تعالى: (الْيَوْمَ نَنسَخُكُمْ مَا نَهَيْتُمْ لِقَاءَ بَنِيكُمْ مِنْ هَذَا وَمَأْوَنُكُمْ النَّارُ

وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله ﷻ يقول لهؤلاء الكفار المستهزئين بالآيات الساخرين منها المكذبين بالبعث يقول لهم: فالיום أترككم في العذاب كما تركتم العمل ليومكم هذا، وكما أنكرتم يومكم هذا، ومنزلكم الذي تصيرون إليه وتأوون هو النار، أعاذنا الله والمسلمين منها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُكُمْ) أي: نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم (كَمَا

نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أي: فلم تعملوا له؛ لأنكم لم تصدقوا به، (وَمَا وَكَّلُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾).

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأذكرك ترأس وتربيع؟ فيقول: بلى، يا رب. فيقول: أظننت أنك مُلاقِي؟ فيقول: لا. فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني»^(١).



س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَلَكُمْ بِأَنفُسِكُمْ أَتَّخَذْتُمْ آلِهَةً هُزُوا وَغَرَقُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ ﴿٣٥﴾).**

ج: المعنى، والله أعلم، ذلك الجزاء الذي جازيناكم به من الحكم عليكم بالنار تدخلونها وتصلونها؛ لأنكم استهزأتم بآيات الله واتخذتموها محلاً للسخرية بها ومجالاً لذلك، وخدعتكم دنياكم وشغلتكم وحذفتكم عن طاعة الله واتباع رسله فاليوم - يوم القيامة، وبعد أن أدخلتم النار لا يخرج منها أهلها ولا يطلب منهم إبداء وجهة نظرهم بالعتاب، ولا يسترضون ولا يردون إلى الدنيا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا الذي حل بكم من عذاب الله اليوم (بأنكم) في الدنيا (اتخذتم آيات الله هزواً)، وهي حججه وأدلته وآي كتابه التي

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٨) بنحوه.

أنزلها على رسوله ﷺ (هُزُوا) يعني سخرية تسخرون منها (وَعَزَّكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا) يقول: وخذتكم زينة الحياة الدنيا. فأثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله، يقول تعالى ذكره: (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴿٣٥﴾) يقول: ولا هم يردون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

قال الله تعالى: (ذَلِكُمْ أَنْتُمْ آخِذْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ هُزُوا) أي: إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخرية، تسخرون وتستهزؤون بها، (وَعَزَّكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا) أي: خدعتكم فاطمأنتم إليها، فأصبحت من الخاسرين؛ ولهذا قال: (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا) أي: من النار (وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴿٣٥﴾) أي: لا يطلب منهم العتبي، بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب.



س: وضع معنى قوله: (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾).

ج: يحمد ربنا ﷻ نفسه ويصف نفسه بما هو له أهل، فيقول سبحانه: (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ) وقد يتضمن هذا الخبر أمراً، فيكون المعنى: قولوا: لله الحمد. (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ) خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما. (رَبِّ الْعَالَمِينَ) كذا رب الخلق أجمعين خالقهم ورازقهم ومتفضل عليهم بعموم نعمه، وله المجد والعظمة والسلطان في السموات والأرض، وهو العزيز الذي لا يغلب والذي يُمضي- أمره في خلقه، لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه (الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾) في

تفسير سورة الجاثية

٤٧٩

شرعه، وفيما يأمر به وينهى عنه، الحكيم في كل شيء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ) على نعمه وأياديه عند خلقه، فإياه فاحمدوا أيها الناس، فإن كل ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من الهة ووثن، ودون ما تتخذونه من دونه ربًّا، وتشركون به معه (رَبِّ السَّمَوَاتِ

وَرَبِّ الْأَرْضِ) يقول: مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع و(رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾) يقول: مالك جميع ما فيهن من أصناف الخلق، وله الكبرياء في السموات والأرض يقول: وله العظمة والسلطان في السموات والأرض دون ما سواه من الآلهة والأنداد (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في نعمته من أعدائه، القاهر كل ما دونه، ولا يقهره شيء (الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾) في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء كيف شاء - والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم لما ذكر حكمه في المؤمنين والكافرين قال: (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ) أي: المالك لهما وما فيهما؛ ولهذا قال: (رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾). **ثم قال:** (وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال مجاهد: يعني السلطان. أي: هو العظيم الممجد، الذي كل شيء خاضع لديه، فقير إليه. وقد ورد في الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته ناري». ورواه مسلم ^(١) من حديث الأعمش،

(١) مسلم (٢٦٢٠) بلفظ: «العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة».

عن أبي إسحاق، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما،
عن رسول الله ﷺ بنحوه.

وقوله: (وَهُوَ الْعَزِيزُ) أي: الذي لا يغالب ولا يمانع، (الْحَكِيمُ) (٣٧) في
أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس لا إله إلا هو.

قال الشنقيطي رحمته الله في «أضواء البيان»:

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أن له الكبرياء في السموات
والأرض؛ يعني أنه المختص بالعظمة، والكمال والجلال والسلطان، في
السموات والأرض، لأنه هو معبود أهل السموات والأرض، الذي يلزمهم
تكبيره وتعظيمه، وتمجيده، والخضوع والذل له.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في آيات أخر كقوله تعالى:

(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) (٨٤) وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا [الزخرف: ٨٤-٨٥].

فقوله: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ) معناه أنه هو وحده الذي
يعظم ويعبد في السموات والأرض ويكبر ويخضع له ويذل.

وقوله تعالى: (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣٧).

للرؤم: ١٧٧

فقوله: (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) معناه أن له الوصف الأكمل،

الذي هو أعظم الأوصاف، وأكملها وأجلها في السموات والأرض.

وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد ^(١) عن النبي ﷺ: «أن الله يقول:

العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني في واحد منهما أسكنته

(١) تقدم قريباً، وهو صحيح.

تم بحمد الله.

MOSTAFAALADWY.COM